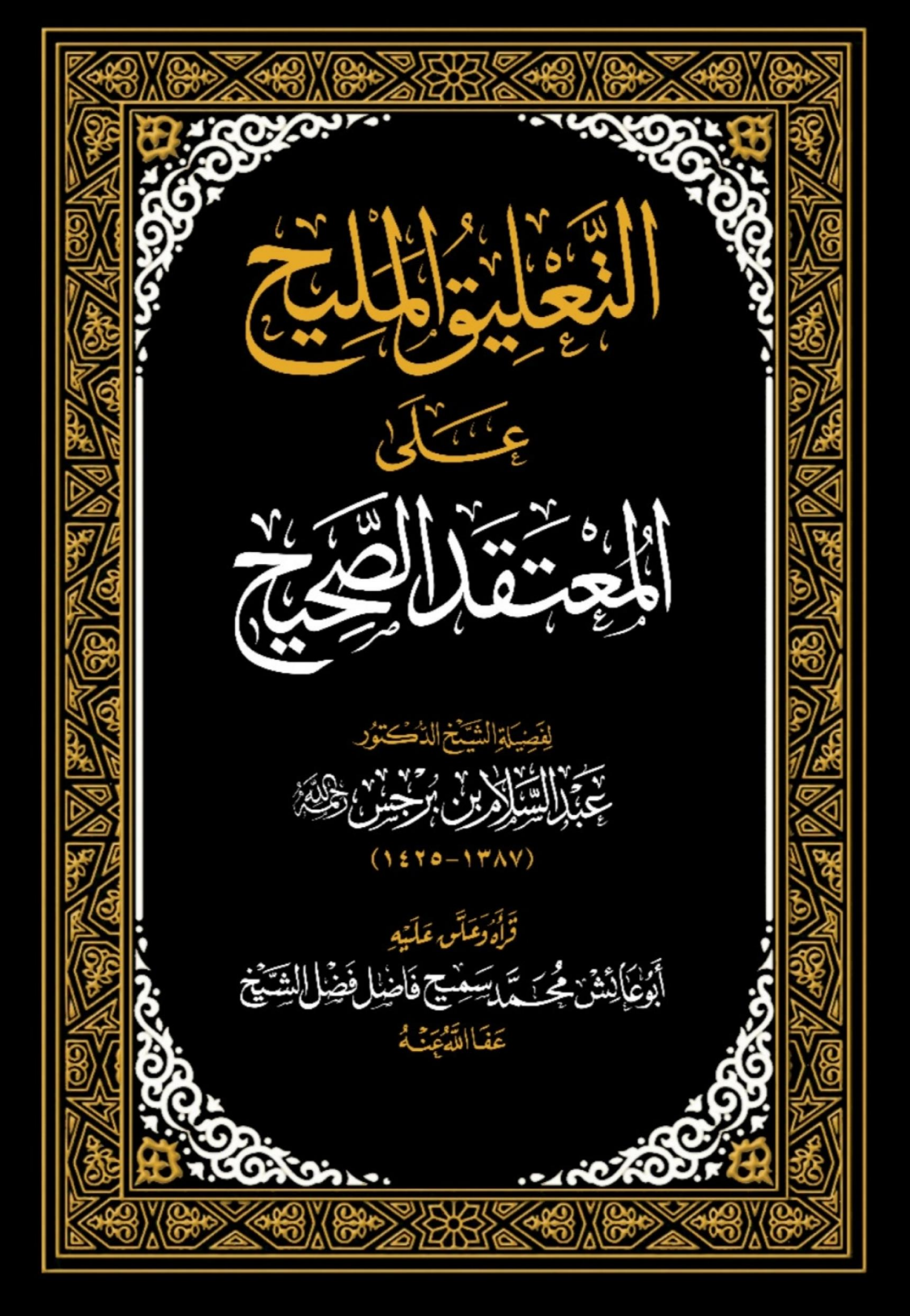
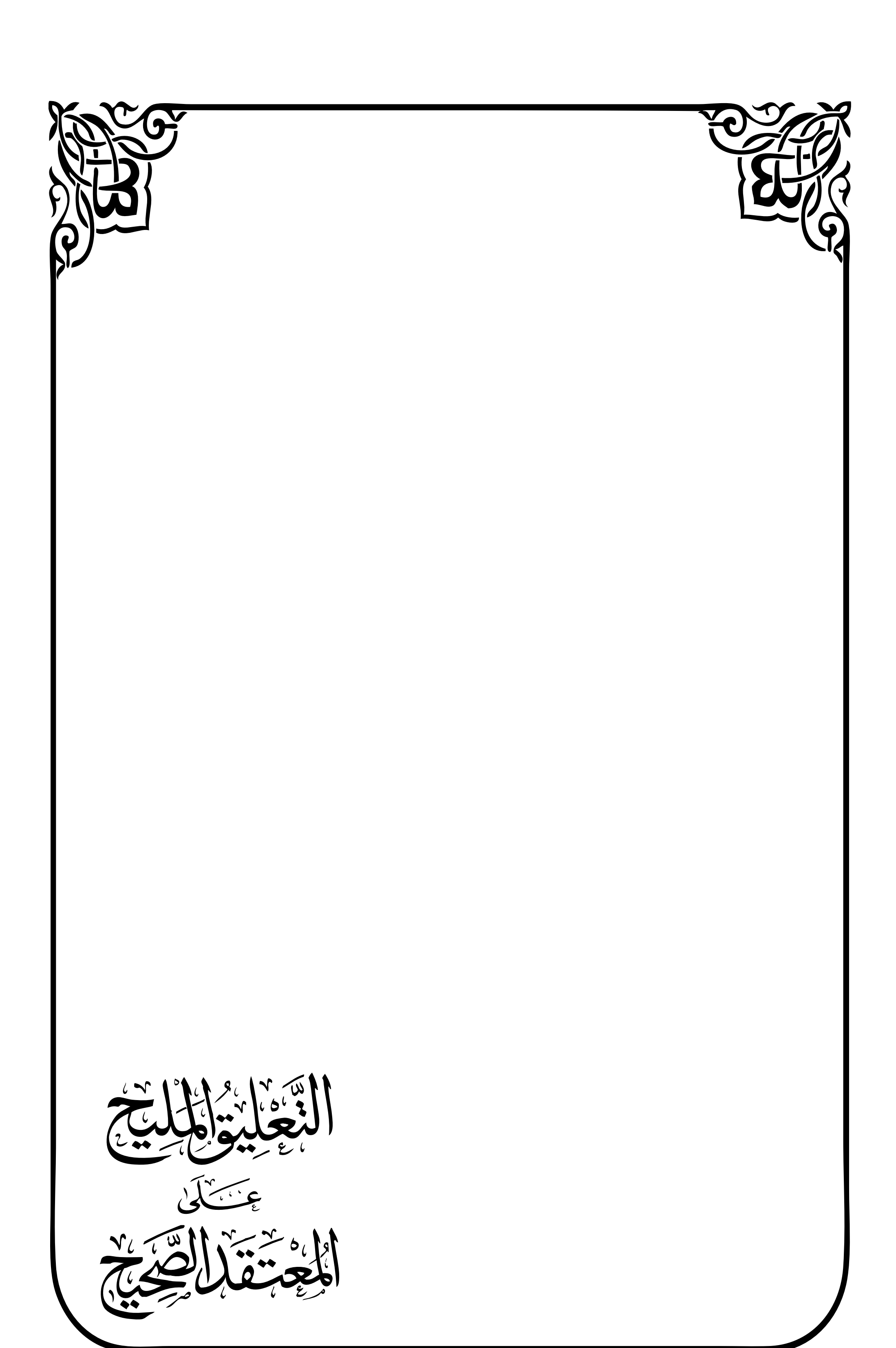
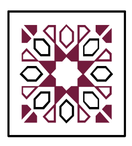
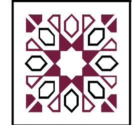

التعليق المليح
على
المعتقد الصحيح
لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن برجس رحمه الله
(١٣٨٧-١٤٢٥)
قرأه وعلق عليه
أبو عائش محمد سميح فاضل فضل الشيخ
عفا الله عنه



التعليق المليح
على
المعتقد الصحيح


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يُحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصِّرون بنور الله أهلَ العمىٰ، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيَوْه، وكم من ضالٍّ تائهٍ هَدَوْه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، الذين عقدوا ألويةَ البدعة، وأطلقوا عِقالَ الفتنة، فهُم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متَّفقون علىٰ مخالفة الكتاب، يقولون علىٰ الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علمٍ، يتكلَّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهَّالَ الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلِّين.

أما بعد:

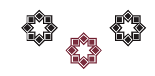
فهذا شرح لكتاب المعتقد الصحيح الواجب علىٰ كل مسلم اعتقاده لفضيلة الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطيب ثراه راعيت فيه سهولة العبارة وشمول الشرح لأهم ما يتعلق بكل أصل مذكور وآثرت أن أتركه علىٰ هيئة دروس يتبع بعضها الآخر؛ لما في مقدمة كل درس من المراجعة علىٰ ما سبق وذكر تتمة لما مضىٰ من فوائد ومسائل قبل الانتقال لأصل جديد من أصول هذا الاعتقاد المبارك.

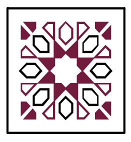
ولا أنسىٰ أن أقدم شكري وامتناني لأخي الفاضل سلطان السلطان علىٰ ما تجشمه من عناء تفريغ المادة وصفها حتىٰ خرجت بهذه الصورة الطيبة فجزاه الله خير الجزاء وكتب لنا وله الأجر وافيا ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين.

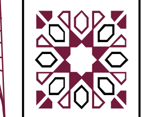
كتبه

أبو عائش محمد سميح فاضل الشيخ

عفا الله عنه







ترجمة الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١)

هو أبو عبد الرحمن عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم. ولد في الرياض في عام ١٣٨٧هـ.

ونشأ في رعاية أبويه، وبيتهم بيت ديانة وصلاح، ولقد كان الشيخ من صغره ذكيا حازما مجدا مجتهدا.. حفظ القرآن، وبدأ في طلب العلم، وهو في الثالثة عشرة من عمره، ولاحظ مشايخه عليه علامات النبوغ والتميز فأَوْلَوْه مزيد عناية واهتمام

ولقد تتلمذ الشيخ علىٰ يد عدد من علماء هذه البلاد المباركة كالعلامة ابن باز وابن عثيمين، وعبد الله بن قعود وصالح الأطرم وغيرهم من أهل الفضل والعلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وأما دراسته النظامية، فقد تلقىٰ الشيخ تعليمه في مدينة الرياض، فأخذ المرحلة الابتدائية فيها، ثم التحق بالمعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم التحق بكلية الشريعة في الجامعة وتخرج منها في ١٤١٠هـ، فعين بعدها مدرسا في المعهد العلمي في القويعية غرب الرياض علىٰ طريق مكة، ثم سمت همته للدراسات العليا فالتحق بالمعهد العالي للقضاء وأكمل فيه دراسة الماجستير، وكانت رسالة الماجستير **بعنوان: (التوثيق بالعقود في الفقه الإسلامي)**.

عُين قاضيا في وزارة العدل، ولكنه طلب الإعفاء فلم يعف إلا بعد جهد جهيد، ثم رشح بعدها في ديوان المظالم في مدينة جدة، ولكنه لم يمكث فيها إلا أسبوعـًا واحدا، ثم ترك الديوان

(١) مستفاد من أحد المواقع الإليكترونية

رغبة عنه، وطلبا للسلامة، وعاد إلىٰ الرياض محاضرا في المعهد العالي للقضاء، وقد تحصل علىٰ الدكتوراه في ١٤٢٢هـ في تحقيقه **لكتاب (الفوائد المنتخبات شرح أخصر المختصرات)** لعثمان بن جامع ت ١٢٤٠هـ بالاشتراك، وكان المشرف عليه سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، وبعدها عُين أستاذا مساعدا حتىٰ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ غاية في الأدب، متواضعا معروفا بوداعته وأنسه وبشاشته مع والديه وشيوخه وأهل بيته ومجالسيه، وكل من خالطه يعرف عنه ذلك، لذلك كثر من تأثر بوفاته وحزن نسأل الله أن يجمعنا به في دار كرامته.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب قلم سيال وعبارة رشيقة، له مؤلفات عديدة سارت بها الركبان، وشرقت وغربت وحصل بها نفع عظيم، وأول تأليف للشيخ كان قبل الثامنة عشرة من عمره، وهي كتب قيمة حصل بها النفع العظيم، **منها المطبوع وغير المطبوع:**

١. القول المبين في حكم الاستهزاء بالمؤمنين مطبوع في كتيب لطيف.
٢. إيقاف النبيل علىٰ حكم التمثيل مطبوع، في كتيب متوسط الحجم.
٣. التمني، مطبوع.
٤. عوائق الطلب، مطبوع.
٥. الإعلام ببعض أحكام السلام، مطبوع في كتيب لطيف.
٦. الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية، كتاب مطبوع لطيف الحجم في غلاف.
٧. ضرورة الاهتمام بالسنن، كتاب لطيف الحجم في غلاف.
٨. الأبيات الأدبية الحاصرة طبع مرتين.
٩. الأبيات العلمية الحاصرة ذكرها الشيخ في مقدمة كتابه السابق، وذكر أنه لم يتم بعد.

١٠. المعتقد الصحيح الواجب علىٰ كل مسلم اعتقاده، وهو في الأصل محاضرة ألقاها الشيخ في الجامع الكبير، وعقب عليها الشيخ عبد العزيز بن باز وأثنىٰ علىٰ الشيخ عبد السلام رَحِمَهُمَااللَّهُ وقد أشار أحد المشايخ الفضلاء بطبعها فنزل الشيخ علىٰ رغبته، فطبعت عدة طبعات فحصل به نفع عظيم.

١١. إبطال نسبة الديوان المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوع في غلاف لطيف.

١٢. مجموع شعر شيخ الإسلام ابن تيمية، مطبوع بذيل الكتاب السابق.

١٣. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، طبع عدة طبعات، وحصل به نفع عظيم، وهو كتاب فريد في بابه.

١٤. الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، وهو في الأصل فصل من الكتاب السابق، أشار إليه أحد المشايخ المقربين منه أن يفرده لأهميته، فنزل علىٰ رغبته، فأفرده، وزاد عليه، طبع كثيرا، وحصل به نفع عظيم.

١٥. بيان المشروع والممنوع من التوسل، مطبوع.

١٦. التوثيق بالعقود في الفقه الإسلامي، وهو بحث تكميلي تقدم به الشيخ لنيل درجة الماجستير في المعهد العالي للقضاء ولم يطبع.

١٧. قطع المراء في حكم الدخول علىٰ الأمراء، وقد ألفه الشيخ بناء علىٰ طلب أحد المشايخ الفضلاء مطبوع في مجلد لطيف.

١٨. الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية، مطبوع في كتاب متوسط الحجم.

١٩. **الخيانة**: ذمها وذكر أحكامها.

٢٠. مشروعية هبة الثواب.

٢١. **المحاضرات في الدعوة والدعاة**: والكتاب عبارة عن قرابة ثلاث عشرة محاضرة ألقاها الشيخ.

٢٢. شرح المحرر في الحديث لابن عبد الهادي ت ٧٤٤هـ، وكانت له عناية بهذا الكتاب محبًا له وراغبا في إتمامه، ولكنه قدر الله فلم يتمه الشيخ انتهىٰ من كتاب الطهارة وغالب كتاب الصلاة.

٢٣. تدوين العقيدة السلفية جهود أئمة الإسلام في نشر العقيدة الإسلامية، وهو كتاب ممتع، وفيه فائدة وهو عبارة عن جمع لكتب السلف في العقيدة مع تراجم مختصرة لأصحابها، وكان الشيخ ينوي أن يجعله علىٰ جزأين الأول من القرن الأول وحتىٰ نهاية القرن السابع، والثاني من بداية القرن الثامن، وحتىٰ هذا العصر والشيخ أتم الجزء الأول، وأما الجزء الثاني فلم يشرع فيه.

٢٤. كتاب في الفقه وكان الشيخ يذكره كثيرا، ويذكر أنه يحرر فيه ويدقق.

٢٥. تراجم لبعض العلماء ولا ندري ما خبره.

٢٦. بيان مشروعية الدعاء علىٰ الكافرين بالعموم، وهي رسالة لطيفة الحجم في هذه المسألة في ثماني صفحات مطبوعة ومنتشرة.

٢٧. ضرب المرأة بين حكم الشرع وواقع الناس.

وقد جُمع ذلك في مجموع ضخم في سبع مجلدات وقامت علىٰ طبعه دار المحسن بالجزائر ودار الصميعي بالقصيم.

❁ كما أن للشيخ عددا من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات، وللشيخ عناية بكتب علماء الدعوة النجدية تحقيقا ونشرا وسعيا في نشرها، والعناية بها، فله الفضل بعد الله عَزَّوَجَلَّ في إعادة طبع كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) والتي طبعت عام ١٣٤٦هـ؛ ولقد قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحقيق الكثير من الرسائل **التي صدرت في سلسلتين الأولىٰ بعنوان: (سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام) والثانية بعنوان (من رسائل علماء نجد الفقهية).**

❁ لقد كان الشيخ عبدالسلام حريصا علىٰ نشر الكتب العلمية عموما، وكتب علماء الدعوة خصوصًا، وكان ربما صور المخطوطات، أو سعىٰ في تحصيلها لمن يقوم بتحقيقها،

وهناك أكثر من ثلاثين ما بين كتاب ورسالة يذكر محققوها أنهم استفادوا بعض النسخ في تحقيقهم من مكتبة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهناك الكثير من أخباره ومآثره التي يصعب حصرها هنا، فلعل الله ييسر جمعها وتبويبها..

❁ لقد فجع أهل السنة والجماعة عند تلقيهم لخبر وفاة فضيلة الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم الذي وافته منيته ليلة السبت الموافق الثالث عشر من صفر لعام ١٤٢٥هـ.. في حادث مروري مروّع في طريقه من الأحساء إلىٰ الرياض..

❁ والشيخ عبدالسلام معروف لدىٰ علماء هذه البلاد المباركة ومشايخها، والدليل كثرة العلماء والمشايخ الذين حضروا للصلاة عليه، **ولقد قال عنه كثير من المشايخ والفضلاء: (لقد فاق علم الشيخ عبد السلام سنه) ولقد قيل: (لو عُمر لكان آية)** وقد تأثر الكثير من العلماء وطلاب العلم بفقده، فلقد كان مدافعا عن السنة منافحا عنها بنفسه وقلمه وماله.

❁ **نسأل الله أن يتجاوز عنا وعنه**، وأن يجمعنا به في دار كرامته، وأن يغفر لنا وله ولوالديه ولإخوانه ولمحبيه وألا يحرمنا أجره وألا يفتنا بعده، آمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا إلىٰ يوم الدين.





الدرس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاليوم إن شاء الله نبدأ في شرح كتاب جديد من كتب الاعتقاد وهو كتاب المعتقد الصحيح للشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له– ودراسة العقيدة ما ينبغي للمسلم أن يقتصر فيها علىٰ كتاب واحد أو كتابين ؛ فبعض الناس يظن أنه إن قرأ كتاباً أو كتابين أو سمع شرح ذلك أن ذلك يكفي، وأنه قد حصَّن نفسه من فتن الشبهات والشهوات، وهذا الأمر ليس بجيد، بل لابد أن تكون دراسة التوحيد وتثبيت المعتقد وتصحيحه شُغل المرء الذي يشغله مدة حياته، إذ إن ذلك هو الفقه الأكبر وهو المقصود ابتداءً بقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين». فأعظم الفقه في الدين الفقه في الإيمان بالله تعالىٰ، فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ ذلك ليبقىٰ في ثبات إلىٰ أن يلقىٰ الله تعالىٰ؛ فإنه لا يدري بما يختم له.

إن كتب الاعتقاد خاصة ينبغي للمرء أن يستكثر منها تحصيلاً وقراءةً وسماعاً لشروحها

خاصة في أزمنة الفتن والشبهات[1]، وذلك لما للعقيدة الصحيحة من ثمرات عديدة في الدنيا والآخرة، ومنها ما ذكره العلامة السعدي في تيسير اللطيف المنَّان حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن خير الدنيا والآخرة من ثمرات الإيمان الصحيح، وبه يحيا العبد حياة طيبة في الدارين، وبه ينجو من المكاره والشرور، وبه تخف الشدائد، وتدرك جميع المطالب، ولنُشِر إلىٰ هذه الثمرات علىٰ وجه التفصيل، فإن معرفة فوائد الإيمان وثمراته من أكبر الدواعي إلىٰ التزود منه.

❁ **فمن ثمرات الإيمان**: أنه سبب رضا الله الذي هو أكبر شيء، فما نال أحد رضا الله في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان وثمراته، بل صرح الله به في كتابه في مواضع كثيرة، وإذا رضي الله عن العبد قبل اليسير من عمله ونماه، وغفر الكثير من زلَلِه ومحاه.

❁ **ومنها**: أن ثواب الآخرة ودخول الجنة والتنعم بنعيمها، والنجاة من النار وعقابها، إنما يكون بالإيمان، فأهل الإيمان هم أهل الثواب المطلق، وهم الناجون من جميع الشرور.

❁ **ومنها**: أن الله يدفع ويدافع عن الذين آمنوا شرور الدنيا والآخرة، فيدفع عنهم كيد شياطين الإنس والجن، **ولهذا قال تعالىٰ**: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل: ٩٩].

ولما ذكر إنجاءه ذا النون **قال**: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] **أي**: من الشدائد والمكاره إذا وقعوا فيها، والإيمان بنفسه وطبيعته يدفع الإقدام علىٰ المعاصي، وإذا وقعت من العبد دفع عقوباتها بالمبادرة إلىٰ التوبة، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».. إلىٰ آخر الحديث.

فبين أن الإيمان يدفع وقوع الفواحش، **وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

(١) ذكر الشيخ ابن برجس في كتابه «تاريخ تدوين العقيدة السلفية» ٣٣٤ مصنفاً عقدياً رتبها ترتيبا تاريخيا حتىٰ القرن الثامن الهجري فقط، وقد نوىٰ أن يكون قسمه الثاني في القرون التالية، لكن توفاه الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتب له أجر نيته.

❁ **ومنها**: أن الله وعد المؤمنين القائمين بالإيمان حقيقة بالنصر، وأحقه علىٰ نفسه، فمن قام بالإيمان ولوازمه ومتمماته فله النصر في الدنيا والآخرة، وإنما ينتصر أعداء المؤمنين عليهم إذا ضيعوا الإيمان، وضيعوا حقوقه وواجباته المتنوعة.

❁ **ومنها**: أن الهداية من الله للعلم والعمل ولمعرفة الحق وسلوكه هي بحسب الإيمان والقيام بحقوقه، **قال تعالىٰ**: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦].

ومعلوم أن اتباع رضوان الله - الذي هو حقيقة الإخلاص - هو روح الإيمان وساقه الذي يقوم عليه، **وقال تعالىٰ**: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن: ١١]، فهذه هداية عملية، هداية توفيق وإعانة علىٰ القيام بوظيفة الصبر عند حلول المصائب إذا علم أنها من عند الله فرضي وسلم وانقاد.

❁ **ومنها**: أن الإيمان يدعو إلىٰ الزيادة من علومه وأعماله الظاهرة والباطنة ؛ فالمؤمن بحسب إيمانه لا يزال يطلب الزيادة من العلوم النافعة، ومن الأعمال النافعة ظاهرا وباطنا، وبحسب قوة إيمانه يزيد إيمانه ورغبته وعمله ؛ كما **قال تعالىٰ**: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

❁ **ومنها**: أن المؤمنين بالله وبكماله وعظمته وكبريائه ومجده أعظم الناس يقينا وطمأنينة وتوكلا علىٰ الله، وثقة بوعده الصادق، ورجاء لرحمته، وخوفا من عقابه، وأعظمهم إجلالا لله ومراقبة، وأعظمهم إخلاصا وصدقا، وهذا هو صلاح القلوب، لا سبيل إليه إلا بالإيمان.

❁ **ومنها**: أنه لا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله ولعباد الله ونصيحتهم علىٰ وجه الكمال إلا بالإيمان، فإن المؤمن تحمله عبودية الله، وطلب التقرب إلىٰ الله، ورجاء ثوابه، والخشية من عقابه علىٰ القيام بالواجبات التي لله، والتي لعباد الله». إلىٰ غير ذلك من الثمرات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها كذلك أن دراسة العقيدة السليمة والعمل بها سبب في وحدة الأمة لا في تفريقها كما أهل الزيغ والضلال، ولذلك لما كان صدر هذه الأمة علىٰ معتقد واحد كانت الوحدة، ونبذوا الفرقة والبدعة.

وتسمية هذا الكتاب بالمعتقد الصحيح هي إحدىٰ التسميات التي درج أئمة السنة علىٰ وسم كتبهم بها، فأسماء الكتب المصنفة في الاعتقاد **علىٰ قسمين**:

❁ أسماء شرعية مستمدة من الكتاب والسنة نصًا أو اشتقاقًا، **وهذه أربعة**:

۞ الإيمان، فمن كتب الاعتقاد المسماة بالإيمان، الإيمان لابن منده، والإيمان لابن أبي شيبة، والإيمان لعبيد الله القاسم بن سلام.

وهذه التسمية مأخوذة من **قوله تعالىٰ**: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **ومن قوله تعالىٰ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ **الآية**.

۞ التوحيد، ومثال ذلك كتاب التوحيد لابن منده، والتوحيد للبخاري في الصحيح، والتوحيد لابن خزيمة، والتوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وهذه التسمية مأخوذة من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدىٰ روايات حديث بعث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لليمن «**ليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله..**».

۞ السُّنة، ولا يعنون السنة المقابلة للواجب أي في اصطلاح الأصوليين، وإنما التي تقابل البدعة، ومنه السنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، وللخلال كذلك، وصريح السنة للإمام الطبري.

وهذه التسمية مأخوذة من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، وقوله «**عليكم بسنتي..**».

۞ الشريعة، ومنه الشريعة للإمام الآجري، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة.

وهذه مستمدة من **قوله تعالىٰ**: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾

❁ أسماء اصطلاحية اصطلح عليها العلماء ولم تأت في الكتاب والسنة لا نصًا ولا اشتقاقًا، وهذه اثنان:

۞ الاعتقاد، أو العقيدة، ومن ذلك العقيدة الطحاوية، واعتقاد أئمة الحديث للحافظ الإسماعيلي، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولُمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي، وهي تسمية صحيحة لا مشاحة فيها لمدلولها اللغوي الصحيح كما سيأتي.

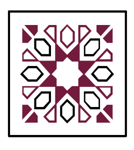
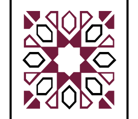
۞ أصول الدين، ولكن هذه التسمية غلبت علىٰ كتب المتكلمين، ويعنون بها غالبا أصولهم الفاسدة التي عارضوا بها الشرع الحنيف.

❁ **الاعتقاد والمعتقد والعقيدة لغةً**: كلٌّ ذلك مأخوذ من العقد، وهو الشد والتوثيق. قال ابن فارس في مقاييس اللغة: العين والقاف والدال أصل واحد يدل علىٰ شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، وأي اشتقاق من هذا الأصل يرجع لهذا المعنىٰ، ومنه عقد اليمين، والعقد الذي يكون بين المتبايعين، وعقد النكاح وهو الميثاق الغليظ، وكل ذلك يدل علىٰ شد وشدة وثوق.

❁ **والاعتقاد اصطلاحًا**: هو ما ينعقد عليه قلب المسلم من إيمان جازم بالله وما يجب له في توحيده بأنواعه، وتصديق الخبر فيما جاء من أمور الدين علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع التسليم والرضا بذلك والعمل به.

وتسمية المصنف كتابه بالمعتقد الصحيح تمييزاً له عن المعتقد السقيم الفاسد الذي وقع فيه من خالف ما جاء في الكتاب والسنة ولم يفهم ذلك كما فهمه سلفنا الصالح، كالجهمية علىٰ اختلاف فروعها، والخوارج والمعتزلة وغيرهم من الفرق، وكلهم مستقل ومستكثر في هذه المخالفة نسأل الله السلامة والعافية. نكتفي بهذا القدر علىٰ أن نشرع في المتن في الدرس القادم إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا هو الدرس الثاني من دروس هذا الكتاب وهو كتاب المعتقد الصحيح الذي يجب علىٰ كل مسلم اعتقاده، وكنا قد بدأنا في الدرس الماضي الكلام علىٰ أهمية العقيدة، وأهمية التوحيد، وكذلك معنىٰ كلمة المعتقد في اللغة والاصطلاح.

واليوم إن شاء الله نبدأ في هذا الكتاب، هذا الكتاب من تأليف فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد السلام بن بَرْجَس أل عبد الكريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الرجل له مؤلفات نافعة كثيرة جدًّا، ومات صغيرًا في حادث مروري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من ضمن هذه المؤلفات هذا الكتاب.



المتن

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين].

الشرح

بدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ **بقوله**: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]، وفعل ذلك اقتداءً بكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بدأ كتابه بهذه الآية، وكذلك اقتداءً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنته العملية، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرسل رسالة إلىٰ الأمراء والملوك يبدأها **بقوله**: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، كما أرسل إلىٰ هرقل عظيم الروم، كذلك إلىٰ عظيم القبط في مصر، وإلىٰ غير هؤلاء، وعلىٰ هذا كان عمل أئمة المسلمين وعلمائهم في تصانيفهم.

وقوله: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] آيةٌ نقرؤها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ حضَّنا علىٰ تدبر كتابه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أنزل الكتاب إلا لكي يُتدبر، فينبغي أن تعرف معنىٰ كل آية تقرؤها، فإذا قلتَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، فهذه الباء إنما هي باء الاستعانة، وقولك: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، **أي**: أبدأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، فهذا تقدير عام؛ أي قولك: أبدأ، والأولىٰ أن يكون التقدير خاصًا بما يناسب المقام، فإذا كنت تقرأ تقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أقرأ، فتُقدِّر لها ما يناسبها، يعني إذا كان الأمر في القراءة تقول: بسم الله وتُقدِّر أقرأ، إذا قلتَ قبل الأكل، فالكلام مضمونه بسم الله آكل، بسم الله أشرب، فتقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، **أي**: أستعين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وفرقٌ بين البسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) فهذه تكون قبل قراءة القرآن وكتابة الرسائل، والتسمية (بسم الله) فهذه قبل كل شيء ورد فيه الأمر بها قبله كالطعام والشراب والنوم وغير ذلك.

ما معنىٰ الله؟ **يعني**: نحن كثيرًا ما **نقول**: الله، بسم الله، قال العلماء: الله أصلها الفعل ألِه، **يعني**: عبد مع المحبة والتعظيم، فالله **يعني**: المألوه، **يعني**: المعبود محبةً وتعظيمًا، فأنت تعبد إلهًا واحدًا محبةً وتعظيمًا.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، ما معنىٰ اسم الله الرحمن؟ وما معنىٰ اسم الله الرحيم؟ **فنقول**: الرحمن **أي**: ذو الرحمة الواسعة التي شملت كل الخلق، ولذلك ذكر اسمه الرحمن مع أوسع المخلوقات وأعظمها العرش، **فقال**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فذكر أوسع الصفات التي هي الرحمة مع أوسع المخلوقات الذي هو العرش، فمعنىٰ الرحمن **أي**: ذو الرحمة الواسعة، فرحمة الله عَزَّوَجَلَّ شملت المؤمن والكافر في الدنيا، والبر والفاجر، وعالم الجن، وعالم الإنس، وجميع المخلوقات، وإلا فلو لم يرحم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الكافر ما سقاه من هذه الدنيا شربة ماء، فهذا من رحمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

واسم الله الرحيم، **أي**: ذو الرحمة الواصلة، **يعني**: يوصل رحمته لمَنْ شاء من عباده، فهي صفة فعل له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ. **قال**: [**الحمد لله، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله**]، نحن كثيرًا ما **نقول**: الحمد لله، فما معنىٰ الحمد لله؟ **يعني**: تجد السائق مثلًا مع أول أجرة يأخذها **يقول**: الحمد لله، ويُمسك هذا المال ويقبله، أو يضعه علىٰ رأسه قبل أن يضعه في جيبه، فهل هذا هو معنىٰ الحمد؟ ليس هذا هو معنىٰ الحمد، ولا يُشرع هذا الفعل، فما معنىٰ الحمد؟

الحمد هو الاعتراف للمحمود بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه، **يعني**: لما أقول: الحمد لله، فالحمد هو الاعتراف، أن تعترف للمحمود، مَنْ المحمود؟ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه، فالله عَزَّوَجَلَّ يُحمد في أمور خمسة، **يعني**: إذا أردتَ أن تنال كمال الحمد، فتكون من الحامدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **فلا بد أن تحمد الله** عَزَّوَجَلَّ **في أمور خمسة**:

١. لا بد أن تحمد الله في ربوبيته، **يعني**: تثبت كمال الربوبية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكمال التدبير والملك لهذا الكون، فهو الذي يصرِّف هذا الكون بلا عجز، ولا نقص، ولا فتور سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

٢. وتثبت له الحمد - **قلنا**: الحمد بمعنىٰ الكمال- في ألوهيته، أي أنه هو الذي يستحق أن يكون إلهًا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي يستحق وحده أن تُصرف له سائر العبادات، سواء كانت العبادات قلبية، أو لسانية، أو من عبادات الجوارح.

٣. وكـذلك أن تثبـت لـه الحمـد في أسـمائه وصـفاته، فكـل اسـم تسـمَّىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بـه -كما سيأتي- لا بد أن يكون اسمًا قد اشتمل علىٰ صفة اتصف بها الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كمال الاتصاف، ما معنىٰ هذا الكلام؟ **يعني**: الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه العليم، سمَّىٰ نفسه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ العليم، فما معنىٰ اسم الله العليم؟ ما الفرق بين تسمية الإنسان عليمًا، وبين تسمية الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالعليم؟ **نقول**: العليم هو المتصف بالعلم، فالله عَزَّوَجَلَّ يتصف بالعلم، ولكن هناك فرق بين علم الله وعلم المخلوق، فعلم الله عَزَّوَجَلَّ لم يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان، أما علمنا فسبقه جهل، **يعني**: أنت منذ قليل لم تكن تعلم معنىٰ كلمة الحمد، تعلمتها الآن، فصرتَ عالمًا بها بعد أن لم تكن، صحيح، صرتَ عالمًا بها بعد جهل.

فالله عَزَّوَجَلَّ علمه لم يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان، أما الواحد منا إذا كبر فينسىٰ القرآن، ينسىٰ العلم، ينسىٰ حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ينسىٰ أمورًا كان يتذكرها في شبابه، وأما الله عَزَّوَجَلَّ فقد قال عن نفسه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]، فالله عَزَّوَجَلَّ علمه لا يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان، فتثبت لله الكمال في أسمائه وصفاته، وهكذا الكمال له سبحانه في سائر أسمائه الحسنىٰ، وصفاته المثلىٰ.

٤. وتثبت لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الكمال في أمره الكوني القدري، **يعني**: لو أن الله عَزَّوَجَلَّ ابتلىٰ إنسانًا بمرض ما، أو بمصيبة ما، بفقد ولد، أو بفقد مال، أو بفقد كذا، فلا بد أن تعلم أن هذا التقدير الكوني من الله عَزَّوَجَلَّ له فيه الكمال المطلق؛ لأنه لا يريد بعبده المؤمن إلا كلَّ خير، وإن رأىٰ العبد ذلك شرًّا فهذا من قصور نظره، ولو اطَّلع علىٰ ما ادخر الله عَزَّوَجَلَّ له من النعيم المقيم، والجزاء العظيم إذا صبر علىٰ هذا الابتلاء لرجا أن يُبتلىٰ البلاء بعد البلاء.

فالله عَزَّوَجَلَّ تُثبت له الحمد والكمال كذلك في ابتلائه لك بمرض، في ابتلائه لك بفقد ولد، بفقد مال، في ابتلائه لك بفقر، في ابتلائه لك بكذا، فاعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ كامل في تقديره الكوني لأنه الحكيم العليم سبحانه.

٥. وكذلك تثبت له الحمد في أمره الشرعي الذي هو القرآن، الذي هو الوحي الذي أنزله علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل تشريع شرَّعه الله عَزَّوَجَلَّ ففيه الكمال المطلق، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، فبه صلاح الدنيا والآخرة، القرآن والسنة بهما صلاح الدنيا والآخرة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ له الحمد في أمره الشرعي.

انظر أنت عندما تقول: الحمد لله، تتذكر كل هذه المعاني تَرِدُ علىٰ ذهنك، فتحتاج إلىٰ وقت عظيم جدًّا لكي تتدبر في هذه المعاني، ولكي تخشع، ولكي تثمر ويظهر أثرها علىٰ قلبك، وعلىٰ جوارحك، ولذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطيل الركوع، وكان يُطيل السجود، لماذا؟ لأنه كان يتدبر هذه المعاني.

تقول: الحمد لله، واللام هنا للاستحقاق، **أي**: الذي يستحق الحمد المطلق هو الله عَزَّوَجَلَّ.

[وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله]، ما معنىٰ الصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنت تقول: صلَّىٰ الله، والله عَزَّوَجَلَّ **يقول**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فما معنىٰ صلاة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عبده، يعني **نقول**: **[وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله]**، **نقول**: صلاة الله علىٰ العبد، ومنهم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ، أن يذكر اللهُ عبدَه في الملأ الأعلىٰ.

«**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ**»، وهذا الملأ العظيم الخيِّر هو الملأ الذي عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، عند الملائكة الذين يحملون العرش، عند أفضل الملائكة، يذكر العبدُ ربَّه في الأرض، ويذكره الله باسمه من فوق سبع سماوات. يا لها من منزلة عظيمة لمن عقل فضلها وعمل لها!! فهذا معنىٰ صلاة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ العبد: أن يثني عليه، وأن يذكره في الملأ الأعلىٰ كما قال أبو العالية.

[وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله]، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيأتي معنىٰ الرسول، **[وعلىٰ آله وصحبه أجمعين]**، الآل هم أتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الآل فيهم عند أهل العلم خمسة أقوال، من أشهر هذه الأقوال أنهم أقرباء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن آمن به من أهل بيته؛ كالحسن، والحسين، وعليّ، وفاطمة، وهذه الذرية الطيبة، وكذلك هم أتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فآل الرجل أتباعه.

وأما الصحب، تقول: [وعلىٰ آله وصحبه]، فمَنْ الصحابة؟ ما معنىٰ الصحابي؟ الصحابي هو مَنْ لقي النبيَّ صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وآمن به، ومات علىٰ ذلك، هذا هو الصحابي، لقي النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، آمن بالنبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حياته، ثم مات هذا الصحابي علىٰ الإيمان، فهذا هو معنىٰ الصحابي، وإن تخلَّل ذلك ردة، **يعني**: حتىٰ لو أنَّ هذا الصحابي ارتدَّ، وبعد ذلك عاد مرة أخرىٰ إلىٰ الإسلام فهو من الصحابة.

لكن لماذا يقول دائمًا أهل السنة: وعلىٰ آله وصحبه؟ **يعني**: يذكرون آل بيت النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم يُثنُّون بالصحابة، **نقول**: إنما يذكرون ذلك خلافًا للمبتدعة، للرافضة الشيعة الذين يُكفِّرون أصحاب النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهذا من باب الرد عليهم، أنهم إذا ذكروا النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وآله، فإنهم يذكرون أصحاب النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنحن نترضىٰ علىٰ جميع أصحاب النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بلا استثناء.

المتن

[أما بعد:

فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة].

الشرح

إذن هذا المعتقد الذي سنقرؤه معًا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، والسنة هي الطريقة المسلوكة في الدين، وهو ما كان عليه النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه من الاعتقاد، والقول، والعمل، فهذه هي السُّنة، كل ما كان عليه النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه من الاعتقاد، والقول، والعمل فهذا يُسمَّىٰ بالسُّنة، إذن مَنْ أهل السنة الذين نالوا شرف الانتساب للسنة؟ هم كل مَنْ تابع النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه في اعتقادهم، وفي كذلك أقوالهم، وفي أعمالهم.

[أهل السنة والجماعة]، الجماعة ضد الفُرقة، فهؤلاء اجتمعوا علىٰ السنة، فالتمسك بالسنة يؤدي إلىٰ الاجتماع، وترك السنة يؤدي إلىٰ الفُرقة، ولذلك سُمُّوا بأهل السنة والجماعة، ومَنْ خالفهم سُمُّوا بأهل البدعة والفُرقة، **يعني**: الذي يخالف السنة مبتدع، والبدعة تؤدي إلىٰ الفُرقة، لا تؤدي إلىٰ الاجتماع، ولذلك كان النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه جماعةً واحدة.

المتن

[فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة هو الدين الحق الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يعتقده].

الشرح

قوله: يجب، أي لو لم يفعل ذلك فهو آثم.

المتن

[إذ هو اعتقاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ].

الشرح

إذ هذه تعليلية، **يعني**: تبيِّن لماذا يجب عليك أن تعتقد هذا الاعتقاد؟ لماذا يجب عليك أن تعتقد هذا الكلام الموجود في هذه الرسالة ؟ لأن هذا هو اعتقاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتقاد صحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فمَنْ خالفهم في ذلك عن تفريط، **يعني**: كانت عنده هذه المجالس، ويستطيع أن يحضرها، ومع ذلك فرَّط فيها، فوقع فيما يخالف هذا الاعتقاد.

المتن

[فمَنْ خالفهم في ذلك فقد عرَّض نفسه لعقاب الله الشديد ومقته وغضبه].

الشرح

نعوذ بالله من ذلك، ودليل ذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾، **أي**: يترك نهج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يتابع سنته، ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ما هو سبيل المؤمنين؟ سبيل أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يخالف سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويخالف نهج أصحاب النبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فهذا عقوبته مذكورة في الآية، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾، **أي**: يتركه الله عَزَّ وَجَلَّ يهلك في أي وادٍ هلك، فلا تأييد له، ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، والذنب إذا رُتِّب عليه نار أو وعيد، فهذا يدل علىٰ أنه كبيرة من الكبائر، إذن مخالف السنة، الذي يخالف سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاصة في الاعتقاد هذا مُتوعَّد بالنار.

وأما الدليل الثاني، **فقال:**

المتن

[يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن الفرق التي ستكون في أمته، وهي ثلاث وسبعون فرقة: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»].

الشرح

هنا ينبغي التنبيه علىٰ أمر ما: المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ **يقول: [يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن الفرق التي ستكون في أمته]، يعني:** هذه الفِرَق فِرَق إسلامية تنتسب إلىٰ القبلة أم كفار؟ فِرَق إسلامية، لأن بعض الناس يفهم أنك إذا قلتَ علىٰ جماعة معينة أنهم فِرْقة من الفِرَق أنك كفَّرتهم، وهذا خطأ وقد يكون تلبيساً علىٰ عوام الناس ؛فحتىٰ الخوارج -مع ما جاء فيهم من الوعيد- لم يُكفِّرهم الصحابة، فهذه الفِرَق هي من أمة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولكنها لما خالفت وقعت في كبيرة هي من أكبر الكبائر فاستحقت الوعيد كسائر الكبائر.

مَنْ الذي يخرج من هذا الوعيد؟ مَنْ الذي لا يلحقه هذا الوعيد؟ مَنْ الذي يكون في أهل المدح والمكانة العظيمة؟ قال النبي: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، مَنْ هذه الفرقة الناجية؟ **قال:** «وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، ولكن ما الجماعة؟ هل هم أي جماعة لأناس يجتمعون علىٰ أي شيء؟ لا، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فسَّرها في رواية أخرىٰ للحديث، **قال:** «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، فهذه هي الجماعة.

«مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، **يعني:** كل مَنْ كان علىٰ ما كان عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه فهذا يدخل في الفرقة الناجية، وهذا بعيد عن الفُرْقة، وعن الابتداع، لكن هل نحن نعلم كل ما كان عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه في كل أمر أم لا بد أن نتعلمه؟ لا بد أن نتعلمه، هل وُلد الإنسان وهو يعلم كل ما كان عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه؟ هل عاش الإنسان في عصر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يشاهد ذلك ويعاين التنزيل وأحوال الوحي وملابساته، أم أن بينه وبين عصر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والقرون الفاضلة قروناً عديدة؟ بينهم قرون عديدة، فهذا مما يدل علىٰ أنه واجب عليك أن تتعلم هذه الأمور، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

هذا الحديث حديث صحيح «سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةً»، وهذا الحديث حديث عظيم جدًّا، والذي يبين جلالته وعظمته أن الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الفريد الاعتصام، والذي بيَّن فيه الطريقة الصحيحة المسلوكة التي تؤدي إلىٰ الجنة، ويحذر من الطرق المخالفة التي تؤدي إلىٰ النار عياذًا بالله، شرح هذا الحديث -حديث الفِرَق- في أكثر من عشرين مسألة، المسألة الواحدة قد تتجاوز عَشر الورقات، **يعني**: شرح هذا الحديث فيما يقارب مائتي ورقة، شرح هذا الحديث ووقف علىٰ كل لفظة من ألفاظ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟

لتتعلم وصف هذه الفرقة الناجية، فأنت لن تسلك سبيل الفرقة الناجية إلا إذا تعلمت وصفها في كل مسألة، كيف كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعامل في الفتن؟ كيف كان يتعامل مع المخالف؟ كيف كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل ويخرج؟ كيف كان يتعامل مع المباحات؟ في العبادات، في كذا، في كذا...؟ لا بد أن تتعلم كل هذه الأمور حتىٰ تصير من الفِرْقة الناجية.

المتن

[أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد، وابن ماجه، وابن أبي عاصم من حديث أنس].

الشرح

والحديث صحيح، بل هو حديث متواتر، كما قال أهل العلم.

المتن

[ووصف النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الجماعة التي سلمت من الوعيد بالنار، فقال: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي اليوم»].

الشرح

إذن هذه الجماعة لا تأتي بتشريع جديد، ولا تأتي بكلام ومؤلفات تخالف الكتاب والسنة، كالذين يقولون سلفية المعتقد عصرية المواجهة ويأتون بالثورات والبرلمانات والفتن، ولكن كل نهجها نابع من كتاب الله، ومن سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهم السلف الصالح، فما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم دينـًا، ولن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال ماله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المتن

[أخرجه الآجري في الشريعة عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس بن مالك].

الشرح

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي اليوم»، مع أن الصحابة قالوا ماذا؟ الصحابة لما سألوا **قالوا**: يا رسول الله، مَنْ هي؟ «سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً»، فالصحابة ما **قالوا**: ما هي؟ وإنما **قالوا**: مَنْ هي؟ ومَنْ تسأل عن ماذا؟ عن العاقل، عن أشخاص، لكن جواب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل أشار إلىٰ أشخاص بأعيانهم؟

لا، وإنما أشار إلىٰ وصف، **قال**: «عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي اليوم»، هذا ليبين لنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الفرقة الناجية، والجماعة الناجية لا تختص بزمان دون زمان، بل هي موجودة في كل الأزمان، ولكن إذا حققت هذا الشرط، ما هو الشرط؟ أن تتابع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسمَّىٰ بجواب الحكيم، ما معنىٰ جواب الحكيم؟ **أي**: أن يُسأل المرء عن مسألة، ويَرِد في الجواب عنده ما هو أفضل من مجرد الإجابة علىٰ هذا السؤال، **يعني**: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عن ماء البحر أنتوضأ به، كان يكفي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن **يقول**: نعم، توضؤوا به، فهل أجاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك أم أجاب جوابًا عامًّا ينفعهم في الوضوء وغيره، **قال**: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»، فأجاب لهم جوابًا زائدًا ينفعهم في أمور كثيرة، «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ»، إذن ليس لمجرد الوضوء، بل يجوز لهم أن يستعملوه في الاستحمام، وكذلك في الغسل، وكذلك في تطهير النجاسات، وفي أمور عظيمة جدًّا من خلال هذا الجواب.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، الصحابة لما سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو المشركون لما سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأهلة، كان سؤالهم عن أمر معين، يا رسول الله، هذا الهلال كيف يبدو إذا طلع؟ ثم إذا انتصف ما شكله؟ ثم إذا غاب ما

شكله؟ هل يبدو محاقًا أم بدرًا أم كذا؟ فهل هذه الأمور تنفعهم؟ لا تنفعهم في دينهم، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فأجابهم بما ينفعهم.

فلما سُئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أفراد هذه الفرقة أجاب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكر الوصف؛ لكي تتصف بأوصاف هذه الفِرْقَة.

المتن

[فهذا ضابط أهل السنة والجماعة].

الشرح

هذا هو الضابط والحد الفاصل؛ أن تكون علىٰ ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

المتن

[متمسكون بسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنة خلفائه الراشدين، عاضون علىٰ ذلك بالنواجذ].

الشرح

وهذا ورد في حديث العرباض بن سارية **قال:** وَعَظَنَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بليغة وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. فَقَالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»، وهذا وقع، الخلاف بين الأمة، والخلاف شر، «**فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**».

ثم قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا العلاج: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، عَضُّوا هذا فعل ماضٍ أم فعل أمر؟ فعل أمر، الذي ننطقه بالعامية ونقول: عُضُّوا، لا، الصحيح في لغة العرب أن يُقال: عَضَّ عليها بالنواجذ، **قال:** «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» وهذا التعبير من أفصح الخلق يدل علىٰ ضرورة التمسك بها كي ينجو المسلم من الاختلاف والفتن ويسلم.

المتن

[ولذا كانوا الفرقة الناجية].

الشرح

فهذه الفرقة كما قلنا: موجودة في كل زمان، وله أسماء عديدة، **يعني**: أحيانًا تُسمىٰ بالفرقة الناجية، وفي عصر من العصور تُسَمَّىٰ بأهل السنة والجماعة، وفي وقت آخر تسمىٰ بالسلفية وهُم هُم، ولكن اختلفت أسماؤهم، والوصف واحد، فلماذا اختلفت أسماؤهم؟ لأن الذي يحمل السنة، ويدعو إليها في هذا العصر كانوا علماء الحديث، فسُمُّوا بأهل الحديث، أو سُمُّوا بأهل الأثر، أو سُمُّوا بالطائفة المنصورة، أو سُمُّوا بالفرقة الناجية، كل هذه الأسماء إنما هي لوصف واحد، هو مَنْ كان علىٰ ما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

وانتبه فإن هذه الطائفة موجودة في كل أمة، ليس في أمة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، هذه الطائفة المنصورة والفرقة الناجية موجودة في كل أمة، وهم أتباع الأنبياء المبلغين عنهم في كل زمن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن موسىٰ وقومه: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩]، فمِن هذه تبعيضية، ليس كل قوم موسىٰ يهدون بالحق، إنما **قال**: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ﴾، فمِن هذه تبعيضية، **يعني**: بعض قوم موسىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن النصارىٰ: ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾ [المائدة: ٦٦].

قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً»، وقال في الحديث الآخر في الصحيح: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ» جعلنا الله وإياكم منهم.

المتن

[ولذا كانوا الفرقة الناجية، فهم ناجون من النار يوم القيامة، سالمون من البدع -وسيأتي معنى البدعة- في هذه الدنيا، وكانوا الفرقة المنصورة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». أخرجاه في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة.

والظهور هنا بمعنى النصر].

الشرح

قلتُ: الظهور ظهوران: يعني: قد تكون هذه الفرقة الناجية ظاهرة منتصرة، منتصرة وظاهرة بماذا؟ الظهور قد يكون بالحجة والبيان، **يعني**: يستطيع أن يقيم الحجة، وأن يرد كل شبهة بما معه من البيان، بما معه من دليل من الكتاب والسنة، **فيُقال**: هذا الإنسان ظهر على خصمه، ظهر عليه بالحجة والبيان، طالما نهجُه بالكتاب والسنة فلا بد أن يظهر.

يعني: إنسان وقف في المسجد، وأراد أن ينشر بين الناس بدعة، فقلتُ له: ما دليلك على هذا؟ القرآن والسنة يخالف ذلك، قال الله تعالى، وذكرتُ له آية، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكرتُ له حديثًا، الصحابة ما فعلوا ذلك، فهذا الإنسان ما كان منه إلا أن سكت، فأنا ظهرتُ بماذا؟ بالحجة والبيان، بالدليل من الكتاب والسنة.

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ»، وهذا الظهور الذي هو بالحجة والبيان لا بد أن يوجد في كل عصر، لا تخلو الأرض من ظاهر بالحجة والبيان، لا يمكن لأحد أن يكتم الحق الذي عليه دليل من الكتاب والسنة حتى لا يوجد في الأرض ناطق به، ناصر له. هذا لا يكون.

والظهور الثاني: بالسيف والسنان، **يعني**: هذه الطائفة تكون لها دولة قوية، شريعتها ظاهرة، تجاهد في سبيل الله، عندها القوة والعدة والعتاد، فهذا يُسمى أيضًا ظهورًا، وهذا الظهور قد يخفت في زمن من الأزمان، يضعف المسلمون، ولا تجد لهم ظهورًا عسكريًّا، كما هو الحال في وقتنا الحالي، إنما الحجة والبيان فلا بد أن تكون ظاهرة دائمًا، لماذا؟ لأنه لا بد أن يكون هناك قائم لله بالحجة، يقيم الحجة، ويبين للناس دين الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا فسدت الأرض، لا بد أن يكون هناك دعاة مخلصون وعلماء مجتهدون يبينون للناس دين الله عَزَّوَجَلَّ، أما الظهور بالسنان بالسلاح فهذا قد لا يوجد في زمن من الأزمان لأهل السنة والجماعة.

المتن

[والظهور هنا بمعنىٰ النصر؛ قال تعالىٰ: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤]، وقال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، فهم غالبون بالسيف والسنان -**قلنا**: هذا لا يُشترط أن يكون في كل زمان-، أو بالحجة والبرهان.

وهم فرقة واحدة لا تتعدَّد].

الشرح

أهل السنة والجماعة فرقة واحدة، جماعة واحدة لا تتعدَّد، ولذلك لا يوجد في الإسلام أحزاب، لماذا؟ لأن الحزبية تؤدي إلىٰ التعصب للحزب، والتعصب لأشخاص، والولاء والبراء علىٰ كلام هؤلاء الأشخاص، وعلىٰ ذواتهم، وبالتالي تحدث في الأمة الفُرقة، بل إن التسمية كانت شرعية ممدوحة في الكتاب والسنة، ومع ذلك لما حدث التعصب لها غضب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يعني**: مَنْ الذي سمَّىٰ المهاجرين بالمهاجرين؟ الله عَزَّ وَجَلَّ، **قال تعالىٰ**: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فسمَّاهم المهاجرين، وسمَّاهم الأنصار، **يعني**: ما سمَّاهم بشرٌ، وإنما سمَّاهم الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومع ذلك لما تخاصم رجل من المهاجرين مع رجل من الأنصار، وتعصب باسم المهاجرين، وهذا تعصب باسم الأنصار، **فقال**: يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار، وهي تسمية شرعية، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ**»، «**دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، هذه منتنة، ولذلك لم يكن أهل السنة الجماعة فِرقًا، ولا جماعات، وإنما هم جماعة واحدة، ليس لهم اسم إلا السنة، والإسلام.

فقال: [**وهم فرقة واحدة لا تتعدَّد**]، وهنا يقول إنسان: هناك المذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، والمذهب المالكي، والمذهب الحنفي، **فنقول**: هذه مذاهب فقهية، **يعني**: هذه المذاهب لم تختلف في أصل الدين، في بدعة وسنة، وإنما اختلفت في مسائل فقهية يحتملها الدليل، **يعني**: أنا عند التكبير أرفع يديَّ أم لا أرفع اليد؟ فهذا خلاف فقهي، بعد الرفع من الركوع، أرسل اليدين أم أقبض اليد اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ؟ وعند النزول للسجود أنزل بركبتي، أم أنزل بيدي؟ أقدم الركبة أولًا أم اليد؟ فهذا خلاف فقهي، اختلف الصحابة أنفسهم فيه.

إنما الذي نتكلم عليه الذي يؤدي إلىٰ التفرُّق إنما هو الخلاف في أصل الدين، والخلاف في المعتقد، وأن تكون هناك جماعات كل منها أخذ بحظه من الدين، **يعني**: يأخذ بعض الآيات، ويترك الآيات الأخرىٰ، يأخذ آيات تدل علىٰ الجهاد فقط، فما يريد إلا إقامة الجهاد حتىٰ ولو كان جهاده المزعوم في بلاد المسلمين، حتىٰ ولو كان سيؤدي لخراب بلاد المسلمين، فلا يأخذ الآيات التي حضَّت علىٰ الألفة، وحضَّت علىٰ الاعتصام، وحضَّت علىٰ مراعاة المصالح والمفاسد، وحضَّت علىٰ طاعة ولاة الأمور في غير معصية الله، وحضَّت علىٰ كذا، لا، إنما يأخذ جانبًا واحدًا فقط من جوانب الدين، ويظن أن الدين هو هذا الجانب. تأتي جماعة أخرىٰ تأخذ جانبًا آخر، وتترك الجانب الأول، تأتي جماعة ثالثة، وتأخذ الجانب الثالث، وتترك الجانب الأول والثاني، وهذه تظن أن هذا هو الدين، وهذه تظن أن هذا هو الدين، يفهمونه ويعملون به علىٰ غير هدي السلف، ويقع التعصب والتحزب والولاء والبراء علىٰ هذه الجماعات، فتحدث الفُرقة.

المتن

[وهم فرقة واحدة لا تتعدَّد، ولذا سُمُّوا بالجماعة. قال تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

وليس لهم اسم يُعرفون به سوىٰ الإسلام والسنة، وما دلَّ عليهما من الألفاظ. قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السنة ليس لهم لقب يُعرفون به، لا جهميٌّ، ولا قدريٌّ، ولا رافضيٌّ].

الشرح

وهذا رواه ابن عبد البر في الانتقاء، نقول كذلك: أهل السنة ليس لهم اسم يُعرفون به سوىٰ الإسلام والسنة، وما دلَّ عليهما من الألفاظ. لا يسمون أنفسهم باسم الجماعات، لا أقول: أنا جماعة الجهاد، أو جماعة الإخوان المسلمين، أو جماعة التبليغ، أو جماعة كذا، أو جماعة كذا، هذا كله من الانحراف والزيغ، إنما **قال تعالىٰ**: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، فليس لهم اسم إلا الإسلام والسنة.

المتن

[وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن السنة –يعني مالكًا–، فقال: ما لا اسم له سوىٰ السنة، يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم يُنسبون إليه سواها.

وعقيدة السلف الصالح عُني بتوثيقها، وبيان أدلتها، وشرحها جماعات من الأئمة الكبار].

الشرح

[عقيدة السلف الصالح]، مَنْ السلف الصالح؟ السلف في لغة العرب بمعنىٰ المتقدم، والخَلَفُ هو مَنْ جاء بعده (المتأخر)، والخَلْف بتسكين اللام هو مَنْ جاء بعده، وكان علىٰ صفة من صفات الشرِّ كما **قال لبيد**:

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ في أكنافِهِم   وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجربِ

وكما **قال تعالىٰ**: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [مريم: ٥٩]، ولم يقل: خَلَفٌ، ما صفة هؤلاء الخَلْف؟ ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ [مريم: ٥٩].

أما الخَلَف بتحريك اللام فهم الذين جاءوا بعد السلف، والسلف قلنا في اللغة: بمعنىٰ المتقدِّم، قال الله عَزَّوَجَلَّ في آيات الربا: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، أي: ما تقدَّم، هذا بالنسبة للغة.

وأما بالنسبة للاصطلاح، فالسلف بالنسبة للزمان هم القرون الفاضلة التي كانت بعد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، القرون الثلاثة الفاضلة التي كان الخير فيها منتشرًا، والسنة فيها ظاهرة، فهؤلاء يُسمون بالسلف الصالح، وهؤلاء هم قدوتنا، وهؤلاء الذين تُعرض أقوال الناس علىٰ أقوالهم، وفِعال الناس

علىٰ فِعالهم، فمَنْ خالف فِعالهم، وأقوالهم رُدَّ قوله، هذا بالنسبة للزمن.

وأما بالنسبة للوصف، فالسلفي هو كل مَنْ اتصف بما كان عليه السلف الصالح. إذن يجوز لنا أن نصف إنسانًا في وقتنا الحاضر بأنه سلفي، لماذا يُوصف بأنه سلفي؟ لأنه يقتدي ويتبع سلفه الصالح، فهو وصف ممدوح شرعًا علىٰ المسلم أن يسعىٰ في تحصيله اعتقادًا وعملاً.

المتن

[وعقيدة السلف الصالح عُني بتوثيقها، وبيان أدلتها، وشرحها جماعات من الأئمة الكبار في مصنفات كثيرة استقلالًا وضمنًا، ومنها:].

الشرح

سيذكر لنا أسماء مؤلفات كثيرة جدًّا أُلِّفت في باب العقيدة؛ لتعلم أهمية هذا الباب، وأن علمه فيه النجاة، وأن أئمتنا لم يدَّخروا وسعًا في بيانه وبيان مفرداته كافة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالىٰ وأجزل لهم المثوبة جزاء ما قدموه لنا.

المتن

[منها المؤلفات الموسومة بـ«السنة» أي: المعتقد].

الشرح

يعني: هناك مؤلفات في العقيدة سُميت بالسنة، وليس المقصود بالسنة هنا اصطلاح الأصوليين، وهي ما يُثاب فاعلها، ولا يُعاقَب تاركها، وإنما المقصود بالسنة هنا المعتقد الذي كان عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه.

المتن

[وهي تربو -يعني: تزيد- علىٰ مئتين وخمسين مؤلفًا، منها: السنة لابن أبي شيبة، والسنة لأحمد بن حنبل، والسنة لابن أبي عاصم، -كلها كتب في الاعتقاد- والسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة للخلال، والسنة لأحمد بن الفرات أبي مسعود الرازي، والسنة لأسد بن موسىٰ، والسنة لابن القاسم صاحب مالك، والسنة لمحمد بن سلام البِيْكَنْدِيِّ.

والصفات والرد علىٰ الجهمية لنعيم بن حماد، والسنة للأثرم، والسنة لحرب بن إسماعيل الكرماني، والسنة لابن أبي حاتم، والسنة لابن أبي الدنيا، والسنة لابن جرير الطبري، والتبصير في معالم الدين لابن جرير أيضًا، والسنة للطبراني، والسنة لأبي الشيخ الأصبهاني، والسنة لأبي القاسم اللالكائي، والسنة لمحمد بن نصر المروزي.

وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، والإبانة لابن بطة -في تسع مجلدات في العقيدة-، والتوحيد لابن خزيمة، والتوحيد لابن منده، والإيمان لابن أبي شيبة، والإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، وشرح السنة للمزني صاحب الشافعي، وشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين، والسنة المسماة بالحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة لِقِوام السنة أبي القاسم التيمي الأصبهاني.

وأصول السنة لأبي عبد الله بن أبي زمنين، والشريعة للآجري، واعتقاد أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي، والسنة للبربهاري، والإيمان لابن منده، والإيمان للعدنيِّ، والعرش لمحمد بن أبي شيبة، والقدر لابن وهب، والقدر لأبي داود، والرؤية، والصفات، والنزول للدارقطني، ورسالة السِّجزيِّ إلىٰ أهل زَبِيد لأبي نصر السجزيِّ.

وجواب أهل دمشق في الصفات للخطيب البغداديِّ، والسنة لأبي أحمد الأصبهاني المعروف بالعسَّال، والسنة ليعقوب الفسوي، والسنة للقصَّاب، وأصول السنة لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، والسنة لحنبل بن إسحاق، والأصول لأبي عمرٍو الطَّلَمَنْكِيِّ.....، وغيرها كثير كثير].

الشرح

كتب كثيرة جدًّا أُلِّفت في المعتقد، فهذه الوفرة من كتب الاعتقاد المُؤلَّفة، التي طُبعت، والموجودة في المكتبات، **هذه إن دلَّت تدل علىٰ أمور:**

❁ **أما الأمر الأول:** فهي تدل علىٰ أن تعلُّم العقيدة فرض واجب، وإلا فلماذا أَلَّفوا هذه الكتب؟ علىٰ أن تعلم العقيدة فرض واجب علىٰ كل مسلم؛ لتصح عبادته لربه، وليحذر شبهات أهل الضلال، ولذلك لا تكاد تجد شبهة من شبهات هؤلاء في القديم والحاضر إلا وقد نقدها ونقضها هؤلاء الأئمة في هذه المصنفات، كل هذه المصنفات فيها معتقد صحيح، وفيها بيان للمعتقد الفاسد، وفيها بيان لشبهات عبَّاد الأصنام، وفيها بيان لشبهات النصارىٰ في عبادة المسيح، فيها بيان لشبهات مَنْ انحرف عن طريق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فتعلُّم ذلك يحمل المرء علىٰ ماذا؟ علىٰ أنه ينجو، أن يعرف الخير، وأن يعرف الشر كذلك؛ ليتقي هذه الشر.

❁ **الأمر الثاني كذلك:** يعني هذه المصنفات الكبيرة جدًّا، والكثيرة جدًّا تبين لنا أن الاطلاع علىٰ هذه الثروة العقدية، ومعرفة مصنفيها، الاطلاع علىٰ هذا الاعتقاد يؤدي إلىٰ ماذا؟ هذا يؤدي إلىٰ قلع جذور التعصب للأشخاص، وللشيوخ، لماذا؟ كل هؤلاء شيوخك وعلماؤك وأئمتك، فإذا جاء شيخك الذي يعلمك القرآن في المسجد، أو يعلمك الحديث، أو يعلمك الفقه، أو يعلمك المعتقد فخالف في مسألة من المسائل، فمعرفة هؤلاء، ومعرفة مصنفات هؤلاء تؤدي إلىٰ ماذا؟ أن أقدِّم كلامهم علىٰ كلام شيخي، حتىٰ ولو كان شيخي، لماذا؟

لأن الكثرة في الشيوخ وكثرة أخذ العلم عن غير عالم وشيخ تؤدي إلىٰ قلع جذور التعصب، إنما عندما يكون للشخص شيخ واحد فقط فإنه يتعصب لكلامه، يوالي ويعادي علىٰ كلامه، قال شيخي، لم يقل شيخي، فعل شيخي، لم يفعل شيخي، وهذا باطل، فمعرفة هؤلاء تؤدي إلىٰ قلع هذه الجذور من العصبية.

فهؤلاء الذين مضوا، ورضيت عنهم الأمة هم قدوتنا وسادتنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم. هذا يفسر لنا البلوىٰ التي كنا نسمعها في الفتن السابقة والحالية، **يعني**: إذا قابلت إنسانًا خاض في هذه الفتن، فقلتَ له: هذا الأمر لا يجوز، يا أخي، حمل السلاح لا يجوز، تهييج الفتن لا يجوز، إراقة الدماء لا تجوز، النزول في هذه الثورات التي ليس الغرض منها إلا خراب البلاد لا يجوز، يقول لك: ولكن شيخي نزل، ولكن شيخي قال، ولكن شيخي...، وكأن كلامه مضمونه أن كل حديث لا يعرفه شيخي فليس بحديث، وكل فعل لم يفعله شيء فليس بفعل، فهو باطل، لماذا؟ لأنه ليس له إلا شيخ واحد، لم يسمع إلا من إنسان واحد، لم يطلع علىٰ هذه المصنفات العظيمة التي ألَّفها المتقدِّمون في تعليم الناس، فهذا مهما ذكرتَ له الأدلة من الآيات، والأحاديث، بل من الواقع الذي يرد علىٰ هذا الباطل الذي يخوض فيه، فإنه لا يقيم له وزنًا.

❁ **الأمر الثالث كذلك**: أن الذي ينظر في هذه المصنفات يجد أنها شملت كل جوانب العقيدة، فهناك مصنفات تتكلم في القدر، وهناك مصنفات تتكلم في الألوهية، وهناك مصنفات تتكلم في الأسماء والصفات، وهناك مصنفات تتكلم في كذا وكذا وكذا، تتكلم في كل ما هو من المعتقد الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح قبل مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالأمة كانت علىٰ قلب رجل واحد، معتقد واحد، كانوا جماعة واحدة إلىٰ أن حدثت الفتنة الكبرىٰ، والتي هي مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما قُتل عثمان ظهرت الخوارج، ولما ظهرتِ الخوارج كفَّروا الصحابة، وكفَّروا المسلمين، ثم ظهرت المرجئة، ثم ظهر الشيعة، يتعصبون لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل البيت، ثم ظهر النواصب، ثم ظهرت المعتزلة فردت الأشاعرة، ثم ظهرت كذا فردَّت كذا، بدأت الأمة تتحول إلىٰ فِرَق، ويصدق فيها حديث رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكلما تقدم الزمان، واقتربت الساعة زاد الأمر لبسًا، عياذًا بالله، يزيد الأمر لبسًا، وتكثر الفتن، وهذا كلام النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قال**: «تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ

تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ الْفِتْنَةُ -أشد من الأولىٰ-، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ»، **يعني**: هذه التي ستُهلك، عياذًا بالله، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، فالذي يتعلم هذا المعتقد الصحيح بدليله هو الذي ينجو من هذه الفتن، يعلم متىٰ يُقدِم؟ ومتىٰ يُحجم؟ متىٰ يسارع؟ ومتىٰ يتأخر ويتأنىٰ حتىٰ تنكشف؟ لماذا؟ لأن الصورة أمامه واضحة، ما من شيء إلا وبيَّنه هؤلاء الأئمة في كتبهم، وبيَّنه أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتكلم فيه أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **فهذا كان آخر ما تيسر في هذا الدرس، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.**





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الثالث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما زال حديثنا موصولًا في قراءة كتاب **(المعتقد الصحيح الواجب على كل مسلم اعتقاده)**، وكنا قد توقفنا في الدرس الماضي مع ما عنْون له المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله: [المعتقد الصحيح في توحيد الربوبية]**، فنقول أولًا: أهل السنة والجماعة لما قسَّموا التوحيد إلى أقسام ثلاثة هي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، لم يأتوا ببدع من القول، فهذه الأقسام الثلاثة موجودة في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالله عَزَّ وَجَلَّ يُوحَّد في ربوبيته لهذا الكون، وفي خلقه، وملكه، وتدبيره، وتصريفه لهذا الكون، وكذلك يُوحَّد في استحقاقه للعبادة دون مَنْ سواه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكذلك يُوحَّد في أسمائه وصفاته، في أسمائه الحسنى وصفاته العلا، والقرآن دلَّ على ذلك كما سنرى، ومنه قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وكذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

وفي توحيد الألوهية، **أي**: في إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبادة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، **أي**: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك.

وهناك آية في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جمعت أنواع التوحيد الثلاثة، وهي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]،

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾، هذا توحيد الربوبية، فهو الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، هذا هو توحيد الألوهية، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾، أي: هل تعلم لله عَزَّوَجَلَّ كفوًا، أو ندًّا، أو شبيهًا، أو مماثلًا؟ والجواب بلا شك: لا نعلم له سميًّا.

فأهل السنة والجماعة لما نظروا في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفي سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وجدوا أن إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالتوحيد ينقسم إلىٰ هذه الأقسام الثلاثة، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ومنهم من نظر إلىٰ المقصود من هذه الأنواع من التوحيد فقسَّمه إلىٰ قسمين، فأنت تجد في كلام بعض أهل العلم تقسيم هذا التوحيد إلىٰ هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرناها، وتجد في كلامهم تقسيمها إلىٰ قسمين، فيقولون:

❁ **القسم الأول**: توحيد المعرفة والإثبات، **أي**: أن تثبت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الربوبية التي يستحقها، وأن تثبت له الأسماء والصفات التي يستحقها مع معرفة ذلك علىٰ الوجه الصحيح.

❁ **القسم الثاني**: يُسمىٰ بتوحيد القصد والإرادة، قصد **يعني**: هذا فعل الرب أم فعل العبد؟ القصد فعل مَنْ؟ فعل العبد، فتوحيد الألوهية يُسمىٰ بتوحيد القصد، **أي**: الأمور التي يقصدها، ويسعىٰ إليها العبد؛ ليعبد بها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والإرادة، **يعني**: أن يُخلص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذا التقسيم كما قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **قال**: هذا تقسيم استقرائي لدىٰ متقدمي علماء السلف، **يعني**: السلف لما نظروا في الكتاب، وفي السنة **قالوا**: إن التوحيد ينقسم إلىٰ هذه الأقسام، وأشار إليه ابن مَنْدَه من المتقدمين، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرَّره الزبيدي في تاج العروس، والعلامة الشنقيطي في أضواء البيان. إذن هذا مما أجمع عليه السلف أن نثبت لله عَزَّوَجَلَّ هذه الأنواع من التوحيد.

بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتوحيد الربوبية، ما معنىٰ توحيد الربوبية؟

المتن

[المعتقد الصحيح في توحيد الربوبية].

الشرح

إذن طالما أنه **قال**: [**المعتقد الصحيح**]، فهناك معتقد فاسد، و**قلنا**: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: إن الفرقة التي ستنجو وصفها أن تكون على مثل ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه، فإذا أردتَ أن تنجو في الدنيا والآخرة فعليك أن تتعلم المعتقد الصحيح، لا بد أن تتعلم المعتقد الصحيح في توحيد الربوبية، فما توحيد الربوبية؟

التوحيد بمعنىٰ أن يجعل الشيء واحدًا، وأن يُفرده، إذن توحيد الربوبية، **أي**: أن تفرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ معرفةً وإثباتًا، أن تفرده بالخلق، والأمر، والمُلك، فالذي له الخلق هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والذي له الأمر والنهي هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والذي له الملك التام هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الغني الحميد، وهذا التوحيد **يعني**: إفراد الله تعالىٰ بالخلق، **يعني**: هو خالق هذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خالق كل شيء، مدبر كل شيء، هذا التوحيد مما جُبلت عليه الفطرة.

الفطرة السليمة جُبلت علىٰ الإقرار بهذا النوع من التوحيد، **يعني**: حتىٰ ولو لم يأتِ رسول ليبين للناس أن لهذا الكون ربًّا، وأن لهذا الكون خالقًا، فإن الفطرة السليمة، والعقل السليم إذا نظر في تصريف هذا الكون، في إحكام هذا الكون لا بد أن يُقرَّ أن هناك خالقًا لهذا الكون، كما قال الأعرابي القديم، **قال**: البعرة تدل علىٰ البعير، والأثر يدل علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك علىٰ اللطيف الخبير.

وقال غيره من السلف، وهو الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: هذه ورقة التوت تأكلها النحلة فتخرج عسلًا، وتأكلها الظبية فتخرج مسكًا، وتأكلها البهيمة فتخرج بعرًا، والورقة واحدة، وهذه النباتات تُسقىٰ بماء واحد، فيخرج هذا فاكهة حلوة، وهذا فاكهة مُرَّة، فضَّل الله بعضها علىٰ بعض في الأكُل، وهذه لونها يختلف عن تلك، وكلها تُسقىٰ بماء واحد، هل نضع في قنوات الماء بعض السكر، وبعض الملح، وبعض الشيء اللاذع؟ لا، كلها تُسقىٰ بماء واحد، فهذا مما جُبلت عليه الفطرة.

ولذلك أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ناظر بعض السُّمنية، والسُّمنية فِرْقة أو جماعة ينكرون الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ووجود الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلما ناظرهم، وأراد أن يصل إليهم بشيء من العقل، **فقال**: خبِّروني عن سفينة مُوقرة، **يعني**: مُحمَّلة، هذه السفينة كانت في لُجة البحر، وفي أمواج متلاطمة، وسارت بهذه الحمولة، وكانت هذه الحمولة والبضائع التي كانت عليها كانت بنفسها دون أن يضعها أحد، ثم سارت في هذه الأمواج، ثم وصلت إلىٰ الشاطئ الآخر فأفرغت ما عليها، خبِّروني عن هذه السفينة.

قالوا: وهل هذا يُعقل؟ هل هذا يُعقل في سفينة أن تسير وحدها هكذا دون رُبَّان، دون قائد، **قال**: فهذا الكون من باب أولىٰ، هذا الكون بهذا التصريف، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، وكذلك القمر، فهذا الإحكام العجيب في جميع العوالم، في عالم الإنس، والجن، والحشرات، والحيوانات، وعالم البحر، وسائر العوالم، هذا الإحكام العظيم الذي لم يضطرب منذ أن خُلق الإنسان، ورأىٰ ذلك رأي عين، وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، هذا من باب أولىٰ أن نثبت له خالقًا مدبرًا مصرِّفًا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك ما كانت هذه وظيفة الأنبياء، **يعني**: لم يأت الأنبياء ليعلموا أقوامهم أن الله هو رب هذا الكون كما يفعل المتكلمون كالأشاعرة والمعتزلة وغيرهم ممن يجعلون غاية جهدهم إثبات حدوث العالم وقِدم الرب تعالىٰ!!؛ لأن الفطرة جُبلت علىٰ ذلك، إنما كان يستدلون بذلك علىٰ توحيد الألوهية، **قال تعالىٰ**: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، **يعني**: يا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لئن سألتَ هؤلاء المشركين مَنْ خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله، إذن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جاءها ابتداءً ليقول لهم: إن الخالق هو الله، فهم مُقِرُّون أن الخالق هو الله، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فيُقرُّون بمثل هذه الأمور.

حال الكفار الذي جاء إليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا يجمعون بين توحيد الربوبية، وشرك العبادة، **يعني**: يقرُّون أن الله هو الخالق المدبر النافع الضار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومع ذلك يصرفون العبادة لغيره، **قال تعالىٰ**: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾، يثبتونه ربًّا نافعًا ضارًّا مدبرًا، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾، **يعني**: يشركون معه في العبادة غيره، فيصرفون الدعاء، والنذر، والخشية، والاستعانة، يصرفون هذه الأمور لأصنامهم، ولآلهتهم الباطلة.

لو أن إنسانًا اعترف بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ربًّا فقط، ولم يصرف العبادة له، إنما صرفها لغيره، هل ينجو هذا الإنسان؟ **يعني**: إنسان يوحِّد الله في ربوبيته، **فيقول**: الله عَزَّ وَجَلَّ هو الرب، هو الرازق، هو المدبر، هو الخالق، هو المتصرف في هذا الكون، ومع ذلك يصرف العبادة لغير الله، **يعني**: إذا أراد أن يذبح يذبح لغير الله، فيذبح للبدوي، أو للحسين، أو للدسوقي، أو للسيدة، فإذا أراد أن ينذر نذر لغير الله، يخشىٰ غير الله، يخاف من غير الله، يتوكل علىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهل ينفعه توحيد الربوبية؟ لا ينفعه توحيد الربوبية.

إذن الأنبياء لما جاءوا إنما جاءوا ليعلموا الناس توحيد الألوهية، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٢٢]، قل يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، **أي**: الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]، هؤلاء الأصنام لا يملكون مثقال ذرة في السماوات، ولا في الأرض، فهذا فيه إثبات الربوبية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سبأ: ٢٢]، فنفىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ثلاثة أمور عن هذه الآلهة الباطلة، نفىٰ أن يكون لهم مِلك في السماوات والأرض، ولو كان مثقال ذرة، ونفىٰ أن يكونوا شركاء، ليسوا مُلَّاكًا خُلَّص، وإنما حتىٰ الشركة ليست لهم، ونفىٰ كذلك أن يكونوا أعوانًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في تدبير هذا الكون، وإنما ذلك كله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[المعتقد الصحيح في توحيد الربوبية يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالىٰ وحده متفرد بالخلق، والملك، والتدبير].

الشرح

إذن ما توحيد الربوبية؟ أن تفرد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالخلق، والملك، والتدبير، أن تُقرَّ اعتقادًا بجنانك، وبلسانك تثبتُ ذلك، فنحن **قلنا**: توحيد الربوبية توحيد معرفة وإثبات، وتوحيد الأسماء والصفات -كما سيأتي- معرفة وإثبات، فالأمر كله يدور علىٰ الاعتقاد والنطق، النطق باللسان، أن تُفرد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالخلق، والملك، والتدبير.

والدليل علىٰ ذلك: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **أي**: خلقها دون شريك ولا معين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وانظر في الآيات التي جاءت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا سيبينه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا في كتابه ما يذكر هذا النوع من التوحيد الذي لم يخالف فيه أحد، والجميع يقرُّ به، يذكر هذا النوع؛ ليدلِّل به علىٰ أنه هو المستحق لتوحيد الألوهية.

فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وهذا سيأتي في توحيد الأسماء والصفات، أن نثبت الاستواء لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

[الأعراف: ٥٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالىٰ مبينًا أنه الرب المعبود لا شريك له، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وما فيهما علىٰ عظمهما، وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما، خلق كل ذلك في ستة أيام، **قال**: أولها يوم الأحد، فأول الخلق كان يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما، وأودع فيهما من أمره ما أودع، ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوىٰ استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، بعد أن خلق السماوات والأرض وما فيهما استوىٰ وعلا وارتفع علىٰ عرشه فوق السماوات تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فاستوىٰ علىٰ العرش، واحتوىٰ علىٰ الملك، ودبر الممالك، وأجرىٰ عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، ولهذا **قال**: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾ المظلم ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ المضيء، فيظلم ما علىٰ وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوي المخلوقات إلىٰ مساكنها -كما هو الحال في الليل-، ويستريحون من التعب، والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار.

قال: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما جاء النهار ذهب الليل، هل وجدنا في يوم من الأيام أبىٰ النهار أن يطلع، وأن يخرج، أبىٰ الليل أن يدخل، ما وجدنا ذلك، إنما هو إحكام من الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **قال**: وهكذا أبدًا علىٰ الدوام، حتىٰ يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلىٰ دار غير هذه الدار.

قال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، **أي**: بتسخيره وتدبيره، الدالِّ علىٰ ما له من أوصاف الكمال، فخلْقُها وعِظَمُها دالٌّ علىٰ كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان، دالٌّ علىٰ كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية، وما دونها، دالٌّ علىٰ سعة رحمته، وذلك دالٌّ علىٰ سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، **أي**: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها، وسفليها، أعيانها، وأوصافها، وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فخلق الخلق **بقوله**: ﴿كُن﴾، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فكان هذا الكون، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]، فهذا أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففرَّق بين الخلق، والأمر، فالأمر كلمته الكونية القدرية، وكلامه الشرعي الذي هو القرآن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخلق الذي هو هذا الذي نراه في هذا الكون.

قال: ولما ذكر من عظمته، وجلاله ما يدلُّ ذوي الألباب علىٰ أنه وحده، المعبود المقصود في الحوائج كلها، ماذا صنع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد أن قرَّر توحيد الربوبية؟ **قلنا**: هذه قاعدة مطردة في القرآن، بعد أن يقرر توحيد الربوبية ماذا يصنع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ يذكر توحيد الألوهية؛ ليبين أنه هو الذي يستحق أن يُعبَد وحده.

قال بعد ذلك: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، والدعاء فعل الرب أم فعل العبد؟ فعل العبد، وهذا من توحيد المرء عبادته لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: وقال الله تعالىٰ: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورىٰ: ٤٩]، فهنا ماذا حصل في هذه الآية؟ تقديم ما حقُّه التأخير، أصل الآية: ملك السماوات والأرض لله، فمُلك مبتدأ، والمبتدأ الأصل فيه أن يُقدَّم، إنما أَخَّر المبتدأ، وقدَّم الخبر الذي هو الجار والمجرور (لله)، والعلماء يقولون: إذا قُدِّم ما حقه التأخير فهذا يفيد ماذا؟ يفيد الحصر، يفيد القصر، **أي:** حصر ملك السماوات والأرض علىٰ مَنْ؟ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فنحن نملك، نملك بيوتًا، ونملك أموالًا، ونملك متاعًا، ونملك أرزاقًا، وإنما هذا ملك نسبيٌّ، أنت مُستَخلف فيه، أما صاحب المُلك التام الغني الحميد، فهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **قال:** ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾، وقال كذلك في الآية التي بعدها: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الحديد: ٢]، كذلك قدَّم ما حقُّه التأخير، فهذا يدل علىٰ الحصر.

﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، من فعل العبد أم من فعل الرب؟ من فعل الرب، هذا من توحيد الربوبية أم من توحيد الألوهية؟ من توحيد الربوبية؛ لأنك لم تصنع شيئًا بفعلك أنت، إنما ستثبت، وقد **قلنا:** هذا النوع من التوحيد توحيد الربوبية يُسمىٰ توحيد معرفة وإثبات، أن تعرف، وأن تثبت أن الله هو الذي يحيي ويميت. **قال:** ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ [الحديد: ٢]، وهذه الآية جامعة عامة لم يدخلها نسخ، فالله عَزَّوَجَلَّ قدير علىٰ كل شيء في هذا الكون، لا يعجزه شيء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

هذا معنىٰ توحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة، فهل نازع المشركون في هذا النوع من التوحيد؟ **يعني:** هل قال أحد المشركين للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: إن الله ليس ربًّا، ليس خالقًا، ليس مدبرًا؟ هل نازع في ذلك أحد من الخلق؟ حتىٰ فرعون الذي **قال:** ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، قال الله عَزَّوَجَلَّ مبينًا ما يستيقنه فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤]، جحدوا بها بألسنتهم، وإنما في قرارة أنفسهم هم يوقنون أشد اليقين أن الله عَزَّوَجَلَّ هو رب هذا الكون، ومدبره، ومصرفه.

المتن

[المشركون لم ينازعوا في توحيد الربوبية.

وهذا التوحيد هو المسمىٰ بـ (توحيد الربوبية)، وهو المستقر في نفوس البشر، لا ينازع فيه أحد من الناس، مسلما كان أو كافرا، كما قال تعالىٰ عن الكفار: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال تعالىٰ عنهم أيضًا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: **إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا، ويميتنا. فهذا إيمان، مع شرك عبادتهم غيره].**

الشرح

فيشركون مع الله عَزَّوَجَلَّ غيره، يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكًا هو لك، تملكه، فأثبتوا لله عَزَّوَجَلَّ توحيد الربوبية، وما ملك، إنما يصرفون العبادة لهذه الآلهة الباطلة.

كذلك المشركون ما كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام تخلق وترزق، وما كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام تنفع وتضر، وإنما كانوا يتخذونها وسيلة يتوسلون بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا كحال كثير من الأمة الآن، يتخذون الأولياء المقبورين وسائل يتوسلون بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يقولون: لا نعبد الحسين، ولا نعبد البدوي، ولا نعبد السيدة، ولا نعبد الدسوقي، ولا نعبد كذا، ولا نعبد كذا، وإنما هؤلاء قوم أطهار نتخذهم وسيلة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نستشفع بهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو شرك المتقدمين.

شرك المشركين الذين جاء إليهم الأنبياء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الزمر: ٣]، ما لسان مقالهم وحالهم؟ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، زلفىٰ يعني: قربىٰ وزنًا ومعنىٰ، ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، فما كانوا يعبدون ذوات الأصنام، وما كانوا يعتقدون أنها هي التي تنفع وتضر، ولذلك الواحد منهم إذا مسَّه الضر لجأ إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما في الرخاء فإنه يصرف العبادة لهذه الأصنام.

المتن

[اعتقاد المشركين أن آلهتهم يتوسل بها إلىٰ الله، لا أنها تخلق وترزق، فلم يكن المشركون يعتقدون أن آلهتهم مشاركة لله في الخلق، بل كانوا يعتقدون أن ذلك لله وحده، وأن آلهتهم يتوسل بها إلىٰ الله، وتُتخذ شفعاء عند الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣]].

الشرح

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾، وكذلك هنا تقديم ما حقه التأخير، الدين الخالص لله، يفيد حصر الدين الخالص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، ولا **يُقال**: إن هذه الآيات نزلت في المشركين الأُول كما يقول كثير من أهل الإلحاد والعلمانيين، وغيرهم، يقولون هذا الكلام، يقولون: الآيات التي نزلت في كفر اليهود، في كفر النصارىٰ، الآيات التي نزلت في الأمر بالجهاد، في الأمر بالقتال في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إنما كانت علىٰ سبب خاص، في أقوام معينين زمن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا كلام باطل.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾، والذين هذه من ألفاظ العموم، فتشمل كل مَنْ اتخذ من دون الله أولياء في أي زمن إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، فالذي يتخذ الأولياء شفعاء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الأزمان حاله كحال المشركين، بل حاله أشد من المشركين الأُول، كما يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لماذا؟

لأن الأُول ما كانوا يلجؤون إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا في الشدة، ما كانوا يلجؤون لأوليائهم في الشدة، وإنما كان يلجؤون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما المشركون الآن ممن ينتسبون إلىٰ أمة الإسلام، فيلجؤون إلىٰ أوليائهم في الشدة، والرخاء، بل الواحد يلجأ إلىٰ البدوي، والحسين وغيرهما في

الشدة أكثر من الرخاء، واضح الكلام؟ المشركون الأُول كان إذا أصاب أحدهم شدة ماذا يصنع؟ يلجأ إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما المشركون الآن إذا أصابتهم شدة لا يلجؤون إلا إلىٰ البدوي، وإلىٰ الحسين، وإلىٰ السيدة، وإلىٰ كذا، وكذا، هذا أولًا.

والأمر الثاني كما بيَّنه شيخ الإسلام: أن المشركين الأُول كان يتخذون عبادًا صالحين آلهة، ووسائل، وشفعاء تقربهم إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فاللات هذا صنم كان في الجاهلية، لكن لماذا صنعوا الصنم للات؟ لأنه كان رجل يلتُّ السويق للحجيج، يأتي بطعام يجففه، ويجهزه، ويقدمه للحجيج، فهذا رجل صالح، فلما مات ماذا صنعوا؟ صنعوا له صنمًا، وصرفوا إليه العبادات، فهذا رجل صالح، والمشركون أيام نوح أشركوا بمَنْ؟ اتخذوا ودًّا، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، وهذه الأسماء كانت لأقوام صالحين.

أما الآن فكثير من هؤلاء يصرفون العبادة لأقوام غير صالحين، بل بعضهم يصرف العبادة للنصارىٰ، يذهب إلىٰ بيوت النصارىٰ وكنائسهم، وإلىٰ أعياد النصارىٰ، وإلىٰ أناس مجهولين لا يُعلم حالهم، ويصرف لهم العبادة، ويخشاهم، ويخافهم من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالمشركون الأُول حالهم أسهل وأقل جُرمًا من حال المشركين في هذا الزمان، وفي كلٍّ شر.

المتن

[وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠]].

الشرح

وقطعًا الجواب أنهم ما خلقوا شيئًا من الأرض، وما لهم شرك في السماوات، وليس معهم كتاب يبين هذا الأمر، يبين أنه حق، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ إضرابًا عن كل ما سبق: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠﴾، والمقصود بالظلم هنا الشرك.

المتن

[وقال تعالىٰ عن مشركي قريش: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٦]].

الشرح

وهذا أيضًا فرق بين مشركي الزمان الأُول، ومشركي الزمان الحالي، الأُول كان يُقال لهم: قولوا لا إله إلا الله، فيأبىٰ الواحد منهم أن يقولها؛ لأنهم كانوا عربًا يفهمون معنىٰ لا إله إلا الله، فإذا قالوها بألسنتهم فلا بد أن يتركوا جميع العبادات التي يصرفونها لأصنامهم، أما الآن فيقولونها بألسنتهم، وفي صلواتهم، ومع ذلك يصرفون العبادة لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٦]، فبرأه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، برَّأ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **بقوله:** ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

المتن

[وقال الله تعالىٰ عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]].

الشرح

يعني: هذا أمر لم يعتادوه، لم يعتادوا أن يصرفوا العبادة لإله واحد، وإنما عادتهم التي اعتادوها أن يصرفوا العبادة لهذه الأصنام المتعددة.

إذا تقرر ما سبق، فلماذا كرَّر الله عَزَّ وَجَلَّ كثيرًا في كتابه توحيد الربوبية، ما الفائدة من ذكر توحيد الربوبية إذا كان المشركون يُقرِّون بهذا النوع من التوحيد؟ إنما كرر الله تعالىٰ هذا التوحيد؛ لإثباته وتأكيده، **هذا أولًا**، ليثبت ويؤكد أنه الرب الخالق المدبر المصرف لهذا الكون.

والأمر الثاني: ليدلل به علىٰ وجوب التوحيد في الألوهية، فإذا كان الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي ينفع، ويضر، ويرزق، ويمنع، ويحيي، ويميت سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويُصرِّف هذا الكون، إذا كان وحده هو الذي يفعل هذه الأمور، فلا يجوز لإنسان أن يصرف العبادة لغيره، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس: ٣١]، كل هذا توحيد ربوبية، ﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

المتن

[وإنما قرر الله تعالىٰ هذا التوحيد لإثباته وتأكيده، وللاستدلال به علىٰ وجوب التوحيد في الألوهية. إذ إن توحيد الربوبية يستلزم ألا يعبد إلا الله. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]].

الشرح

أكمل الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وانتبه أن أول أمر في القرآن أمر بالعبادة، وأول فعل في القرآن العبادة، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، هذا أول فعل، وأول أمر في القرآن كذلك الأمر بالعبادة، لماذا اعبدوا ربكم؟ **قال:** ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]، ولكن ماذا صنع؟ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٢]، فإذا كان الأمر كذلك، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، وهذا أول نهي؛ نهيٌ عن الشرك والتنديد كما كان أول أمر أمراً بالتوحيد.

وقال كذلك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ﴾ [الزمر: ٦]، فهذا توحيد ربوبية، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الزمر: ٦]، هذا توحيد ألوهية، ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، فتجد التلازم دائمًا في القرآن بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: ٣]، فهذا توحيد ألوهية، كما سيأتي تعريفه، ولكن لماذا يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ؟، ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم﴾ [قريش: ٤]، فإطعام الرب لخلقه هذا من فعل الرب أم من فعل العبد؟ هذا من فعل الرب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، إذن هذا توحيد ربوبية، **قلنا:** إن توحيد الربوبية توحيد إثبات ومعرفة، ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش: ٤].

المتن

[فذكر تعالىٰ أنه وحده خالقهم ورازقهم وهذا مما لا يُشكون فيه، وجعل ذلك حجةً عليهم في وجوب إخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: ٥٩- ٦٣]].

الشرح

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: يَقُولُ تَعَالَىٰ آمِرًا رَسُولَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنْ يَقُولَ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، **أَيْ**: عَلَىٰ نعمه عَلَىٰ عِبَادِهِ، مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ، وَعَلَىٰ مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْعُلَىٰ وَالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَأَنْ يُسَلِّمَ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ وَاخْتَارَهُمْ، وَهُمْ رُسُلُهُ وَأَنْبِيَاؤُهُ الْكِرَامُ، عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَكَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَغَيْرُهُ: إِنَّ الْمُرَادَ بِعِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ، **قَالَ**: وَهُوَ **كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢].

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، وَالسُّدِّيُّ -في عباده الذين اصطفىٰ-: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

قال: وَلَا مُنَافَاةَ -**يعني**: لا منافاة بين أن **نقول**: إن عباد الله الذين اصطفاهم هم الأنبياء، أو هم الصحابة-، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مِنْ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ، فَالْأَنْبِيَاءُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَىٰ وَالْأَحْرَىٰ، وَالْقَصْدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ رَسُولَهُ وَمَنِ اتَّبَعَهُ بعدما ذَكَرَ لَهُمْ مَا فَعَلَ بِأَوْلِيَائِهِ مِنَ النَّجَاةِ وَالنَّصْرِ

وَالتَّأْيِيدِ -ذكر قصة صالح، وذكر قبلها قصة سليمان، ثم ذكر بعد قصة صالح قصة لوط، ثم **قال**: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]-، وَمَا أَحَلَّ بِأَعْدَائِهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ وَالْقَهْرِ، أَنْ يَحْمَدُوهُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَأَنْ يُسَلِّمُوا عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ.

ثم قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، **قال**: اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ.

ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَىٰ يُبَيِّنُ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيرِ دُونَ غَيْرِهِ -وهذه أمور من توحيد الربوبية-، **فَقَالَ**: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، **أَيْ**: تِلْكَ السَّمَوَاتُ بِارْتِفَاعِهَا وَصَفَائِهَا، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّيِّرَةِ، وَالنُّجُومِ الزَّاهِرَةِ، وَالْأَفْلَاكِ الدَّائِرَةِ، وَالْأَرْضُ بِاسْتِفَالِهَا وَكَثَافَتِهَا، وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْعَارِ وَالسُّهُولِ، وَالْفَيَافِي وَالْقِفَارِ، وَالْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ، وَالثِّمَارِ وَالْبُحُورِ، وَالْحَيَوَانِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْأَصْنَافِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، **أَيْ**: جَعَلَهُ رِزْقًا لِلْعِبَادِ، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ **أَيْ**: بَسَاتِينَ ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ **أَيْ**: مَنْظَرٍ حَسَنٍ، وَشَكْلٍ بَهِيٍّ، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾، **أَيْ**: لَمْ تَكُونُوا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ إِنْبَاتِ شَجَرِهَا، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُسْتَقِلُّ بِذَلِكَ الْمُتَفَرِّدُ بِهِ، دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، كَمَا يَعْتَرِفُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٦٣]، **أَيْ**: هُمْ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ الْفَاعِلُ لِجَمِيعِ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ هُمْ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِمَّا يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ مَنْ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ؛ وَلِهَذَا **قَالَ**: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، **أَيْ**: أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ يُعْبَدُ. وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ، وَلِكُلِّ ذِي لُبٍّ مِمَّا يَعْرِفُونَ بِهِ أَيْضًا أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ.

ثم شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبيِّن تفسير باقي الآيات بكلام عزيز ينبغي أن يُرجع له.

المتن

[ففي هذه الآيات كلها ينكر تعالىٰ علىٰ المشركين الذين يقرون بأنه تعالىٰ وحده هو خالق السماوات والأرض، وأنه وحده النافع الضار، بأن هذا الإقرار لم ينفعهم، إذ جعلوا مع الله إلها آخر، يدعونه كما يدعون الله.

وهذا عين التناقض المخالف للشرع، والعقل].

الشرح

يعني: هذا تناقض يخالف الشرع، والعقل، الشرع لأن الشرع جاء لإفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، والعقل فهذا لا يُعقل، كيف لإنسان في أمر حياتنا أن يكون سيده هو الذي يعطيه المال، وهو الذي يكسوه، وهو الذي يفيض عليه بالنعم العظيمة، من مسكن، ومأوىٰ، ورعاية، ومأكل، ومشرب، ثم هذا العبد يصرف الخدمة لغير سيده، فهذا لا يُعقل، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من باب أولىٰ، فهذا تناقض في الشرع والعقل.

المتن

[إذ مَنْ تفرد بجميع هذه التصرفات من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فحق أن يُفْرَدَ بجميع أنواع الطاعات.

ولهذا أنكر تعالىٰ عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل تعالىٰ: أخالق مع الله؛ لأنهم لا ينازعون في هذا.

إذا تقرَّر ذلك فقد تقرر بطلان الشرك في الربوبية عقلًا ونقلًا.

وبيَّن الله تعالىٰ بطلان الشرك في الربوبية، وأنه لو كان ذلك لفسدت السماوات والأرض].

الشرح

يعني: لو كان هناك إله مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإما أن يتطاوعا، **يعني**: أن يتفقا، وهذا لا يمكن، لأن هذا جمع بين النقيضين، فهذا يريد أن يحرك هذا، وهذا يريد أن يسكِّن هذا، وإما أن يختلفا، فلا بد أن يكون واحد منهم منازعًا للآخر، ولم نجد هذا التنازع في هذا الكون المُحكم، والأمر الثالث: وهو إما أن يكون لهذا الكون إله واحد، فلو كان لهذا الكون أكثر من إله لفسدت السماوات والأرض.

ونحن نرىٰ في عالم الدنيا الذين يتنازعون علىٰ الكراسي، وعلىٰ الرياسة، هل ينصلح حال البلاد، ويستقر حال البلاد؟ هل يتفقا؟ لا يتفقان، وإنما يحدث التنازع والفتن، وسفك الدماء، وغير ذلك، لماذا؟ لأن الأصل أن يُدير الأمر واحد، وله أعوان، وهذا في عالم الدنيا، ولله المثل الأعلىٰ **فقال**: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سبأ: ٢٢]، وأنه لو كان ذلك لفسدت السماوات والأرض.

المتن

وهذا مدرك أيضا ببداهة العقول، **قال تعالىٰ**: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

الشرح

فلو كان معه إله ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾، فإذا كان الأمر ليس كذلك، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾، **أي**: تنزيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من إشراك غيره في ربوبيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه العبارات الوجيزة، والجمل المختصرة العظيمة بيَّن لنا توحيد الربوبية، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو المستحق بأن يُفرد في ربوبيته، **أي**: في خلقه، وأمره، وملكه، وأن هذا الأمر لم ينازع فيه المشركون، وأنهم ما اعتقدوا أن هذه الآلهة الباطلة تخلق، وترزق، وتنفع، وتضر، وإنما اتخذوها وسائط لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن الله عز جل في كتابه يُكثر من ذكر توحيد الربوبية؛ ليُدلِّل به علىٰ توحيد الألوهية، وأنه وحده هو المستحق لهذا الأمر، ثم بيَّن أن الشرك في الربوبية باطل عقلًا، وكذلك نقلًا.

وبهذا نكون قد انتهينا من الأمر الأول من التوحيد، وهو توحيد الربوبية، وفي الدرس القادم إن شاء الله نتكلم عن النوع الثاني من توحيد الإثبات والمعرفة، وهو توحيد الأسماء والصفات.

❁ **أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.**





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الرابع

إن الحمد لله تعالىٰ نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فما زال الحديث موصولًا في قراءة هذا المعتقد الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يعتقده إذا أراد النجاة في الدنيا والآخرة، ونحن بحمد الله وفضله نقرأ في كتاب **(المعتقد الصحيح)** للشيخ عبد السلام بن بَرْجَس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكنا في الدرس الماضي قد تكلمنا عن التوحيد، وعلىٰ أن التوحيد ينقسم أقسامًا ثلاثة: ينقسم إلىٰ توحيد الربوبية، و**قلنا**: معناه أن تُفرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالخلق، والرزق، والتدبير، والملك، **يعني**: أن تُفرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأفعاله هو.

و**قلنا**: إن المشركين لم ينازعوا الرسل في هذا النوع من التوحيد، و**قلنا**: إن القرآن أكثر من ذكر هذا النوع من أنواع التوحيد؛ ليُدلِّل به علىٰ أن المستحق للعبادة وحده هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان الذي يرزق، ويخلق، ويدبر، ويتصرف في هذا الكون، وينفع، ويضر، ويحيي، ويميت= إذا كان الذي يفعل كل هذه الأمور هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا شك أنه هو المستحق للعبادة دون مَنْ سواه.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يذكر في كتابه المجيد، في قرآنه الذي يُتلىٰ إن أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها هذا النوع من التوحيد، يذكر خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للعباد، ورزقهم، وكذلك إحياءهم،

وإماتتهم، ونفعهم، وضرهم، وأن كل ذلك موكول لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذن هو الذي يستحق العبادة لا هذه الأصنام التي تُعبد من دون الله.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ النوع الثاني من أنواع التوحيد الذي يجب علىٰ المسلم أن يعتقده، وهو توحيد الأسماء والصفات، وهذا النوع من العلم من أشرف أنواع العلوم، وذلك كما قال أهل العلم: إن شرف العلم من شرف المعلوم، فالذي سيُعلم، والذي ستتحدث عن أسمائه وصفاته هو الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو أشرف معلوم، وبالتالي فالعلم الذي يتحدث عن ذلك لا بد أن يكون أشرف العلوم.

وأشرف العلوم علىٰ الإطلاق هو علم التوحيد، ومنه العلم بأسماء الله وصفاته، ولذلك لما كان هذا العلم شريفًا لهذه الدرجة وجدنا القرآن قد كثرت آياته التي تتحدث عن أسماء الله وصفاته، فنادرًا ما تجد آية في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا ويُذكر فيها اسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكثير من الآيات تُختم بأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المناسِبة للأمور التي وردت في هذه الآية، حتىٰ إن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: إن ذكر صفات الله تعالىٰ في القرآن أكثر من ذكر الجنة، وما فيها من النعيم المقيم والملذات، من طعام، وشراب، ونكاح، وغير ذلك.

يعني: أسمىٰ ما يرنو إليه، وما يصبو إليه المسلم أن يدخل هذه الجنة، التي لا يعيش في هذه الدنيا إلا من أجل العمل لكي ينالها ويفوز بالنظر إلىٰ وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ لشرف هذا العلم الذي هو الأسماء والصفات يُكثر من ذكر أسمائه وصفاته أكثر من ذكره للجنة، وطعام الجنة، وشراب الجنة، ونعيم الجنة.

ومما يدل كذلك علىٰ شرف هذا العلم -العلم بأسماء الله وصفاته- أننا وجدنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: إن أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي، فلما بحثنا عن سبب عِظم آية الكرسي، وجدنا أن السبب في ذلك أن الآية من أولها إلىٰ آخرها لا تتكلم إلا عن أسماء الله وصفاته، فلا تذكر حكمًا فقهيًّا، ولا تتكلم عن الأمم السابقة، وإنما الآية من أول قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلىٰ آخر الآية لا تتكلم، ولا تذكر إلا اسمًا من أسماء الله، أو صفة من صفاته، ولذلك كانت أعظم آية في الكتاب.

ووجدنا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: إن أعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة، فلما نظرنا لما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه السورة أنها أعظم سورة، وجدناها كذلك لأنها تتكلم عن توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنواعه الثلاثة، ففيها توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ولما وجدنا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن، وأنه قال للصحابي الذي يحبها: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»، لما نظرنا في معاني هذه السورة، وجدنا أن هذه السورة لا تتكلم إلا عن أسماء الله وصفاته، فهي سورة خُلِّصت للكلام عن الله تعالىٰ حمداً وتسبيحًا، فأعظم آية تتكلم عن الأسماء والصفات، وأعظم سورة تتكلم عن الأسماء والصفات، وكذلك سورة في القرآن قراءتها تعدل ثلث القرآن، فهذا يدل علىٰ شرف هذا العلم.

يشرف كذلك هذا العلم؛ لأنه الباب إلىٰ معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ أراد أن يعرف ربَّه ليحسن عبادته فلن يلج إلا من هذا الباب، لن نستطيع أن تعبد ربك إلا إن عرفتَه من خلال أسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسنة، ولذلك يقول أبو القاسم التيمي، ويُسمىٰ بقِوام السنة، وله كتاب يُسمىٰ الحجة في بيان المحجة، **يقول في كلام ما معناه**: لو أن الواحد منا جاءه رجل ليتزوج ابنته، أو ليعامله في تجارة، فإنه لن يزوجه ابنته، ولن يعامله في تجارة إلا بعد أن يسأل عن اسمه، ونسبه، ويسأل عن كل ما يتعلق بهذا الشخص، والله الذي خلقنا، ورزقنا، ونرجو رحمته، ونخشىٰ عقابه هو أحق أن يُتعرف عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ هي السبيل إلىٰ محبته، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **قال**: مَنْ عرف الله بأسمائه وصفاته أحبَّه لا محالة.

مَنْ عرف الله بأسمائه وصفاته، مَنْ استخرج الأسماء التي وردت في الكتاب والسنة، وعلم معناها، وعمل بمقتضاها، لا بد أن يحب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ.

المتن

المعتقد الصحيح في الأسماء والصفات

[ومن جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة:

أنهم يثبتون لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، لا يتجاوزون القرآن، والحديث الثابت عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ].

الشرح

إذن هنا **يقول**: إن طريقة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات أنهم يثبتون ما أثبته الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مع تحاشي أربعة أمور، فهناك أربعة أمور ينبغي أن يتجنبها المرء في إثبات الأسماء والصفات: من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، نثبت الأسماء والصفات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ما معنىٰ هذا الكلام؟

ما معنىٰ التحريف؟ **يعني**: لا تحرِّف في الأسماء والصفات، **نقول**: التحريف في الأسماء والصفات هو أن تغير اللفظ، أو تغير المعنىٰ، أن يغير المرء اللفظ، صفة من صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يغير لفظها، أو أن يغير معناها، فهذا يقال فيه: أنه قد حرَّف في الأسماء والصفات، يعني مثل ماذا؟ مثل ما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يثبت الكلام نفسه، فالله عَزَّوَجَلَّ يتكلم، تكلم بهذا القرآن، سمعه جبريل، ثم جاء به إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالله عَزَّوَجَلَّ قال في كتابه مثبتًا الكلام لنفسه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، إذن مَنِ الفاعل؟ الله، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، ومَنِ المُكلَّم؟ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولذلك موسىٰ يُسمىٰ بكليم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

هناك فرقة تُسمىٰ بالمعتزلة يقولون: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتكلم كلامًا حقيقيًّا، عياذًا بالله، وهي من الفِرَق الضالة، فماذا تفعل هذه الفرقة مع هذه الآية؟ والله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه صراحةً: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، فيأتون إلىٰ هذه الآية، ويجعلون المرفوعَ منصوبًا، لأن موسىٰ اسم مقصور، لا تظهر العلامة عليه، **يعني**: لا تظهر الفتحة، ولا الضمة،

ولا الكسرة، فيقرؤون الآية هكذا: وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، إذن جعلوا مَنِ المتكلم؟ جعلوا المُتكلم موسىٰ، أو حملوه علىٰ المجاز!!، مع أن الله أكد كلامه بقوله «تكليما» والتوكيد ينفي المجاز. إذن هنا حرَّفوا في اللفظ.

وأما التحريف في المعنىٰ، فقد **قلنا**: التحريف هو تغيير اللفظ أو المعنىٰ، كما فعلت الأشاعرة، وهي فِرْقة كذلك من الفِرَق التي انحرفت في هذا الباب، الله عَزَّوَجَلَّ **يقول**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، في كم آية يقول إنه استوىٰ علىٰ العرش سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟ في سبع آيات، استوىٰ في لغة العرب، والقرآن نزل بلغة العرب، بمعنىٰ علا وارتفع وظهر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ علا وارتفع علىٰ العرش كما سيأتي الإيمان بالعرش، فهذا هو المعروف في لغة العرب، **فقالوا**: إن استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ وملك، لا بمعنىٰ علا وارتفع، إذن هنا حرَّفوا في اللفظ أم في المعنىٰ؟ حرَّفوا هنا في المعنىٰ.

فالتحريف لا يجوز سواء أكان في اللفظ أو في المعنىٰ، إنما نثبت اللفظ، وكذلك المعنىٰ الذي تضمنه هذا اللفظ.

نقول: من غير تحريف، ولا تعطيل، التعطيل بمعنىٰ التخلية، والترك، **يُقال**: جِيد معطَّلة، ما معنىٰ الجِيد؟ الجِيد الرقبة، مُعطَّلة، **يعني**: خالية من الحُلي، **قال تعالىٰ**: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ [**الحج**: ٤٥]، ما معنىٰ بئر مُعَطَّلة؟ **يعني**: خاوية، خالية، متروكة، فهذا هو التعطيل، هذا بالنسبة للغة، أما التعطيل في الأسماء والصفات فهو إنكار ما يجب لله من أسماء وصفات، عياذًا بالله.

وهذا الإنكار قد يكون كليًّا، **يعني**: أن ينكر المرء كل اسم من أسماء الله، وكل صفة من صفاته، فهذا كفر عياذًا بالله، **فيقول**: إن الله لا يُسمىٰ سميعًا، ولا بصيرًا، ولا عليمًا، ولا حكيمًا، فيردُّ كل ما جاء في الكتاب من أسماء، وكذلك الله عَزَّوَجَلَّ لا يسمع، ولا يبصر، ولا يحب، ولا يضحك، ولا يستوي، ولا يغضب، ولا يكره، مَنْ الذي قام بذلك فنفىٰ كل الأسماء والصفات؟ الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، فهذا تعطيل كليٌّ.

أو تعطيل جزئي، **يعني**: يثبت بعض الأسماء، ويُعطِّل الأسماء، ويثبت بعض الصفات، ويعطِّل باقي الصفات؛ كالأشاعرة، فالأشاعرة لا يثبتون لله عَزَّوَجَلَّ إلا سبعة أسماء فقط، ما الأسماء التي يثبتها الأشاعرة؟ العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. يثبتون لله هذه الأسماء السبعة فقط، جمعها بعضهم وهو السفاريني في بيت شعر **فقال**:

حَيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ له ... إرادةٌ وكذلك السمع والبصر

حَيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلامُ له، هذه أربعة، إرادةٌ خمسة، وكذلك السمع والبصر سبعة، فيثبتون بعض الأسماء، ويُعطِّون باقي الأسماء، أو باقي الصفات، فهذا أيضًا ضلال.

إذن نثبت أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، ما معنىٰ من غير تكييف؟ **يعني**: لا نُكيِّف، لا نجعل كيفية معينة للصفات، **لا نقول**: استواء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هيئته كذا، أو يد الله عَزَّوَجَلَّ هيئتها أو صورتها كذا، أو سمع الله عَزَّوَجَلَّ هيئته، وصورته كذا، فلا نُكيِّف صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ولا نمثِّلها، ما معنىٰ لا نمثِّلها؟ **قال تعالىٰ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، **يعني**: **لا نقول**: يد الله كيدي، أنا بذلك مثَّلتُ، سمع الله كسمعي، وبصر الله كبصري، وعين الله كعيني، هذا تمثيل، هذا لا يجوز، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، إنما ماذا نصنع؟ نثبت الصفة، ومعنىٰ الصفة، وأما الكيفية فلا يعلمها إلا الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

إذن هذا الذي يعتقده أهل السنة، وطريقة أهل السنة في الأسماء والصفات، يثبتون ما أثبته الله لنفسه، أو علىٰ لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من غير أربعة أمور: من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. التحريف والتعطيل هذه طريقة النفاة، والتمثيل والتكييف هذه طريقة الممثلة المكيفة وكلاهما ضلال.

أحد الطلاب:...

الشيخ: الأولىٰ والأدق أن يستخدم لفظ التحريف، لا التأويل، لأن التأويل منه ما هو جائز بشروطه، ومنه ما لا يجوز، أما التحريف فكله باطل، فالأولىٰ أن **يُقال**: محرفًا.

المتن

[يثبتون ألفاظ ذلك].

الشرح

يعني: ألفاظ الصفات التي وردت في الكتاب، يثبت أن الله يسمع، ويبصر، ويضحك، ويأتي، ويجيء يوم القيامة، ويغضب، ويرضىٰ عن أقوام، ويسخط علىٰ آخرين، كما جاء في الكتاب والسنة، فهو أعلم بنفسه، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خاطبنا بلساننا بلسان العرب قال عن نفسه ذلك، لماذا لا نثبت له ما أثبته لنفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق به أخبرنا بذلك.

المتن

[يثبتون ألفاظ ذلك، ويعلمون معناها في لسان العرب الذي نزل به القرآن، ويفوِّضون الكيفية لله تعالىٰ -أما الكيفية فلا يعلمها إلا الله-؛ لأن الله تعالىٰ قد اختص بها فلم يُطلِع عليها أحدًا من البشر.

فهم ينطلقون في هذا الباب الخطير -لأن هذا الباب قد يؤدي للكفر عياذًا بالله- من أسس شرعية ثابتة من لزمها سلم من الانحراف].

الشرح

من أين استمدوا هذه الأسس؟ أهل السنة عندهم قاعدة، ما هي هذه القاعدة؟ أنهم يستدلون أولًا، يبحثون عن الدليل في الكتاب والسنة، ويجمعون الأدلة ثم بعد ذلك يخرجون بقاعدة، **يعني**: لا يعتقدون أولًا، ثم يبحثون عن الدليل؛ ليؤيد المعتقد، لا، هم يستدلون أولًا، يجمعون الأحاديث، والآيات، ثم بعد ذلك تكون عندهم العقيدة والقاعدة.

علىٰ خلاف أهل البدع، ماذا يصنع أهل البدع؟ يعتقدون أولًا، عندهم عقيدة ثابتة راسخة، فإذا جاءت آية تخالف ما عندهم من الهوىٰ، ماذا يصنع؟ إما أن يرد الآية، وإما أن يحرفها، أو أن يرد الحديث، يطعن فيه، يحرفه، فهذه ليست طريقة أهل السنة والجماعة، أما أهل السنة فهم ينطلقون من أسس شرعية، مَنْ لزمها سلم من الانحراف.

مِن هذه الأسس والقواعد أن يعلم السنيُّ أن الأسماء والصفات توقيفية، الأسماء والصفات أمرها توقيفي، ما معنىٰ التوقيفي؟ التوقيفي واضح من اللفظ معناه، التوقيفي يعني ما توقف، هكذا يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مذكرته علىٰ الواسطية، **يقول**: التوقيفي ما توقف إثباته أو نفيه علىٰ الكتاب والسنة.

أسماء الله توقيفية **يعني**: تتوقف في إثباتها ونفيها علىٰ الكتاب والسنة، فأنا أُسمِّي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميعًا، ما الدليل؟ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤]، إذن توقف إثبات اسم الله السميع علىٰ الآية، فإذا جاءت الآية به أثبته لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا نظرت في هذا الكون ووجدتُ إحكامه ونظمه العجيب، وعدم اضطرابه، فسميتُ الله مهندسًا. **نقول**: هذا غلط.

لأنك لو بحثت في كتاب الله فلن تجد الله وصف بها نفسه، أو سمَّىٰ بها نفسه، لو بحثت في سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن تجد السنة ورد فيها هذا الاسم، فلا أثبت هذا الاسم لله، وإن كان هذا الاسم بالنسبة للناس اسم مدح، فلان هذا مهندس، هذا مدح له، دكتور هذا مدح له، وإنما لا يتعلق هذا الباب بالعقل، **يعني**: لا أثبت اسمًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن عقلي استحسنه، إنما أثبت ما ورد في الكتاب والسنة.

❁ **فالقاعدة الأولىٰ**: أن الأسماء والصفات توقيفية.

❁ **القاعدة الثانية**: أن الأسماء والصفات محكمة في معناها، متشابهة في حقيقتها، ما معنىٰ محكمة في معناها؟ **يعني**: الله سمَّىٰ نفسه سميعًا، أنا أعلم معنىٰ السميع، إنما كيفية سمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هل أعلمها؟ حقيقة السمع هل أعلمه؟ لا أعلمه، إذن ما معنىٰ متشابه؟ **أي**: استأثر الله بعلم كيفيته، إما المعنىٰ فأنا أعرفه لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، إذن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته محكمة في معناها، متشابهة في حقيقتها، وكيفيتها.

❁ **القاعدة الثالثة**: أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير محصورة في عدد معين، وكذلك صفاته؛ لأن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غير محصورة في عدد معين، ما الدليل علىٰ ذلك؟ الدليل بيَّنه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال في حديث الكرب: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ،**

«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ»، انتبه معي: «سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ»، أين؟ في الكتاب والسنة، «أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، هذا هو الشاهد، «أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ»، ما معنىٰ استأثرت؟ **يعني**: لم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، فاستأثر الله عَزَّوَجَلَّ عنده.

ويقول الشيخ ابن عثيمين: فكما في الحديث فإن ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلىٰ الإحاطة به، طالما أن الله عَزَّوَجَلَّ استأثر بعلمه، فهذا لن نستطيع أن نصل إليه، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»، ولو كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم كل الأسماء والصفات، وهو سيد المتعبدين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحصىٰ ثناء علىٰ ربه، ولكن لما **قال**: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»؛ لأن هناك من الأسماء ما يُتعبد الله بها لم يُطلع عليها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **الدليل الثالث**: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الشفاعة يوم القيامة **يقول**: «فَيَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي»، فهي محامد يعلمه إياها في هذا الموضع، **أي**: يثني علىٰ الله بأسماء وصفات لم يتعلمها قبل ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قد يرد هنا إشكال **يقول**: كيف أن الأسماء غير محصورة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول**: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، فهذا حصر؟ **فنقول**: لا تعارض بين الحديثين، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣]، هذا وحي من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يتعارض، ولذلك جمع العلماء بين الحديثين، قالوا **نقول**: إن الله عَزَّوَجَلَّ أسماؤه غير محصورة، أما معنىٰ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»، هي كقول القائل: إن عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، هل يُفهم من قولي: إن عندي مائة جنيه أعددتها للصدقة، أنه ليس عنده إلا مائة جنيه؟ لا، بل عنده غيرها، فالله أعلمنا تسعة وتسعين اسمًا مَنْ تعبد الله بها دخل الجنة، وليس معنىٰ ذلك أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس له غير هذه الأسماء.

❁ **القاعدة الرابعة**: وهذه القاعدة مهمة جدًّا، وهذه تفيد في التعبد لله عَزَّوَجَلَّ في الأسماء والصفات، أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى **على قسمين**:

۞ **أما القسم الأول**: فهي الأسماء المتعدية، ما معنى الأسماء المتعدية؟ **يعني**: ترى أثر اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذا الكون، **يعني**: الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه الرحيم، هل هناك آثار تدل على رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذا الكون؟ نعم، ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه الخالق، من أسمائه الرؤوف، الرازق، هل هناك أثر لرزق الله عَزَّوَجَلَّ للخلق في هذا الكون؟ نعم، فهذا يُسمى اسمًا متعديًا.

۞ **القسم الثاني**: هناك أسماء لازمة، **يعني**: لا يتعدى أثرها للمخلوقين؛ كاسم الله الحي، الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه الحي، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ﴾ [الفرقان: ٥٨]، **وقال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ [آل عمران: ٢]، فمن أسمائه الحي سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، حياة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تختص به، فلا يتعدى أثرها بخلاف صفة الإحياء، فإنها يتعدى أثرها للخلق.

إذن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ إما متعدية، وإما لازمة، ولكن كيف الإيمان بالأسماء المتعدية؟ أن تثبت أمورًا ثلاثة: تثبت الاسم، والصفة التي تضمنها هذا الاسم، والأثر الذي يدل عليه هذا الاسم في الكون، تقول: هذا من رحمة الله، **يعني**: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة من الغزوات جاءت امرأة من السبي تبحث عن ولدها، ونحن نعلم منزلة الولد عند أمه، فكانت تطرق كل مَنْ حولها إلى أن وجدَتْ ولدها، فألصقته في صدرها وأخذت ترضعه، الصحابة يقفون وينظرون ويتعجبون من حال هذه المرأة.

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» **قُلْنَا**: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، ولكن لمحبتها ورحمتها بولدها لا تفعل ذلك، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْمَرْأَةِ بِوَلَدِهَا**».

والله كنتُ مرةً في عمرة من العمرات، وعمرة رمضان تكون مزدحمة، امرأة ضاع منها ولدها، واللهِ أخذَتْ تبحث عن ولدها كالمجنونة، وأخذ الناس يبحثون معها، سبحان الله! امرأة لا تعرف أحدًا ممن حولها، تتفرس في وجوه الصغار والكبار تبحث عن ولدها، فما أن وجدَتْ

صغيرها إلا وضمته إلىٰ صدرها، وكل مَنْ عنده كلمة يتكلم، قال رجل بجواري: الله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها، والله لقد قفَّ شعري، علمتُ الإحساس أو الدرس الذي أراد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه إلىٰ أصحابه من خلال هذا المشهد الذي رآه أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا كان الاسم متعديًا ماذا نصنع؟ نثبت أمورًا ثلاثة، نثبت الاسم، والصفة، والأثر الذي يدل عليه هذا الاسم، فإذا كان الاسم لازمًا نثبت أمرين: نثبت الاسم، وما تضمنه من الصفة.

۞ كذلك من قواعد أهل السنة، وهذه القاعدة مُستقاة من القرآن والسنة، وقد **قلنا**: إنهم يستدلون، ثم يعتقدون، أنهم يثبتون إثباتًا تفصيليًّا، **يعني**: نثبت لله عَزَّوَجَلَّ صفاته إثباتًا تفصيليًّا، وهذا أكثر القرآن، الصفات الثابتة لله، نثبت السمع، والبصر، والإرادة، والقدرة، والحياة، والفرح، نثبت كل ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه، وكلها صفات مُثلىٰ، فالإكثار من الصفات الثبوتية هذا فيه كمال لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

يعني أنت عندما تتكلم عن إنسان فتقول: والله هذا الإنسان كريم، شريف، جواد، مقدام، شجاع، عالم جليل، وتذكر كثيرًا من الصفات الثابتة له، هذا فيه مدح أم ذم؟ مدح، ولذلك أكثر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن من الصفات الثابتة، **أي**: الثبوتية، أهل السنة ماذا يصنعون؟ يُفصِّلون في الإثبات، وعند النفي -تنزيه- يُجملون، إذا أراد أهل السنة أن ينفوا عن الله عَزَّوَجَلَّ صفة من الصفات يكون النفي كما جاء في القرآن علىٰ سبيل الإجمال، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، هذا نفي مجمل.

تجد الصفات المنفية تفصيلاً في القرآن قليلة جدًّا: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إنما الصفات الثابتة كثيرة، لماذا؟ لأن هذا أدعىٰ في إثبات الكمال، عندما أقول: هذا الرجل لا عيب فيه، فهذا كمال، لكن عندما أتكلم عن فلان من الناس، فأقول: هذا الرجل ليس بزبال، ولا كنَّاس، ولا مجرم، ولا سفَّاك للدماء، ولا آكل لحقوق الناس، ولا يزني، ولا يسرق، هذا التفصيل في النفي هذا كأنني أشتمه، كأنني أقول: إن هذه الصفات موجودة فيه، إنما لو قلت: هذا الرجل ليس به عيب، هذا الرجل يخلو من صفات

النقص، أربع كلمات، أو ثلاث كلمات نفيتُ بها ما أريد أن أنفيه، فهذا سبيل إلىٰ إثبات الكمال بخلاف التفصيل فيها.

ولكن ماذا صنع أهل البدع من الجهمية المعطلة؟ عكسوا الأمر، **يعني**: أجملوا في الإثبات، وفصَّلوا في النفي، **يقول**: الله عَزَّوَجَلَّ ليس بجسم، ولا بعرض، ولا بجوهر، وليس بجاهل، وليس بمتكلم، وليس بسميع، ولا بصير، ولا يجيء يوم القيامة، ولا يفعل كذا، ولا يفعل كذا، إذن فصَّلوا في النفي، وأجملوا في الإثبات، هذه ليست طريقة أهل السنة، طريقة أهل السنة ماذا يصنعون؟ أنهم يثبتون إثباتًا تفصيليًّا، أما النفي فيُجملون؛ لأن الإجمال في النفي أكمل، وأعم في التنزيه، والتفصيل في الإثبات أبلغ في المدح، ولذلك وجدنا الصفات المُثبتة في الكتاب أكثر بكثير من الصفات المنفية.

۞ **النفي يستلزم إثبات كمال الضد**: هذا النفي الذي ورد في القرآن، فالله عَزَّوَجَلَّ **يقول**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، نفىٰ عن نفسه السِّنة، وهي مقدمة النوم، والسنة تكون في العين، فإذا انتقلت إلىٰ القلب فهذا هو النوم، فنفىٰ عن نفسه السِّنة والنوم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هذه الصفة المنفية عن الله عَزَّوَجَلَّ تستلزم إثبات كمال الضد، **يعني**: لو أنني نفيت عن الله عَزَّوَجَلَّ السنة والنوم فإنني أثبت له كمال القيومية والحياة سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[فصلت: ٤٦]، أنفي عنه الظلم، وأثبت له كمال العدل، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ [مريم: ٦٤]، أنفي عن ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النسيان، وأثبت له كمال الإدراك، كمال الإحاطة سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ. إذن الصفات المنفية تستلزم ماذا؟ إثبات كمال الضد؛ لأن النفي المحض ليس بكمال.

هذه بعض القواعد التي ذكرناها بين يدي هذا الكلام، فتصبح الكلمات التي ذكرها المصنف بعد ذلك سهلة ميسورة.

المتن

[فهم ينطلقون في هذا الباب الخطير من أسس شرعية ثابتة من لزمها سلم من الانحراف:

الأول: وصف الله تعالىٰ بالصفات الواردة في القرآن والحديث -لأن الأسماء والصفات توقيفية كما قلنا-.

أول ذلك: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون زيادة أو نقصان؛ لأنه لا أحد أعلم بالله تعالىٰ من نفسه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠].

ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فمن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، كما قال سلفنا الصالح-، **قال تعالىٰ:** ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] -**يعني: ما هو إلا وحي يُوحىٰ، فالقرآن كالسنة وحي من الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

كذلك الله جَلَّ جَلَالُهُ لا يشبه المخلوقات:

الثاني: تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة المخلوقات في صفاته، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] -**أي:** شبيهًا ونظيرًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-].

الشرح

فكما أن -هكذا قال أهل العلم- ذات المخلوق تختلف عن ذات الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فصفة المخلوق كذلك تختلف عن صفة الخالق، فقال أهل العلم: الفرق بين ذات المخلوق وذات الخالق هو كالفرق بين صفة المخلوق، وصفة الخالق، أو تستطيع أن تعكسها، الفرق بين صفة المخلوق وصفة الخالق كالفرق بين ذات المخلوق، وذات الخالق، فكما أن ذات المخلوق لا تشبه ذات الخالق، فكذلك صفة المخلوق لا تشبه صفة الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه **قال:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورىٰ: ١١].

المتن

[لا يدرك أحد كيفية صفاته تعالىٰ].

الشرح

لا نستطيع أن ندرك كيفية الصفات لماذا؟ لأمور ثلاثة:

❁ **الأول**: لأننا لم نرَ الله، لن نراه إلا في الجنة، نسأل الله أن يرزقنا الفردوس الأعلىٰ.

❁ **الثاني**: ولم نرَ مثيلاً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **قال تعالىٰ**: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

❁ **الثالث**: لم يأتنا خبر مُصدَّق عن معصوم بالكيفية، لم يأتنا خبر صادق عن معصوم؛ لأن عصمة الأفراد انتهت بموت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن لا نستطيع أن نكيف الصفات لهذه الأمور الثلاثة: لم نَرَ الله، لم نَرَ نظيرًا وشبيهًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لم يأتنا خبر صادق عن معصوم.

ولذلك عبد الرحمن بن مهدي، وانظر إلىٰ حكمة السلف، ما كانوا يطيلون في عرض الشبهات، والرد علىٰ الشبهات، جاءه غلام فقال له: إني أجد في صدري شيئًا من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كيفية الصفات، والشيطان كثيرًا ما يوسوس لابن آدم، لا يزال الشيطان بالإنسان يقول له: مَنْ خلق كذا؟ مَنْ خلق كذا؟ حتىٰ يقول له: مَنْ خلق الله، عياذًا بالله، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكأن هذا الغلام جاء إلىٰ ابن المهدي يذكر له شيئًا مما في صدره، فأراد أن يُذهب كل ذلك عنه، فقال له: هل تعلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل وله ستمائة جناح؟ **قال**: نعم، أعلم. **قال**: فلو أنني جئتكَ بطائر، ونحن نعلم أن كل طائر له جناحان، وجئتُك بجناح ثالث، وقلت لك: ضع لي هذا الجناح أين ستضعه؟ علىٰ ظهره، في بطنه، علىٰ ذيله، علىٰ رأسه، ستحتار، أين ستضع هذا الجناح؟

فما بالك بمخلوق من المخلوقات له ستمائة جناح، وليس ستمائة ريشة، بل جناح، فما موضع هذه الأجنحة، كل جناح سدَّ الأفق، هذا الأفق المستطير العريض الذي تراه، كل جناح سدَّ الأفق، فأين موضع باقي الأجنحة، فإذا كان هذا في المخلوق لا تستطيع أن تكيفه، وأن تصفه، فما بالك بصفة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!، فذهب ما في صدر الغلام، فلا نستطيع أن نُكيِّف صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه تعالىٰ **قال**: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، و**قال**: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

أثبت الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه صفات كثيرة، ذكر المصنف بعضها، **فقال**: إنه ذكر صفة الاستواء علىٰ العرش.

المتن

[فمن صفاته تعالىٰ ما نصَّ الله تعالىٰ عليه بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، في مواضع من القرآن].

الشرح

في مواضع من القرآن، كم موضع قلنا؟ في سبعة مواضع: الأعراف، يونس، الرعد، طه، الفرقان، الحديد، السجدة.

فالله عَزَّوَجَلَّ يقول مواضع سبعة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فهذا التكرار يُستفاد منه إثبات استواء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ استواءً حقيقيًّا؛ لأن الاستواء لو كان له معنىٰ غير العلو لذكر الله عَزَّوَجَلَّ في أحد هذه المواضع الاستواء بالمعنىٰ المخالف لمعنىٰ الاستواء الذي هو العلو والظهور، فصار معنىٰ العلو والارتفاع هو النص الذي لا يحتمل معنىٰ غيره في هذه المواضع السبعة.

المتن

[فيستفاد منها: إثبات استواء الله علىٰ العرش استواءً حقيقيًّا، نعرف معناه، ونجهل كيفيته.

معنىٰ الاستواء علىٰ العرش:

فمعناه: العلو والارتفاع. بذا جاء لسان العرب، واتفق علىٰ هذا المعنىٰ أهل السنة والجماعة].

الشرح

قال: معنىٰ الاستواء علىٰ العرش، ولكن ما هو العرش؟ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، العرش في اللغة هو سرير الملك الخاص به، العرش في لغة العرب سرير الملك الذي يجلس عليه: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، **يعني**: السرير الذي تجلس عليه ملكة سبأ، وأما العرش في الشرع فهو ما استوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، سرير استوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وعلا وارتفع عليه، ولكن الكيفية لا نعلمها؛ أي كيفية الاستواء.

والعرش من أعظم المخلوقات، أكبر المخلوقات التي نعلمها هو العرش، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ»، الكرسي وليس العرش، الكرسي هذا موضع قدم الرحمن، **يعني**: كهذا الجنيه الحديد تلقيه في صحراء، فما النسبة بين حجم الجنيه، وحجم الصحراء؟ لا نسبة، وأما العرش فلا يعلم قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ما ذُكر له نسبة في الحديث لتعلم أنه من أعظم المخلوقات لا يقدر قدره إلا الله.

والعرش وُصِف في القرآن بصفات تدل علىٰ عظمته: وُصف بأنه عظيم، ووُصف بأنه مجيد، ووُصف بأنه كريم: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥]، ﴿هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الكرب **قال**: «رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»، فدائمًا العرش يُوصف بصفات تدل علىٰ كرمه أي حُسنه وجميل صفاته، وعلىٰ عظمته، وعلىٰ خلقه العظيم.

المتن

[أما كيفية هذا الاستواء فلا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

ثم ذكر بعد ذلك صفة السمع والبصر، **قال:**

ومن ذلك أيضا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]].

الشرح

لكن بقيت نقطة في مسألة الاستواء، وهي الكلام عن علوِّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكذلك معية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لخلقه، وهذا الكلام قد يطول، فإن شاء الله نرجئه للدرس القادم.

أحد الطلاب:...

الشيخ: الكريم قد يُوصف به الخالق، وقد يُوصف به المخلوق، وقد يُوصف به كذلك الجماد؛ لأن الكرم ليس معناه دائمًا الجود، **يعني:** الناس دائمًا تفهم معنىٰ الكرم بمعنىٰ الجود، والإحسان، فهذا ليس هو المعنىٰ الدائم للكرم في لغة العرب، وإنما الكرم قد يكون بمعنىٰ النبل، وبمعنىٰ المكانة العالية الرفيعة.

أحد الطلاب:...

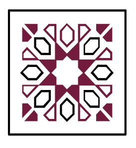
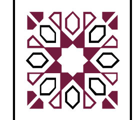
الشيخ: ويدل عليه كذلك المجد، ولذلك وُصف العرش بأنه مجيد، وبأنه كريم، فليس الكريم هنا بمعنىٰ الكرم المعروف الذي هو العطاء الذي لا ينقطع، الكرم هنا الذي وُصف به العرش، **أي:** العرش النبيل عظيم القدر والمكانة، وراجع في ذلك تفاسير السلف.

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، **يُقال:** أحجار كريمة، الأحجار الكريمة **يعني:** نبيلة، **يعني:** نفيسة، فهذا هو المعنىٰ في وصف العرش.

❁ سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلىٰ اللهم وسلم وبارك علىٰ النبي، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.




الدرس الخامس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ النبي الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما زال حديثنا موصولًا في قراءة هذا الكتاب النافع (المعتقد الصحيح الذي ينبغي علىٰ كل مسلم أن يعتقده)، وكنا قد بدأنا في الدرس الماضي في الكلام علىٰ المعتقد الصحيح في توحيد الأسماء والصفات، وكان من جملة ما قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المتن

[ومن جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة:

أنهم يثبتون لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، لا يتجاوزون القرآن، والحديث الثابت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يثبتون ألفاظ ذلك، ويعلمون معناها في لسان العرب الذي نزل به القرآن، ويفوِّضون الكيفية لله تعالىٰ؛ لأن الله تعالىٰ قد اختص بها فلم يُطلِع عليها أحدًا من البشر].

الشرح

ثم ذكرنا بعض القواعد التي ينبغي علىٰ كل مسلم أن يتعلمها، ومن هذه القواعد:

أن أسماء الله وصفاته توقيفية، وأنها كذلك غير محصورة، وأنه لا يتم الإيمان بالأسماء إذا كانت متعدية إلا بإثبات ثلاثة أمور: بإثبات الاسم، والصفة التي تضمنها هذا الاسم، وكذلك الأثر.

وأما إن كان الاسم لازمًا فالإيمان به يقوم علىٰ أمرين: أن تثبت الاسم، ثم بعد ذلك تثبت الصفة التي تضمنها هذا الاسم.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المتن

[فمن صفاته تعالىٰ ما نصَّ الله تعالىٰ عليه بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

في مواضع من القرآن، فيستفاد منها: إثبات استواء الله علىٰ العرش استواء حقيقيًّا، نعرف معناه، ونجهل كيفيته].

الشرح

وهذا القول الذي قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أن معنىٰ الاستواء معلوم، وأن كيفه مجهول بالنسبة لنا، هذا قاله مالك لما دخل عليه أحد المبتدعة، وسأله عن الاستواء، **أي**: عن كيفية الاستواء، فما كان من مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أن **قال**: الاستواء غير مجهول، **أي**: معلوم المعنىٰ، والكيف غير معقول، **أي**: مجهول الكيفية، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهذا هو أصح لفظ ثبت عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه **قال**: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه، **أي**: عن الكيفية بدعة.

أما أهل العلم بعد مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جعلوا ذلك قاعدة في كل صفة، فلو سُئلت مثلًا عن نزول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فنحن نعلم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل في الثلث الأخير من الليل في كل ليلة **فيقول**: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ»، وذلك في كل ليلة، فلو سُئلت عن كيفية هذا النزول، أو عن هذا النزول، فتقول: النزول معلوم، **أي**: معلوم المعنىٰ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ولو سُئلت عن كيفية يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أو سمعه، أو بصره، كذلك تقول هذه القاعدة في كل صفة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «الصفة معلومة وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب والسؤال عن كيفيتها بدعة» .

لماذا **نقول**: إن المعنىٰ معلوم؟

لأن القرآن نزل بلغة العرب، الله عَزَّوَجَلَّ قال عن القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

ولماذا **نقول**: إن الكيف مجهول؟

ذلك لأمور ثلاثة:

١. لأننا لم نرَ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فلا نستطيع أن نُكيِّف صفاته.

٢. ولم نَرَ مثيلًا له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

٣. ولم يأتنا خبر صادق عن معصوم بهذه الكيفية، **أي**: لم يأتِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ببيان هذه الكيفية، فالكيف لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وإذا كانت هذه روحك التي بين جنبيك لو سألتُك، وقلت لك: صِفْ هذه الروح، فلن نستطيع أن تصفها، وهي في جسدك، فكيف بصفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ التي ذاته تختلف عن ذات المخلوق، كذلك صفاته تختلف عن صفة المخلوق، **قال تعالىٰ**: ﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، **وقال**: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، **وقال**: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

وقال الله تبارك مُحذِّرًا إيانا أن نتكلم في هذا الباب بغير علم، **قال**: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، وأعلاها: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝١٦٩﴾ [الأعراف: ٣٣]، فلا يجوز لإنسان أن يتكلم في كيفية هذه الصفات.

أما معنىٰ الاستواء هذا الذي ورد في مواضع سبع في كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فمعناه في لغة العرب: العلو، والارتفاع، والظهور، فهذا معنىٰ الاستواء في لغة العرب، فعندما يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، أي أنه علا، وارتفع، وظهر علىٰ عرشه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يُقال -وهذا منشأ الضلال عند مَنْ نفىٰ هذه الصفات-: إن صفات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كصفات المخلوقين.

بمعنىٰ أننا لو قلنا: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ استوىٰ علىٰ عرشه، فلا **يُقال**: إن استواء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كاستواء المَلِكِ المخلوق علىٰ سريره يفتقر إليه، ولو زال هذا السرير لسقط، فهذا لا يُقال في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ غني عن العرش، وكل شيء سواه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محتاج إليه، فهو حامل للعرش، وحملة العرش، الله عَزَّوَجَلَّ يحمل العرش، ويحمل حملة العرش، فهم يحتاجون إليه، أما هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو الغني بذاته، الغني بأسمائه وصفاته، وكل مخلوق إنما هو غني بغيره، مفتقر له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما علوه علىٰ عرشه فهذا لا يعني أنه يفتقر لهذا العرش، وهذا تجده في كثير من المخلوقين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فليس كل مَنْ علا شيئًا يكون مفتقرًا إليه، فهذا الهواء يعلو الأرض، فهل الهواء يفتقر إلىٰ الأرض، وهذه السماء تعلو الهواء فهل السماء تفتقر إلىٰ الهواء؟ لا تفتقر إلىٰ الهواء، فلا يعني أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه استوىٰ علىٰ العرش، **أي**: علا، وارتفع علىٰ العرش أنه يفتقر ويحتاج لهذا العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه مستوٍ علىٰ عرشه، فإذا سُئلت: أين الله؟ **فنقول**: لا أحد أعلم بالله من نفسه، ولا أحد أعلم بالله من رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو سُئلنا هذا السؤال فعلينا أن نجيب بما أجاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وبما أجاب أعلم الخلق به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أجاب الله عن نفسه **فقال**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ما **قال**: الله في كل مكان، لأن كثيرًا من الناس عندما تسأله: أين الله؟ **يقول**: الله في كل مكان، فهذا قول باطل، خطأ، الله في كل مكان بصفاته، بسمعه، ببصره، بعلمه، بإحاطته، بقدرته، بسلطانه، بملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو في كل مكان بصفاته، أما أين هو ذاته؟ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

ولذلك لما جاءت الجارية إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي، فأراد معاوية أن يعتقها؛ لأنه صكَّها علىٰ وجهها، فأمره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأتي بها، فلما جِيء بها قال لها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، ما قالت في كل مكان، **قال**: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، **قَالَ**: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». انظر كيف حكم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها بالإيمان باعترافها أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في السماء، **أي**: مستوٍ علىٰ عرشه فوق السماء.

والسماء هنا بمعنىٰ العلو، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنعام: ٩٩]، فالسماء في لغة العرب تُطلق **علىٰ** معنيين:

١. إما أنها هذه السماء المعروفة التي هي فوق الأرض.

٢. وإما أن السماء بمعنىٰ العلو، فكل ما علاك فهو سماء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنعام: ٩٩]، والماء لا ينزل من السماء، وإنما ينزل من السحاب، فمعنىٰ الآية: أنزل من العلوِّ ماءً.

فلو سُئلت ابتداءً: أين الله؟ فقل: هو في السماء، وقل: الرحمن علىٰ العرش استوىٰ، كما أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا يجوز لك أن تقول: في كل مكان إلا أن تُقيِّدها بهذا الكلام الذي ذكرته، **يعني**: إلا أن تقول: بعلمه، بسمعه، ببصره، لا يعزب عنه شيء، ولا يخفىٰ عنه خافية سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، تُقيِّدها بالصفة.

الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مستوٍ علىٰ عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، إذن نحن نثبت له العلو، فسبحانه وتعالىٰ له العلو المُطلق، وأنت إذا سجدتَ تقول: سبحان ربي الأعلىٰ، وإذا أرادتَ أن تدعو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تجد فطرة عندك أن قلبك يتجه إلىٰ السماء، فأنت إذا أردتَ أن تدعو الله عَزَّوَجَلَّ لا تجعل يدك جهة الأرض، وإنما تجعلها جهة السماء، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حجة الوداع في أعظم موقف، في أكثر جمع لأصحابه قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد أن بيَّن لهم ما يجوز، وما لا يجوز من حرمة الدماء، وحرمة الشهر الحرام، والبلد الحرام، وبيَّن لهم ما بيَّنه من حكم الربا وغير ذلك، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يشير لهم: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، يقولون: نعم، **يقول**: «**اللهُمَّ اشْهَدْ**»، ويشير بأصبعه إلىٰ السماء صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. فأعلم الخلق بربه يقول لنا أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في العلو،

وعلو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **علىٰ خلقه علىٰ أقسام ثلاثة:**

١. الله عَزَّوَجَلَّ له علوُّ الذات، هو بذاته فوق السماوات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٢. وله علوُّ القهر والغلبة سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، **قال تعالىٰ**: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

٣. وله علوُّ القدر والشأن، **أي**: علوُّ الصفات، فله الصفات المُثلىٰ، فما اتصف سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بصفة إلا وقد حوت هذه الصفة علىٰ الكمال المُطلق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فالله عَزَّوَجَلَّ له علوُّ الذات، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وسبحان ربي الأعلىٰ، وله علوُّ القهر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فكل شيء تحت سلطانه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وله علوُّ القدر والمكانة والشأن.

لكن هل هذا العلوُّ (علوُّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ) ينافي معيته لنا؟

يعني قلنا: إن الله معنا بأسمائه وصفاته، بعلمه، بسمعه، ببصره، هذا العلو لا ينافي أن يكون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ معنا بصفاته، **يعني**: نستطيع أن نضرب مثلًا لذلك في المخلوقين، هذا القمر أنت تسير في الصحراء، وهو في العلوِّ، ونوره معك، هذا مثال يراه الناس كلهم، أين القمر؟ في السماء، ومع ذلك نوره معك.

ثم إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أخبرنا عن نفسه، **قال تعالىٰ**: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، فإذا كانت الأرض جميعًا والسماوات جميعًا يوم القيامة مطويات في يمينه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهذا يدل أعظم دلالة علىٰ أن علوَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا ينافي أن يكون معنا. فهذه الكرة الأرضية أين هي؟ في يد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لا تساوي شيئًا، فالله عَزَّوَجَلَّ كما أنه عليٌّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلا أنه معنا كذلك بصفاته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

المتن

[معنىٰ الاستواء علىٰ العرش:

فمعناه: العلو والارتفاع. بذا جاء لسان العرب، واتفق علىٰ هذا المعنىٰ أهل السنة والجماعة].

الشرح

ولذلك دخل أبو جعفر الهمداني علىٰ أبي المعالي الجويني، وأبو المعالي كان من أئمة الأشاعرة ومنظِّريهم، والأشاعرة لا يقولون إن الله مستوٍ علىٰ عرشه، ولا يقولون إن الله في السماء، بل ينفون ذلك، تعالىٰ الله عما يقولون، فدخل عليه أبو جعفر الهمداني، وكان يقرِّر هذه العقيدة لطلابه، **يعني**: يقرر لهم، ويقول لهم: إن الله ليس في السماء، بل هو كذا وكذا ولو كان في السماء لاستلزم ذلك كذا وكذا....

فقال له: دعنا من هذه النظريات التي تذكرها، **يعني**: دعنا من هذه الفلسفة، وكلام الفلاسفة، والمناطقة، والأعاجم، هذا الكلام الذي تذكره لتُدلِّل علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس في السماء، وأخبرني عن هذا الأمر الذي يجده كل واحد منا إذا دعا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا بد أن يجد أمرًا فطريًّا ضروريـًا عنده، وهو أن قلبه يتجه جهة السماء، فإن كان الله في كل مكان، فلماذا الفطرة عند المخلوق تقتضي أن يتجه المرء بقلبه إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فما استطاع أن يرد، وإنما وضع يده علىٰ رأسه، **وقال**: حيَّرني الهمداني، حيَّرني الهمداني.

جاء له بدليل الفطرة، يشعر كل واحد منا بذلك، ما جاء له بدليل من القرآن؛ لأنه من الممكن أن يؤوله، وما جاء له بدليل من السنة؛ لأنه من الممكن أن يرده، وإنما جاء له بدليل فطري.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما **قال**: مستوٍ علىٰ عرشه.

المتن

[أما كيفية هذا الاستواء فلا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

ثم ذكر بعد ذلك صفة السمع والبصر، قال:

ومن ذلك أيضا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

فيستفاد من الآية ونحوها: إثبات صفة السمع لله. والسمع في لغة العرب: إدراك الأصوات].

الشرح

هل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبرنا عن نفسه أنه سميع؟ نعم، أنه بصير؟ نعم، فهو أعلم بنفسه من غيره، إذن نثبت له السمع والبصر، كما أثبته لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما أثبته له نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ قسمين، وهذا التقسيم ورد في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

❁ **أما القسم الأول**: فهو الذي بمعنىٰ إدراك الأصوات، وهذا يقتضي المراقبة، والإحاطة، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨]، فهو يسمع كل الأصوات

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكذلك يبصر كل المخلوقات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا أدلَّ علىٰ ذلك من هذه الواقعة التي ذكرتْهَا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في سبب نزول سورة المجادلة، هذه المرأة، وهي خولة بنت ثعلبة، لما جاءت النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشكو زوجها أوس بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كانت تُخفي حديثها، وحُجرات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضيقة، وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تسمع حينًا، ويخفىٰ عليها الأمر حينًا.

ومع ذلك أنزل الله من فوق سبع سماوات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ [المجادلة: ١]، قال تعالىٰ في صدر الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، وقد هنا تفيد التحقيق، أي: تحقق سمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لشكوىٰ هذه المرأة من زوجها، لما نزلت هذه الآية، وقرأها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها، والله إني لأجلس معهما في الحجرة، ويخفىٰ عليَّ بعض حديثها، بعض الحديث يخفىٰ علىٰ عائشة، ويسمعه الله عَزَّ وَجَلَّ من فوق سبع سماوات.

فالمعنىٰ الأول للسمع هو إدراك الأصوات.

❁ **وأما المعنىٰ الثاني**: فهو بمعنىٰ الإجابة، **أي**: سمع إجابة، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩]، **أي**: لمجيب الدعاء، فهذا قدر زائد علىٰ مجرد إدراك الأصوات، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦]، **أي**: يسمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سمع إجابة، سمع نصرة، ويرىٰ رؤية تأييد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



المتن

[فنثبت لله تعالىٰ سمعا يدرك به الأصوات لا يشبه شيئًا من خلق الله، ونفوض كيفية ذلك لله تعالىٰ، فلا نقول: كيف يسمع؟ ولا نخوض في ذلك، إذ لم يطلعنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، بل أستأثر جَلَّ وَعَلَا بعلمه.

ومعنىٰ صفة البصر:

وهكذا البصر: إدراك المرئيات. كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

الشرح

نقول: إن السمع والبصر صفة ذات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ما معنىٰ صفة ذات؟ صفة الذات هي الصفة التي لا تنفك عن الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، موصوف بها أبدًا وأزلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما صفة الفعل فهذه ترجع لمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، يفعلها حينًا، وقد لا يفعلها حينًا آخر، ترجع لمشيئته وحكمته، **يعني**: الله عَزَّوَجَلَّ موصوف بالغضب أم ليس موصوفًا بالغضب؟ يغضب ربنا؟ نعم، يغضب ربنا، يفرح ربنا؟ نعم، يفرح ربنا من توبة العبد، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقول**: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»، إذن ربنا يغضب.

لكن هل الله عَزَّوَجَلَّ يفرح علىٰ الدوام؟ هل الله عَزَّوَجَلَّ يغضب علىٰ الدوام؟ هل الله عَزَّوَجَلَّ يرضىٰ علىٰ الدوام؟ **يعني**: هل الله عَزَّوَجَلَّ يرضىٰ علىٰ عبد من عباده علىٰ الدوام أم أن هذا العبد قد يقع في بعض المعاصي؟ أم أن من عباد الله مَنْ أشرك بالله تعالىٰ، فهذه الصفات تُسمىٰ بصفات الأفعال، صفة الفعل هي التي ترجع إلىٰ مشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتتعلق بسبب، وأما صفة الذات فهي التي يتصف الله عَزَّوَجَلَّ بها دائمًا؛ كالسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، والإرادة، كالعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كالكلام، فهذه تُسمىٰ بصفة ذات، فالسمع والبصر من صفات الذات له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم ذكر حديثًا عظيمًا في هذا الباب، وهو قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخبراً عن ربه.

المتن

[أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»].

الشرح

«إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ»، هنا يثبت صفة أم ينفي الصفة؟ ينفي صفة النوم، **وقلنا**: كل صفة منفية عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تقتضي ماذا؟ تقتضي إثبات كمال الضد، ما ضد النوم؟ كمال الحياة والقيومية، إذن إذا نفىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن نفسه النوم، فنثبت له كمال الحياة، وكمال القيومية، **قال تعالىٰ**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، والنوم موت، هو الموتة الصغرىٰ، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا **قال**: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ»، فهذا يقتضي منا إثبات كمال الضد، ولو **قال**: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فهذا يقتضي إثبات ضد ذلك، الذي هو كمال العدل، ولو **قال**: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]، فهذا يقتضي إثبات كمال العلم له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

«إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»، **أي**: هذا لا يجوز في حق الخالق المدبر لهذا الكون سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، «يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ»، وهذا فيه إثبات كمال القيومية لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ قائم بذاته، قائم علىٰ شؤون خلقه، قال الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الرعد: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، **أي**: هو قائم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علىٰ تدبير شؤون كل نفس، وكل خلق من مخلوقاته.

يعني: أنا أذكر لك، أو أضرب لك مثالًا من نفسك، كم من الأجهزة توجد في جسد الإنسان، **يعني**: هذه الكُلية، وهذا الكبد، وهذا الجهاز التنفسي، وهذا العقل، وهذه الأعصاب، وهذه الأوردة، وهذه كذا، وهذه كذا، فهذه الأمور تعمل، ولها نظام دقيق جدًّا، **يعني**: هذه الكلية تخلص الجسد من الفضلات، ومن السموم، فتقوم بإخراج السموم، وتنقية الجسد، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

إذا أردت أن تعلم ما يدور بداخلك، فاذهب إلىٰ المستشفيات، أو انظر إلىٰ مريض قد أُصيب بالفشل الكلوي عياذًا بالله، ادخل معه في هذه الغرفة التي يقوم فيها بالغسيل، فهذا الجهاز يأخذ الدم، وينقيه، ثم جهاز آخر يدخل الدم مرة أخرىٰ بعد تنقيته، هذا يتم في جسد الإنسان كل يوم أكثر من مرة، مَنْ الذي يقوم علىٰ ذلك؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنت لا تعلم شيئًا عن كل هذه الأمور، فهو قائم بنفسه بذاته لا يحتاج إلىٰ خلقه سبحانه، ويقوم كذلك علىٰ شؤون عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرؤوف الرحيم.

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾، فالكل ملك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾، **أي:** معين، فلا يحتاج الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ أحد يعينه، إنما هو الغني بذاته، القائم بذاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقال: «يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»، ترفع ذلك الملائكة، ولا يحتاج ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ الملائكة، **يعني:** لا يحتاج إلىٰ جبرائيل، ولا ميكائيل، ولا إسرافيل، ولا إلىٰ ملك الموت، وإنما لحكمته العظيمة، ولتدبير كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل هذه المخلوقات علىٰ هذه الأعمال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو بخلاف ملوك الدنيا، ملك الدنيا لا يستطيع أن يقيم دولته وحده، إنما لا بد له من المستشارين، والوزراء، وغير ذلك الذين يساعدونه، أما الله عَزَّوَجَلَّ فهو الملِك له المُلْك التام، غني بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، وهذا الجزء الأخير يحتاج إلىٰ محاضرة بأكملها.

المتن

[فنثبت لله بصرا حقيقا يدرك جَلَّجَلَالُهُ به المُبْصَرَات -اسم مفعول-، **إلا أن كيفية هذا البصر لا نعلمه، وإنما نعلم ما علمنا الله بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾** [الشورى: ١١].

فهذه أمثلة من طريقة أهل السنة في أسماء الله تعالىٰ].

الشرح

وهذه الأمثلة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تُقال في كل صفة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام ماتع في هذا الباب يبيِّن لنا طريقة السلف في إثبات أسماء الله وصفاته، ويبيِّن لنا الخلل الذي دخل علىٰ طريقة الخلف في إنكار وجحد أسماء الله وصفاته.

قال في كتابه الفتوىٰ الحموية:

(ثم الكلام عنهم -**أي**: عن السلف الصالح- في هذا الباب أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوىٰ أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه.

ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون -**يعني**: الخلف الذين أنكروا الأسماء والصفات- أعلم من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقةَ المعرفة المأمور بها من أن: «**طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم**».

يعني: بعض الخلف يقولون: طريقة السلف أسلم؛ لأن السلف كانوا يسمعون هذه الآيات، ولا يفهمون معناها-هكذا زعموا-، يُمرونها هكذا دون فهم لمعناها، أما طريقة الخلف فلا يأتي علىٰ صفة من صفات الله إلا ويؤولها، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، **فيقول**: لا، الله عَزَّوَجَلَّ ليست له يدان، بل هي النعمة والقدرة، يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، **يقول**: لا، الله عَزَّوَجَلَّ لم يستوِ علىٰ عرشه، بل استولىٰ وقهر وغلب.

الله عَزَّوَجَلَّ يخبر عنه نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه يوم القيامة كلما قال الله عَزَّوَجَلَّ للنار: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠]، حتىٰ يضع الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدمه عليها، فيثبت

لربه القدم، يقول هؤلاء: لا، الله عَزَّوَجَلَّ ليس له قدم، بل القدم هنا بمعنىٰ الجماعة من الناس، الله عَزَّوَجَلَّ يثبت سمعًا وبصرًا لنفسه، **يعني**: ما تركوا صفة من صفات الله إلا وأولَّوها وحرفوها، إلا ونفوها عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالسلف ما كانوا كذلك، وهم أعلم بربهم ممن جاء بعدهم كانوا يثبتون المعنىٰ، الله عَزَّوَجَلَّ قال أنه سميع، إذن هو سميع، بصير، هو بصير، مستوٍ علىٰ عرشه، أما الكيفية فلا نعلمها، ولا نكلف أنفسنا أن نتطلع إليها، وأن نعلمها، لأن هذا علم ما كلَّفنا الله به، ما كلفنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نبحث في الكيفية، إنما أخبرنا أن نثبت المعنىٰ علىٰ الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف علىٰ طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، **يعني**: جعلوا السلف بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا علىٰ طريقة السلف، وضلُّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلَّت عليها هذه النصوص للشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنًىٰ، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنىٰ، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلىٰ معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف.

فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه علىٰ أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، لماذا؟ لأنهم **قالوا**: لا بد أن ننفي تنزيهًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذلك بسبب الشبهات التي وردت عليهم، **قال**: وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه.

فلما انبنىٰ أمرهم علىٰ هاتين المقدمتين الكفريتين كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين، واستبلاههم -أي: جعلوا الأولين كالبُلْهِ الذين لا يفقهون شيئًا-، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخلف إلىٰ ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف علىٰ نهايات إقدامهم بما انتهىٰ إليه من مرامهم حيث **يقول**:

لعمري لقد طفتُ المعاهدَ كلَّها ... وسَيَّرتُ طَرْفي بين تلك المعالِمِ

فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ ... علىٰ ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

وأقروا علىٰ نفوسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له، **قال**: كيف يكون هؤلاء أهدىٰ حالًا من غيره من السابقين، ثم **قال**: كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم.

ثم **قال**: كيف يكون خير قرون الأمة، أنقص في العلم والحكمة -لا سيما العلم بالله وأحكام آياته وأسمائه من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة، وعُلِم أن الضلال والتهوُّك إنما استولىٰ علىٰ كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البيّنات والهدىٰ، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره علىٰ نفسه،

ولشهادة الأمة علىٰ ذلك، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدًا، وإنما أصف نوع هؤلاء، ونوع هؤلاء.

قال: فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله من هذه العبارات ونحوها دون ما يُفهم من الكتاب والسنة إما نصًّا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز علىٰ الله، ثم علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم علىٰ خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو نصٌّ أو ظاهر في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده.

يعني: الله عَزَّ وَجَلَّ **قال**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، هم يقولون: لا، ليس المعنىٰ أنه استوىٰ يعني علا، فلماذا لم يخبرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن المعنىٰ ليس كذلك؟ لماذا ترك الناس يعتقدون هذا الأمر؟ ثم لماذا ترك النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس يعتقدون هذا الأمر؟ ثم لماذا ترك الصحابة الناس يعتقدون هذا الأمر؟ إلىٰ أن جاء هؤلاء الخلف وبيَّنوا لهم.

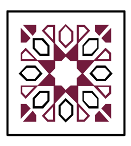
إذن علىٰ هذه الطريقة: هل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغ عن ربه حق البلاغ؟ وهل يصدق عليه أنه **قال**: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، وهل للصحابة أن يقولوا له لما **قال**: «أَلا هَلْ بَلَّغْتُ»، هل كان لهم أن يقولوا: نعم، ما كان لهم أن يقولوا نعم علىٰ هذه الطريقة؛ لأنهم **قالوا**: إن كل الصفات، وكل الأسماء التي وردت في الكتاب علىٰ غير معناها الظاهر.

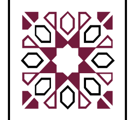
هكذا يقول الخلف، فجهَّلوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عياذًا بالله، وجهَّلوا أصحاب النبي، وجهَّلوا السلف الصالح، وتكلموا بما لم يَرِد لا في كتاب، ولا في سنة، ولا في كلام العرب، وإنما هو من قول أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والنصارىٰ والفلاسفة.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يرزقنا القول الصحيح، والمعتقد الصحيح في أسمائه وصفاته، وسائر أمور اعتقادنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❁ **سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.**







الدرس السادس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فما زال حديثنا موصولًا في شرح هذا المعتقد الصحيح، معتقد أهل السنة والجماعة، المبني علىٰ ما ورد في كتاب الله، وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنا قد انتهينا في الدرس الماضي من الكلام علىٰ المعتقد الصحيح في توحيد الأسماء والصفات، واليوم إن شاء الله نتكلم مع درة سنام هذا الأمر، وأوسطه، وآخره. نقف مع الأمر الذي من أجله بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار، وأنشأ سوق الجهاد، وجعل الناس فريقين: فريقًا في الجنة، وفريقًا في السعير، نتكلم اليوم إن شاء الله عن توحيد الألوهية.

فقال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المتن

[المعتقد الصحيح في توحيد الإلهية].

الشرح

ويُقال: الإلهية، والألوهية، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالىٰ بعبادة العبد، **أي**: أن يُفرد العبد ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعبادته، فتوحيد الإلهية هو توحيد العبادة، ولذلك لما عرَّف شيخ الإسلام

ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ العبادة، **قال**: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة، فهذا التوحيد كما قلنا هو الذي دعت إليه الرسل، وهو النوع الثاني من نوعي التوحيد، فقد **قلنا**: إن التوحيد ينقسم إلىٰ قسمين: إلىٰ توحيد معرفة وإثبات، وتوحيد المعرفة والإثبات يُقصد به توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأما النوع الثاني فهو توحيد القصد والطلب، وهو أن يقصد العبد بعبادته ربَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يطلب مرضاته.

وهذا التوحيد كذلك هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فمعنىٰ لا إله إلا الله، **أي**: لا معبود حق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يستحق العبادة سواء كانت هذه العبادة عبادة قلبية، أو لسانية، أو من أعمال الجوارح، كما هو معروف من أركان الإيمان، فلا يستحق العبادة إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالعبادة **لها أصلان**:

۞ **الأول**: ألا يُعبد إلا الله.

۞ **والثاني**: وألا يُعبد إلا بما شرع علىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذان الأصلان هما ما تقوم عليه العبادة، ألا نعبد إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وألا نعبده إلا بما شرعه علىٰ لسان نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا بالأهواء، ولا بالظنون، ولا بالبدع، وإنما بما ورد في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له حقوق لا يشركه فيها غيره، كما أن للرسل حقوقًا لا يشركهم فيها غيرهم، وللمؤمنين علىٰ المؤمنين حقوقًا مشتركة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له حقوق اختصَّ بها، والرسل لهم حقوق اختصوا بها، والمؤمنون لهم حقوق علىٰ بعضهم، فمن حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُعبَد وحده دون مَنْ سواه، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قال**: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟»، **أي**: ما الأمر الذي أوجبه الله علىٰ العباد، **قَالَ**: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، **قَالَ**: «يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

فهذا حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُعبد وحده، دون مَنْ سواه، وأن يُخشىٰ وحده، وأن يُتقىٰ وحده، ولذلك وجدنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في بعض الآيات يُفرِّق بين ما هو حق له خالص له، لا

يشاركه فيه غيره، وما هو حق له ولنبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور: ٥٢]، فجعل الطاعة له ولرسوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وجعل الخشية والتقوىٰ له وحده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أما الطاعة فهي له ولنبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في سورة براءة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة: ٥٩]، انظر فرَّق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في هذه الآية بين ما هو حقٌّ خالص له تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وما هو لنبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **فقال**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، فجعل الإتيان له ولنبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾، ما **قالوا**: حسبنا الله ورسوله؛ لأن الحسب بمعنىٰ الكفاية، والكفاية لا تكون إلا من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، الكفاية والحسب لا تكون إلا من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فجعل الإتيان لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وللنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالله له حق لا يشاركه في غيره، ومن أعظم حقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُعبد، ولا يُشرك به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

كذلك كما **قلنا**: إن توحيد العبادة، توحيد الألوهية هو معنىٰ لا إله إلا الله، ما معنىٰ لا إله إلا الله، **أي**: لا معبود حق إلا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، هذه الكلمة قامت علىٰ أمرين: علىٰ نفي، وإثبات، لا إله: هذا نفي، الله إله: هذا هو الإثبات، فكذلك التوحيد يقوم علىٰ نفي، وعلىٰ إثبات، علىٰ نفي ماذا؟ علىٰ نفي استحقاق جميع الآلهة العبادة، وإثبات هذا الاستحقاق لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وحده، ولا يقوم الإيمان إلا بذلك، أن تنفي استحقاق العبادة عن جميع الآلهة الباطلة، وأن تثبت العبادة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

قال الله عَزَّوَجَلَّ بعد آية الكرسي: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، **أي**: بالإسلام، إذن لا يكون الاستمساك بالعروة الوثقىٰ التي هي الإسلام إلا بأمرين: أن تكفر بالطاغوت، بكل الآلهة الباطلة، ألا تصرف شيئًا من العبادة لغير الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأن تؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾.

بل الدين كله مبني علىٰ النفي والإثبات، التوحيد مبني علىٰ النفي والإثبات، علىٰ التسبيح والتحميد، علىٰ التخلية والتحلية كما يقول أئمتنا. والمتابعة كذلك مبنية علىٰ النفي والإثبات، الإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبني علىٰ النفي والإثبات، فأنت مأمور أن تثبت المتابعة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، وأن تنفي متابعة غيره مما يخالف هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتحذر البدع، وكذلك تحذر كل ما يخالف هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فبعض الناس تجد عنده بعض الاجتهاد في الدعوة، ولكنه إلامَ يدعو؟ يدعو إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلىٰ إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالتوحيد، وإلىٰ إفراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمتابعة، ولكنه لا يحذر الناس من الشرك، ولا يحذر الناس من البدع، لماذا؟ يظن أنه لو حذَّر الناس من الشرك لأدىٰ إلىٰ تفريق الناس، فلو قال للناس: لا تفعلوا كذا، لا تنذروا لغير الله، لا تذبحوا لغير الله، لا تدعوا غير الله، يقول لهم:اعبدوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده دون أن يبين لهم الخطأ الذي هم عليه، يظن أنه لو فعل ذلك لأدىٰ ذلك إلىٰ افتراق الناس.

وكذلك يدعو إلىٰ متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنه لا يُحذِّر الناس البدع، ولا يحذر الناس أهل البدع، فهذا خطأ، فالدين كله مبني علىٰ النفي والإثبات سواء كان في التوحيد، أو في متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذه الأمور التي ذكرناها هي بعض ما يتعلق بهذا الأمر، الذي هو توحيد الإلهية، أو الألوهية، إذن ما معنىٰ توحيد الألوهية؟ أن تُفرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعبادتك أنت، فمَنِ الذي يدعو؟ المخلوق، مَنِ الذي يذبح؟ المخلوق، مَنِ الذي يرهب؟ مَنِ الذي يخشىٰ؟ مَنِ الذي يتوكل؟ مَنِ الذي يستعين؟ الذي يفعل كل ذلك هو المخلوق، فتوحيدك لربك تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن تجعل كل هذه الأمور لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا لأحد غيره.

وهذا الأمر مهم جدًّا، أمر التوحيد، لماذا؟ لأنه يكفي في فضل التوحيد أنه يمنع صاحبه من الخلود في النار، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»، لو أن الإنسان مات موحدًا، وكان علىٰ كثير من الذنوب والمعاصي، فهذا يُرجىٰ له أن يعفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه، وأن

يغفر له، حتىٰ وإن عذَّبه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يعذبه علىٰ قدر ذنبه، ثم لا بد أن يخرج يومًا ما، وأن يكون مصيره إلىٰ الجنة.

فالذي يموت علىٰ المعصية وهو موحد بين أمور ثلاثة:

١. إما أن يغفر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له ابتداءً بفضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

٢. وإما أن يعذبه علىٰ قدر ذنبه، حتىٰ يستوفي حقَّه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ثم بعد ذلك يخرج فيدخل الجنة.

٣. وإما أن يشفع فيه النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصالح المؤمنين، والملائكة، فيخرج من النار قبل أن يتم عذابه علىٰ هذا الذنب.

المهم أنه لا بد أن يخرج من النار يومًا ما، وكل هذا بفضل هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد، ولذلك أخبرنا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن رجل من هذه الأمة يخرج علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة، تُوضع له سجلاته من الذنوب والمعاصي، والحديث يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كل سجل من هذه السجلات مد البصر، له تسعة وتسعون سجلًا من الذنوب والمعاصي، ومع ذلك من تمام عدل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يأمر هذا العبد أن ينظر في هذه السجلات، ويقول له: هل لك عندنا حاجة؟ هل ظلمك حفظتي؟ **أي**: هل ظلمتك الملائكة؟ **فيقول**: لا يا رب.

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ لهذا الإنسان المُوحِّد، كان موحدًا، ولكنه كان مسرفًا علىٰ نفسه في الذنوب والمعاصي، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ له: بلىٰ إن لك عندنا حاجة، وإنك اليوم لا تُظلم، فيُخرج الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له بطاقة، هذه البطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله، قالها هذا المرء المسرف علىٰ نفسه في الذنوب والمعاصي، وكان مخلصًا في قولها، ولكن غلبته نفسه، وغلبه الشيطان، فأسرف علىٰ نفسه في الذنوب والمعاصي، فلما نظر هذا العبد في هذه البطاقة، **قال**: يا رب، وما تفعل هذه البطاقة أمام هذه السجلات، بطاقة أمام السجلات.

فالله عَزَّوَجَلَّ **يقول**: فإنك اليوم لا تُظلم، **أي**: لا بد أن تأخذ حقك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، فتُوضع هذه البطاقة في كفة من كفتي الميزان، وتُوضع هذه السجلات بهذا العدد الذي ذكرناه في كفة، فتطيش السجلات، وترجح بهنَّ لا إله إلا الله، فيدخل هذا العبد الجنة، وكل هذا بسبب ماذا؟ بسبب كلمة التوحيد.

علىٰ الجانب الآخر: أخبرنا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خبراً، وعلمنا من السيرة خبراً آخر، عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا سألت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومًا ما عن رجل يُسمىٰ بعبد الله بن جُدعان، هذا الرجل كان يُضرب به المثل في الكرم، فكان في كرمه كحاتم الطائي، فقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَفُكُّ الْعَانِيَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُحْسِنُ الْجِوَارَ، فَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ فذكرت من جميل خصاله الأمور الكثيرة، فهل نفعه ذلك يا رسول الله؟ هل هذه الأمور التي فعلها نفعته يومًا ما؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَوْمَ الدِّينِ»**. **أي**: كان عابدًا للأصنام، مشركًا بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فكل هذه الأمور التي فعلها يصدق عليها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فلم تنفعه هذه الأمور.

وعم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبو طالب، كم دافع عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ! وكم تحمل من الأذىٰ في سبيل هذه الدعوة! ولكنه لم ينطق بهذه الكلمة، كلمة النجاة، فهل نفعته هذه الأمور؟ ما نفعته هذه الأمور، وهو خالد مُخلَّد في النار كما أخبرنا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فهذا يبيِّن لنا فضل هذه الكلمة، لها فضل عظيم في تكفير السيئات والذنوب، ورفع الدرجات، يكفي أن مَنْ قالها، وكانت آخر كلماته دخل الجنة، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.



المتن

[المعتقد الصحيح في توحيد الإلهية:

ومن جملة اعتقاد أهل السنة: إفرادهم الله تعالىٰ بالعبودية: فلا يعبدون مع الله إلها آخر، بل يصرفون جميع الطاعات التي أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب لله وحده لا شريك له.

فلا يسجدون إلا لله -عندي في النسخة التي معي إلا الله، عندكم إلا لله؟-، ولا يطوفون إلا لله بالبيت العتيق، ولا ينحرون إلا لله، ولا يَنذِرون إلا لله - ولا يحلفون إلا بالله، ولا يتوكلون إلا على الله، ولا يدعون إلا الله. وهذا هو توحيد الألوهية.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]].

الشرح

قال بعض العلماء في بيان كيف قرَّر القرآن والسنة توحيد الألوهية، **قال**: سارت نصوص الشرعية في بيان التوحيد علىٰ أربعة أمور، **يعني**: بالنظر في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نجد أنه كيف تقرَّر توحيد الألوهية في الكتاب والسنة، **علىٰ أربعة أمور**:

❁ **الأمر الأول**: تأصيل العقائد وضبطها عن طريق البيان العام لأصولها، وأنها دين الرسل كلهم، **يعني**: تأتي الآيات لتبين بيانًا عامًّا أن دعوة التوحيد هي دعوة كل الرسل؛ كقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، ما من نبي يذكره الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلا ويكون أول ما يدعو إليه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فهذا يبين لنا أن هذه من ضمن الأمور التي تقرَّر بها التوحيد في كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، تأصيل العقائد وضبطها عن طريق البيان العام، هذه دعوة جميع الرسل، مع أن هؤلاء الرسل أتوا إلىٰ أقوام أصحاب حضارات، ودول قائمة، وعندهم مشاكل اقتصادية، وسياسية، ولكن أول ما يبدأ به الداعي والرسول هو الدعوة إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لأن بصلاح هذا الأمر تنصلح سائر الأمور.

❁ **الأمر الثاني**: التعرُّض للعقائد الكبرىٰ التي جرىٰ فيها الخلاف بين الأمم ورسلهم، **يعني**: تجد في الكتاب حوار ومناقشة هؤلاء الرسل للعقائد الكبرىٰ التي حصل فيها مخالفة من هؤلاء؛ كالألوهية، والشفاعة، والبعث، والنشور، فبعض الأقوام كانوا ينكرون مثل هذه الأمور، ينكرون أن يبعثهم الله مرة أخرىٰ بعد موتهم، يثبتون هذه الوسائط وهذه الشفاعات الباطلة، كاتخاذ الآلهة والأصنام شفعاء يستشفعون بها عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

❁ **الأمر الثالث**: تجد القرآن يتعرض لكثير من جزئيات التوحيد، **يعني**: لا يتكلم بالأمر العام، إنما يتكلم في جزئية من هذه الجزئيات، فيعالجها ببيان الحق، وردِّ الباطل.

❁ **الأمر الرابع**: أن القرآن ينقد وينقض ما عليه المشركون من العقائد والأفكار الباطلة.

فمن هذه الآيات نقض ما عليه المشركون من عقائد وأفكار، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، فهذه الآية اشتملت علىٰ أمرين: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، هذا إثبات، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾، هذا نفي، هو نفس معنىٰ كلمة التوحيد، لا إله إلا الله.

قال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، **أي**: أمر وأوصىٰ كما فسَّرها السلف، أمر ألا تعبدوا إلا إياه.

وقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥]، والحنيف هو المقبل علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، المائل عن الشرك، ولذلك من لطيف استدلال وكلام بعض العلماء أن هذه الكلمة لم ترد في كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلا منتصبة، دائمًا تجدها علىٰ النصب، **يعني**: ما جاء في القرآن حنيفٌ، أو حنيفٍ، وإنما تجدها دائمًا حنيفًا، **أي**: قائمًا علىٰ طاعته مقبلًا علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنىٰ: ﴿يَعۡبُدُونَ﴾: يوحدون. فهذه هي الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

المتن

[ضد التوحيد الشرك بالله:

وضد ذلك: الشرك بالله -أعاذنا الله منه-، وهو أعظم ذنب عصي الله به].

الشرح

أعظم ذنب عُصي الله به هو الشرك، ولذلك جاء في حديث ابن مسعود، لما سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، وهذه الثلاث هي التي وردت في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في وصف عباد الرحمن.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فهذه من أعظم الذنوب، أعظمها كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، أي: مخلوقًا تصرف، وتجعل له العبادة دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المتن

[وهو أعظم ذنب عصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]].

الشرح

فلا يغفر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الإشراك به، سواء كان شركًا أصغر أو أكبر، إنما يغفر الكبائر، أجل يغفر الكبائر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما الشرك الأصغر، ومنه الحلف بغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كقول بعض الناس: والنبي، والكعبة، ورحمة فلان، وحياة جدي، أو كذا، فهذا من الشرك كذلك الذي لا يغفره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولكنه من الشرك الأصغر، فمَنْ فعل ذلك ناسيًا فكفارة ذلك أن يقول: لا إله إلا الله، كما بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالإنسان ينبغي عليه أن يصرف العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أن يوحِّد الله في قصده، أن يجعل طريقه واحدًا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، متابعًا هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان

فلواحد: أي لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كن واحدًا، **أي**: في قصدك، في واحد: في سبيل وطريق واحد، لا تتشعب بك السبل، ما هو هذا الطريق؟ **قال**: أعني سبيل الحق والإيمان، الذي هو سبيل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يمسكنا بمتابعته إلىٰ أن نلقاه.

المتن

[**وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]].

الشرح

فهذا الوعيد، وهذه العقوبة دليل علىٰ عظم أمر الشرك، وعلىٰ خطورة أمر الشرك، بعض الناس تجده يصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج، وعنده الكثير من الأخلاق الفاضلة، ومع ذلك ينذر لغير الله، يذبح لغير الله، يشدُّ الرحال إلىٰ قبور الأنبياء، فتجده لا يترك مولدًا للحسين، أو للبدوي، أو للدسوقي، أو لكذا إلا ويذهب إليه، ويذبح هناك، ويطوف، فهذا شرك أكبر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يترتب عليه أن تُردَّ سائر العبادة، **قال تعالىٰ**: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. فلا ينفعه شيء من هذه الأعمال.

قال تعالىٰ في الآية السابقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦]، وأن وما بعدها تأتي في تأويل مصدر، **أي**: إن الله لا يغفر إشراكًا به، وإشراك هذه مصدر، نكرة، في سياق النفي (لا يغفر)، فتعمُّ كل شرك، فكل شرك لا يغفره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومما يبيِّن خطورة الشرك كذلك: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما أنزل في سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، الصحابة قوم عرب، ففهموا من هذه الآية أن كل ظلم يترتب عليه عدم الأمن، لا في الدنيا، ولا في الآخرة؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

قال: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، فظلم هذه نكرة في سياق النفي فتعمُّ كل ظلم، فمَنْ منا لا يظلم نفسه، ولا يظلم جاره، ولا يظم مخلوقًا من الخلق، فذهبوا للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكأن هذا الأمر في هذه الآية صار أمرها عظيمًا عليهم.

فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبيَّن لهم أن الظلم في هذه الآية ليس الظلم الأصغر، ولكنه الظلم الأكبر، وهو الشرك، قال لهم: «إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣]»، فالذي يشرك بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ليس له أمن لا في الدنيا، ولا في الآخرة، يعني: تجده في كرب عظيم، حتىٰ ولو فُتحت عليه جميع ملذات الدنيا، وإلا فمَنْ فقد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فماذا وجد؟ ومَنْ وجد الله عَزَّوَجَلَّ فماذا فقد؟ فالموحِّد ولو كان فقيرًا، إلا أنَّ قلبه غني بتوحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فقال: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣].

المتن

[وقال تعالىٰ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١].

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾، حنيفًا علىٰ النصب دائمًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣]].

الشرح

حتىٰ لقمان الذي لم يكن نبيًّا من الأنبياء، إنما كان حكيمًا من الحكماء، لما أراد ذات يوم أن يوصي ولده بدأ بالأهم، فأول ما بدأ به، أن حذَّره من الشرك، ثم رتَّب بعد ذلك أمورًا عظيمة، فأوصاه بوالديه، ثم بيَّن له عظيم قدرة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأنه لا تخفىٰ عليه خافية؛ لأنه اللطيف الخبير، ثم بيَّن له أهمية الصلاة، ثم أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بيَّن له كرائم الأخلاق من خفض الصوت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المهم في ذلك أنه لما بدأ في الوصية لولده، بمَ بدأ؟ ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾.

وانظر هذا التوكيد الذي جاء في هذه الآية لم يأتِ في الآيات التي بعدها، ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾، هذا نهي، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ﴾، التوكيد بإن، ﴿لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾، التوكيد باللام، ثم أكَّد هذا الظلم بأنه عظيم.

المتن

[وبيَّن تعالىٰ أن الشرك محبط للعمل، مخرج من ملة الإسلام، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨]].

الشرح

ولذلك حتىٰ الأنبياء كان يَحذَرون الشرك، ويخافون الشرك، ويدعون ربهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يجنبهم الشرك، كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يدعو **يقول**: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»، وهو النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سيد العابدين يدعو بذلك.

إبراهيم خليل الله الذي كسَّر الأصنام بيده، ودعا قومه، حاجهم، وناظرهم في عبادة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **يقول**: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، هل تدري معنىٰ المجانبة؟ **أي**: أن يكون هو في جانب والأصنام في جانب، وهذا أشد ما يكون من الابتعاد، فإبراهيم خليل الرحمن، ومع ذلك **يقول**: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾.

لذلك إبراهيم التيمي رَحِمَهُٱللَّهُ، وهو من السلف، يقول كلمة جميلة، يقول في قول إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ومَنْ يأمن البلاء بعد إبراهيم، مَنْ الذي يأمن الشرك بعد إبراهيم؟!، إذا كان إبراهيم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **يقول**: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾، فكيف بغيره من المخلوقين ممن ليسوا بمعصومين، ولا بأنبياء، فها هو إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ يقول هذه الكلمة.



المتن

[**وقال تعالى:** ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]].

الشرح

وحاشا الأنبياء، ومنهم نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من ذلك، من أن يشركوا، هذا بالإجماع مُنَزَّه عنه الأنبياء، أن الأنبياء لا يقعون في الكبائر، الأنبياء لا يقعون في الكبائر؛ لأنهم معصومون، وأعظم الكبائر الشرك، إذن ما معنىٰ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؟

نقول: إنما هذا من باب التحذير لأمر لا يقع، ولكنه علىٰ فرض وقوعه يترتب عليه كذا، ولا، ولن يقع، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾ [الزخرف: ٨١]، فهل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولد؟ لا، الله عَزَّوَجَلَّ لا يكون له ولد، ولن يكون له ولد، لماذا؟ لأن الذي له ولد إنما يحتاج لهذا الولد؛ لكي يرثه من بعده، ولكي يحمل اسمه من بعده.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول بعد أن ذكر قصة عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في سورة مريم، ماذا قال؟ بعد أن ذكر هذه القصة، وذكر أن الولد إنما يُرغب فيه من باب الميراث، ماذا قال؟ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾ [مريم: ٤٠]، فلماذا الولد؟ والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يرث، ولا يُورث، لماذا الولد؟ كل مَنْ طلب الولد لأجل أن يرثه، فيقول: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠﴾ [مريم: ٤٠].



المتن

[وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»].

وقوله: «شَيْئًا»، هذه نكرة في سياق الشرط فتعم، فليحذر المرء أن يقع في الشرك.

[وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»].

مَنْ مات وكان من حاله أنه كان يدعو من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلهًا آخر مصيره أن يكون من أهل النار.

ثم بيَّن:

[من هو المشرك؟

فمَنْ صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر].

الشرح

ولو أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عبَّر بالجعل دون الصرف لكان أولىٰ كما قال بعض أهل العلم في تعليقه علىٰ بعض كتب إمام الدعوة، يعني: لو أنه قال: فمَنْ جعل نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر؛ فهذا أولىٰ، لماذا؟ لأن هذا الذي جاء به القرآن، لفظ الجعل دون الصرف، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، فالجعل هو اللفظ الذي جاء به القرآن، فلو قال ذلك لكان أولىٰ، والأمر قريب إن شاء الله.

المتن

[فمَنْ صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر].

ثم تكلم بعد ذلك عن أهم أنواع العبادة، أو عن أمر من رؤوس عبادة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهو الدعاء، **فقال:**

[الدعاء لا يُصرف إلا لله:

فالدعاء عبادة أمر الله بها، فمَنْ دعا الله وحده فهو موحد، ومَنْ دعا غير الله فقد أشرك].

الشرح

الذي يدعو الله وحده هذا الموحد، والذي يدعو غيره فقد أشرك، وإلا فكيف تسأل مَنْ ليس بيده شيء، وتترك مَنْ بيده كل شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ثم دلَّل علىٰ ذلك **فقال:**

المتن

[قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦]].

الشرح

ينفع ويضر هذا توحيد ماذا؟ ربوبية، هذا فعل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ دلَّل به علىٰ توحيد الألوهية، إذا كان الذي ينفع ويضر هو الله، إذن الذي يستحق أن يُدعىٰ وحده هو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦]. أي ظلم هذا؟ الظلم هنا بمعنىٰ الشرك، فالظلم ظلمان: ظلم أكبر، وهو الشرك، وظلم أصغر؛ كظلم المخلوقين لبعضهم.



المتن

[وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]].

الشرح

وهذه الآية من أشد آيات الوعيد؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخفىٰ الوعيد والجزاء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾، كما قال جزاء المحسنين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، أخفىٰ جزاءهم، فهنا كذلك أخفىٰ جزاءه، فهذا وعيد عظيم جدًّا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

ولكن هنا إشكال، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، فهل هناك مَنْ يدعو مع الله إلهًا آخر وله برهان، وله حجة؟ تفضل، ما المقصود بـ ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؟ تفضل.

أحد الطلاب:...

الشيخ: معنىٰ **قوله:** ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، وهذا القيد يأتي في الكتاب كثيرًا، ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، إنما هذا القيد جاء لبيان الواقع الذي كانوا عليه، فهذا هو واقع مَنْ يدعو مع الله إلهًا آخر، أنه لا برهان له به، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فهل هناك قتل للأنبياء بحق؟!، إذن قوله كذلك: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، في قتل الأنبياء هو لبيان الواقع الذي كانوا عليه، أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، فكذلك **قوله:** ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، هذا لبيان الواقع، وليس معنىٰ ذلك أن برهانًا كان عندهم لعبادة الآلهة الباطلة، أو أن قتل الأنبياء قد يكون بحق.

المتن

[وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]].

الشرح

والمساجد يُفعل فيها نوعان من أنواع العبادة:

❁ **أما النوع الأول:** فهو دعاء المسألة، دعاء المسألة أن يقول العبد: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم ارزقني، هذا يُسمىٰ بدعاء المسألة، لأنك تسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شيئًا.

❁ **والنوع الثاني**: هو دعاء العبادة، ويُقصد به سائر العبادات التي يتقرب بها المرء إلىٰ ربه، فالصلاة من دعاء العبادة، والصيام من دعاء العبادة، كل هذه تُسمىٰ دعاء العبادة، **قال تعالىٰ**: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، لا تدعوا ماذا؟ لا تدعوا دعاء مسألة، ولا دعاء عبادة، لا تدعوا غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾.

المتن

[﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن: ١٩، ٢٠]].

فقوله: ﴿ٱدْعُواْ﴾، إثبات، ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾، نفي، فهذه هي شهادة التوحيد.

[**وقال تعالىٰ**: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [الرعد: ١٤]].

كل هذا ليبين أن هؤلاء الذين يُدعون من دون الله ليسوا علىٰ شيء.

[**وقال تعالىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]].

فلو كان كائنًا حيًّا يستطيع أن ينفع، وأن يضر، فهو لا يخلق، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يخلق، ففي الألهة الباطلة من صفات النقص ما يمنع استحقاقهم العبادة فتنبه.

[﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١﴾ [النحل: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾، هذا من توحيد الربوبية، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾؛ لأنهم أصنام لا تسمع، فماذا لو كانوا أحياء؟ ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣- ١٤]].

الشرح

ولذلك تحدث المحاجَّة بين إبليس وبين مَنْ كان يعبده ويطيعه في النار، كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة إبراهيم، وكما ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آخر سورة سبأ، لما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ: ٤٠]، لأن من

الكفار مَنْ يعبد الملائكة، ماذا تقول الملائكة؟ هل تقول أجل؟ **تقول**: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ [سبأ: ٤١]، ما كانوا يعبدون الملائكة، تتبرأ منهم الملائكة، ولذلك **قال**: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٤]، الذي هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[**وقال تعالى**: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾، هذا دليل حسيٌّ عقلي مقطوع به، **يعني**: هم يقطعون بهذا الدليل الحسي العقلي، ما هو الدليل؟ مَنْ خلق السماء والأرض؟ هذه السماء التي تراها، وهذه الأرض التي تراها، مَنْ الذي خلقها؟ الكفار يقولون: الله، **قال تعالىٰ**: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾، هذه الأصنام هل تكشف الضر الذي أصاب اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به الخلقَ، ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٤: ٦]].

الشرح

يعني: قل يا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لهؤلاء الذين يدعون آلهة من دون الله، ماذا خلقوا من الأرض؟ لم يخلقوا شيئًا من الأرض، بل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال في سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ [الحج: ٧٣]، والناس هنا مقصود بهم المشركون؛ لأن الخطاب جاء في سورة الحج، في هذه السورة، وكذلك بدليل السياق، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٧٣]، فالناس هنا عامٌّ أُريد به الخصوص، **أي**: أُريد به فئة معينة، **أي**: المشركون.

﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج: ٧٣]، ما **قال**: لن يخلقوا شمسًا، قمرًا، سماءً، جبلًا، **قال**: ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾، بل زد على **ذلك**: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا

﴿يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾، بل حتىٰ هذه الأدهان، وهذا الطيب الذي تضعونه علىٰ الأصنام، لو جاءت الذبابة، وأخذت من هذا الطيب، لا يستطيع هذا الصنم أن يستنقذ هذا الطيب من هذه الذبابة، الذبابة تأخذ الطيب وتهرب، والصنم واقف كما هو لا يستطيع أن يرد هذه الذبابة عن نفسه.

فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾، فهو إله لا بد أن يخلق، إله مالك لا بد أن يخلق، ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، هل هذه الآلهة الباطلة لهم شرك في السماوات؟ نفىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ: ٢٢]، أي: من معين.

قال هنا: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤﴾، يعني: هاتوا دليلًا من كتب سابقة من علم تجدونه عندكم أن هذه الأصنام تستحق العبادة دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أو أن تُجعل وسائط بينك وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فلما أقام الله عَزَّوَجَلَّ عليهم الحجة العقلية الظاهرة الحسية، التي تقرُّ بها عقولهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾، وهذا التركيب في الكتاب معناه لا أضل، هو في قوة: لا أضل ممن فعل ذلك، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾، يعني: لا أظلم ممن فعل ذلك.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ﴾، الضمير يعود إلىٰ هذه الآلهة الباطلة، ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وهذا هو نفس المعنىٰ الذي كان في الآية التي قبل ذلك من سورة فاطر.

المتن

[وثبت في السنن عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»].

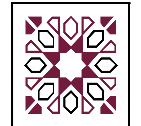
الشرح

وهذا يبين لنا فضل الدعاء، وعظيم مكانة الدعاء، الله عَزَّوَجَلَّ يذكر في كتابه الدعاء، ثم يسميه بالعبادة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، فقال: ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه، بعد أن قال له: يا أبتِ، ورفق به، لما قال له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، ماذا قال إبراهيم؟

قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤٨]، قال بعدها: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، فقال في الآية الأولىٰ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾، وقال في التي بعدها: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾، فسمَّىٰ الدعاء عبادة، فهذا يبيِّن لنا مكانة الدعاء وأهمية الدعاء، وأنه من الأمور العظيمة التي تدل علىٰ توحيد المرء لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم بيَّن الأمر العظيم الذي من أجله أرسل الرسل، وهذا ما نبدأ به إن شاء الله في الدرس القادم.

❁ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.



بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا لقاء جديد في التعليق علىٰ هذا الكتاب النافع إن شاء الله، وهو كتاب (**المعتقد الصحيح**)، وكنا قد توقفنا في الدرس الماضي في أثناء كلامنا علىٰ النوع الثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية، و**قلنا**: إن توحيد الألوهية يعني أن تُفرد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأفعالك أنت، سواء كانت هذه الأفعال تتعلق بالقلب؛ كالخشية، والرغبة، والرهبة، والإنابة، أو تتعلق باللسان، أو تتعلق بالجوارح، فكل ما يصدق عليه اسم العبادة لا ينبغي أن يُصرف إلا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة، فذكر أن من جملة اعتقادهم إفرادهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبودية، وبيَّن أن التوحيد ضد الشرك، وبيَّن مَنْ هو المشرك، وبيَّن أن الدعاء لا ينبغي أن يُصرف إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم ذكر الأدلة علىٰ ذلك.

ثم بيَّن أن الخصومة بين الرسل وقومهم ما كانت إلا في هذا النوع من التوحيد، أي أن ما دار بين الأنبياء وقومهم من حروب، ومن مناظرات، ومن جدال ما كانت هذه الأمور في مطعم، أو مشرب، أو مسكن، أو غير ذلك، وإنما كانت في الأمر الذي من أجله أرسل الله الرسل، وهو دعوة الناس إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **أي**: إلىٰ إفراده بالعبودية، فهذا النوع من التوحيد هو الذي

وقعت فيه الخصومة بين أنبياء الله ورسله وقومهم، ولذلك كان لدعوة الأنبياء والرسل أسس ودعائم ينبغي لِمَنْ أراد أن يسير علىٰ نهجهم أن يتبعها، من هذه الأسس:

❁**الأمر الأول**: أن الداعية سواء كان فردًا، أو جماعة، ينبغي أن يكون عالمًا بما يدعو إليه، إذا أراد أن يدعو إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فينبغي أن يكون عالمًا بهذا العلم، بالكتاب، بالسنة، بأقوال السلف الصالح؛ لأن الجاهل لا يصلح أن يكون داعية، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي العلم، **قال**: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

يعني: مَنْ أراد أن يحذو حذو الأنبياء في الدعوة فلا بد أن تكون دعوته كذلك علىٰ بصيرة، **أي**: ينبغي عليه أن يتعلم أولًا، أن يجالس العلماء، وأن يتلقىٰ عنهم العلم، ولذلك لما أراد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يرسل معاذًا إلىٰ اليمن علَّمه، فقال له النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ...، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ...**».

فهذا تعليم من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فعلَّمه النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم أرسله، لماذا؟ لأنه سيأتي إلىٰ قوم من أهل الكتاب، وهذه الإضافة تعني أن عندهم علمًا، وأنهم سيجادلون في أمور ما، وقد يطرحون بعض الشبهات، فالذي يريد أن يدعو إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا بد أن يكون علىٰ علم.

❁ **الأمر الثاني**: لا بد أن يعمل بما يدعو إليه، **يعني**: لا ينبغي لإنسان أن يدعو إلىٰ أمر ما، ثم بعد ذلك يخالفه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، **يعني**: لا يجوز للداعية أن يخالف ما يدعو إليه، حتىٰ يكون قدوة لغيره، يُحتذىٰ بأفعاله قبل أقواله.

❁ **الأمر الثالث**: كذلك دعوة الأنبياء قامت علىٰ الصبر، فكانوا يصبرون علىٰ ما يلاقونه من الأذىٰ في سبيل تبليغ هذه الدعوة، وما كانوا ينظرون إلىٰ النتائج، النتائج بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

المهم أنه لا يحيد عن صراط الله المستقيم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَتَّىٰ يَجِيءَ النَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»، نبيٌّ أُرسل إلىٰ قومه، ولم يؤمن به أحد، فيأتي يوم القيامة وليس معه أحد، فهل هذا النبي يُتهم بالتقصير؟ لا يُتهم بالتقصير، فكانوا يصبرون.

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كم مكث في الدعوة؟ ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومع ذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود: ٤٠]، **يعني**: أفراد معدودة تُعدُّ علىٰ الأصابع هي التي آمنت في هذا العمر المديد، فكانوا صابرين، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما سيأتي، فالداعية ينبغي أن يكون صابرًا علىٰ دعوته، وألا يتعجل النتائج، المهم ألا يخالف نهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **الأمر الرابع**: كذلك كانت دعوة الأنبياء دائمًا تبدأ بالأهم فالمهم، كانوا يبدؤون بالأهم فالمهم، فكل الأنبياء يبدؤون دعوتهم بإصلاح العقيدة والتوحيد، ما من نبي يأتي قومه، وقد تكون عندهم مشكلات سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وأمور كثيرة، ومع ذلك لا يبدؤون بهذه الأمور، وإنما يبدأ بالأمر الأهم الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض، والإنس والجن، ألا وهو التوحيد والعبادة.

فما من نبي يأتي قومه إلا وهو **يقول**: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، سواء كانت الدعوة عامة مجملة، أو كانت دعوة مُفصَّلة، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فكان الأنبياء دائمًا يبدؤون بالأهم، **أي**: بإصلاح المعتقد، ورد الناس إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومحاربة الشرك.

ثم بعد ذلك يُثنُّون بأمور مهمة جدًّا، كذلك يغفل عنها كثير من الدعاة سواء كانوا أفرادًا أو جماعات في هذه الأيام، فالقليل جدًّا من الدعاة هم الذي يبدؤون بالتوحيد، ويحاربون الشرك، ويحذرون الناس الشرك، والقليل منهم هو الذي يعلم الناس الصلاة، وكيفية الزكاة، والحج، إلىٰ غير ذلك من هذه الشعائر والشرائع المهمة جدًّا.

هذه الأمور صارت عند بعض الناس الآن من الأمور الثانوية، ليست هي المهمة، وليس لها الأولوية، وهذا خلاف منهج الأنبياء، الأنبياء دائمًا كانوا يبدؤون بإصلاح العقيدة، ثم بعد ذلك يُصلحون عبادات الناس مع النظر إلىٰ ما عندهم من المشكلات، أما أن تُترك أهم المسائل التي هي التوحيد، فهذا خلل ومخالف لمنهج أنبياء الله ورسله، كما سيتضح لنا.

ولذلك قال بعض العلماء، وهو الشيخ الفوزان -حفظه الله- في مقدمته لكتاب (منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل): فأية دعوة لا تقوم علىٰ هذه الأسس التي ذكرناها، **يعني**: لا تبدأ بالتوحيد، وكذلك لا تعمل بما تدعو إليه، ولا تصبر علىٰ ذلك، وكذلك لا تبدأ بالأهم فالمهم، هذا هو منهج الأنبياء، فأي دعوة لا تقوم علىٰ هذا الأساس لا يكون منهجها قائمًا علىٰ منهج الرسل، هذه الدعوة **قال**: ستبوء بالخيبة، لا تنجح هذه الدعوة يومًا ما، وإن استمرت أعوامًا وعقودًا طويلة جدًّا في الدعوة، ولكن لن تجد الثمرة بعد ذلك؛ لأنها خالفت منهج الأنبياء.

قال: وخير دليل علىٰ ذلك تلك الجماعات المعاصرة، فبعضها اهتمَّ بجانب السياسة، وطالب بإقامة الحدود، وتطبيق الشريعة، **يعني**: يريدون قطع يد السارق، يريدون جلد الزاني، أو رجم الزاني، أو غير ذلك، مع أن هؤلاء لم يدعُ كثير منهم يومًا ما إلىٰ نبذ الشرك الذي يحدث حول القبور، **يعني**: قد تجد بين هؤلاء الذين يطالبون بتطبيق الحدود مَنْ يطوف حول القبور، مَنْ هو صاحب معتقد فاسد في أسماء الله وصفاته، قد يكون رجلًا أشعريًّا قد تخرج في جامعة الأزهر ينافح عن تلك العقيدة الفاسدة!!

ونحن نعلم أن جامعة الأزهر تدرس العقيدة الأشعرية التي تنفي صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا تثبت له الصفات الاختيارية، فيقولون: الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ، ولا يحب، ولا يغضب، ولا يكره، ينفون هذه الصفات، ولا يثبتون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا صفات سبعة، ذكرناها قبل ذلك، فتجد هذا عنده خلل في جانب هو أهم وأعظم بكثير من تطبيق الحدود، وتجده صوفيًّا يتقرب إلىٰ الأولياء والصالحين، ويذبح، وينذر لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومع ذلك يترك كل ذلك، **ويقول**: نريد تطبيق الشريعة.

فيقول -**حفظه الله**-: فهؤلاء يطالبون بإقامة الحدود، وتطبيق الشريعة، وهذه أمور مهمة، ولكنهم نسوا تطبيق شرع الله علىٰ المشرك، فتجد منهم الصوفي، الأشعري، وهذا أمور أشد حرمة وجرمًا من غيرها، فالإنسان ينبغي عليه أن يبدأ بالأهم.

يقول: وهناك بعض هذه الجماعات اهتمَّ بجانب التعبد علىٰ جهل، وتصوف، وسياحة في الأرض، وذكر بدعي، وترك الأمر المهم، لا يتكلم في توحيد الألوهية مطلقًا، وإنما كلما كلَّم الناس **يقول**: نعلم أن الله هو الرازق، وأن الله هو الخالق، وأن الله هو المدبر، وأن الله له ملك هذا الكون، وغيره، فهذا توحيد الربوبية الذي لم ينازع فيه المشركون الرسل، إنما لا يتكلم في نبذ شرك، في قول يخالف التوحيد؛ كالحلف بغير الله، أو برحمة فلان، أو غير ذلك، لا يتكلم في هذه الأمور؛ لأنه كما **قلنا**: يظن أن الكلام في هذه الأمور مما يفرِّق الناس، وهو لا يريد تفريق الناس، أهم شيء عنده أن يُجمِّع الناس حوله.

نقول: هذه الدعوة لا تنجح يومًا ما؛ لأنها خلاف دعوة الأنبياء والرسل، **قال**: فهذه الدعوات هي بمثابة مَنْ يعالج جسدًا مقطوع الرأس، إذن الجسد ميت، فلا بد إذا أردت أن تعالج هذا الجسد أن تحيي الرأس مرة ثانية، ولا يكون ذلك إلا بإصلاح العقيدة التي هي الرأس بالنسبة للجسد، فهذه الجماعات مخالفة لهدي النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مختلفة فيما بينها، تجد الخلاف بين هذه الجماعات، لماذا؟ لأن سبيل الأنبياء والرسل منذ أرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نوحًا، ومنذ نبَّأ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ آخرهم محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سبيلهم واحد، وطريقهم واحد، وأصولهم واحدة.

قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [**الأنعام**: ١٥٣]، فأفرد الصراط، وبيَّن أن السبل جمع، لماذا؟ لأن كل سبيل عليها شيطان كما بيَّن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه الجماعات كما **يقول**: تختط لنفسها، كل جماعة تختط لنفسها خطة لتعبيد الناس لرب العالمين، وهذه الخطة بمنأىٰ ومبعد عن منهج الأنبياء والرسل، فبمَ بدأ الأنبياء والرسل؟ بدأوا بالأمر المهم الذي هو بردِّ الناس إلىٰ توحيد الألوهية، وإلىٰ عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: ولذلك أُرسلت الرسل من أجل هذا التوحيد، فهو الذي أرسل الله الرسل من أجل بيانه، والدعوة إليه، وأنزل الكتب في تقريره، وتوضيحه، والاحتجاج له، كما **قال تعالىٰ**: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كم أمة إلىٰ أن وصلت إلىٰ آخر الأمم؟ خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سبعين أمة، فمن الأمم مَنْ يبعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم رسولًا واحدًا، كهذه الأمة، ومنهم مَنْ تكثر فيهم الرسل؛ كبني إسرائيل، أرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم الكثير من الرسل، فمنذ أن خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الأمة: أنها تُوفِّي الأمة السبعين.

قال الله ها هنا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، ما وظيفة هؤلاء الرسل؟ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، لا إله إلا الله، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، هذه وظيفة الأنبياء والرسل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾، فكلمة رسول هذه نكرة في سياق النفي فتعمُّ كل رسول، ليس هناك رسول خالف هذه الدعوة، إنما كل رسول يأتي حتىٰ ولو كانت دعوته قصيرة جدًّا، لا يدعو إلا إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أهم شيء عنده أن يرد الناس إلىٰ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾، مَنْ الذين شاءهم الله من عباده؟ الأنبياء والرسل، ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢]، فهذه دعوة الأنبياء والرسل.



المتن

[وافتتح به الرسل دعوة قومهم إلىٰ الله، فكل رسول يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، قالها: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وكل رسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين].

الشرح

وكل هذه الدعوات جادة في توحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ونبذ الشرك، **يعني**: كان أهم ما يدندنون حوله، ويسعون إليه أن يردوا الناس إلىٰ التوحيد ونبذ الشرك، ثم ذكر بعض الأمثلة.

المتن

[قال تعالىٰ: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧]].

الشرح

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾، **يعني**: واذكر إبراهيم، فهذا خطاب إبراهيم لمَنْ؟ لقومه، إبراهيم لما ناظر النمرود بن كنعان، وكان هو الحاكم، وكان رئيس قومه، فيمَ ناظره؟ هل ناظره في ظلمه، واستبداده، في استئثاره بالحكم، في كذا، في كذا، ناظره في ماذا؟ ناظره في توحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، **قال**: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان في قومه ظَلَمة، وكان هناك مَنْ يستأثر بالأموال، وكان هناك مَنْ يفعل كذا وكذا، لما أراد أن يصلح، وأراد أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، كانت بداية دعوته أن كسَّر الأصنام، وأقام عليهم الحجة في تكسير الأصنام، فهذا إبراهيم مع حاكمه، هذا إبراهيم مع قومه، هذا إبراهيم مع الصابئة، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ إبراهيم:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعام: ٧٦]، إبراهيم كان مناظرًا، ما كان ناظراً باحثًا عن ربه؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال عن إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، **أي**: أنه كان يعلم ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويؤمن به، وإنما كان يناظر قومه، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، **أي**: الغائبين.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾ [الأنعام: ٧٧]، هو يريد أن يوصل رسالة إلىٰ قومه، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٨٠]، ما معنىٰ حاجه؟ **أي**: ناظروه. فكانت المناظرة، والمحاجة، والخصومة بين إبراهيم وبين قومه في هذا التوحيد الذي هو توحيد الألوهية.

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ناظر أباه، وناظر الحاكم، وناظر قومه،، كل هؤلاء فيمَ ناظرهم؟ فيمَ دعاهم؟ إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢﴾ [مريم: ٤٢]، هذا الإله الذي لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئًا، هذا إله باطل لا يستحق العبادة، فأقام إبراهيم الحجة علىٰ قومه، وشعبه، وأبيه، فلما لم يستجيبوا ماذا صنع؟ هل ثار علىٰ النمرود؟ هل جمع الناس؟ أم ماذا صنع؟ دعا إلىٰ التوحيد، وكسَّر الأصنام، وعلَّق الآلة التي كسَّر بها، علَّقها في رقبة أكبر صنم؛ ليقيم عليهم الحجة أنه لا يستحق العبادة إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

يقول الشيخ ربيع حفظه الله: إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يسلك أقوىٰ الطرق في المحاجة، والمناظرة؛ لإقامة الحجة، ودحض الشرك، فكسَّر الأصنام، وناظر النمرود، وناظر الصابئة، وناظر أباه، وناظر شعبه، فلما لم يستجيبوا له ماذا صنع؟ إنما كسَّر أصنامهم، ودعاهم إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هل الأمر اختلف بالنسبة ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ **نقول**: قال تعالىٰ عن نبيه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا

﴿تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ظُلم، وسُجن، ورأىٰ من ظلم الحكَّام، وفعلهم للمحرمات، وشركهم، وعبادتهم للأصنام، فكيف بدأ دعوته؟ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ظُلم، وسُجن، سُجن مظلومًا، ورأىٰ من الظلم، ورأىٰ من الشرك، ورأىٰ من الأمور المحرمات، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، هذه الخمر يعصرها لمَنْ؟ للملك، فرأىٰ من الأمور المحرمات، فكيف بدأ دعوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هل هيَّج مَنْ معه في السجن علىٰ هؤلاء الحكام الظلمة؟ لأن هذا ليس منهج الأنبياء، هذا سيؤدي إلىٰ تفتيت الدول، ويؤدي إلىٰ سفك الدماء، وإلىٰ ضياع الأمم، ولذلك لم يكن أبدًا منهج الأنبياء.

منهج الأنبياء دائمًا إصلاح الشعوب، إذا صلحت الشعوب صلح الراعي، لأن هذا الحاكم من طينة الرعية، هو واحد منا، كم من الناس يرتشي! وكم من الناس يغش! وكم من الناس يأكل الأموال الحرام! وكم من الناس يفعل! إذا قلَّت هذه الأمور بين الناس فلن يقلِّل هذه الأمور إلا الدعوة إلىٰ التوحيد، لأن الموحد يخاف ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قبل أن يعامل الخلق يعامل الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيكف عن هذه المحرمات؟!

فما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه الأمور مع أن الفرصة كانت متاحة أمامه، معه في السجن مظلومون، والأمر متاح أمامه، ومع ذلك لم يخالف أجداده من الأنبياء، بمَ بدأ؟ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه **يقول**: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، هنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسَّر الحاكمية، ما فسَّر الحاكمية بوجود الرئيس، أو بأن أهم ما يرنو إليه المرء، ويسعىٰ إليه أن يُنصِّب إنسانًا رئيسًا، لا، فسَّر الحاكمية أن تكون منهجًا للحياة، منهجًا متكاملًا.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يريد منك أن تُحكِّم شرعه في نفسك، لا يريد رئيسًا يُحكِّم الشرع فقط، والشعب يفعل ما يشاء، إنما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما قال هذه الآية: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، **قال**: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، فالأقوال، والأفعال، والاعتقادات ينبغي أن تكون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن كثيرًا

من الناس جلُّ همِّه أن يُصلح الحاكم، وينسىٰ المحكومين، مع أن القاعدة العريضة هي التي ينبغي أن تُصلح، هي التي قضىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث عشرة سنة في مكة في إصلاحها، وهو أكثر عمر الدعوة إنما كانت في إصلاح مَنْ؟ إصلاح الرعية وتعليمهم التوحيد ونبذ الشرك.

ودليل ذلك أنهم قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن كنتَ تريد ملكًا ملكناك -كما جاء في السيرة-، فكانت الفرصة مهيأة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن **يقول**: أجل، أريد أن أكون ملكًا عليهم، فيكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملكًا ثم يصلح بعد ذلك، ولكن هذا خلاف منهج الأنبياء، منهج الأنبياء دائمًا يبدأ من القاعدة، من إصلاح الناس؛ لأن هذا هو الذي يريده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك هذه الآية التي سمعناها في الصلاة، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ [الرعد: ١١]، ما وجدنا أحدًا من السلف فسَّر هذه الآية: إن الله لا يغير ما بقوم من البلايا، حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم من الحكَّام، ما وجدنا أحدًا فسَّر هذه الآية علىٰ هذه الصورة.

وإنما التفسير السلفي الموجود في كتب التفاسير عن الصحابة، أن (ما) الأولىٰ بمعنىٰ: البلايا والمحن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾، **أي**: من البلايا، والابتلاءات، من قحط، وفقر، ومصائب، وغير ذلك، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وأن (ما) الثانية تعني الذنوب والمعاصي، ومنها الشرك. فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يغير ما يصيبنا من هذه الأمور العظيمة، حتىٰ نغير ما بأنفسنا مما يُغضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾، وهذا أمر لا يجادل عليه أحد، ولا يختلف فيه أحد، أن الحكم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولكنها ليست مقتصرة علىٰ الجانب السياسي فقط، إنما هذا ينبغي أن يكون في قلب كل مسلم، أن يُحكِّم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في جميع معاملاته، مع ربه، مع نفسه، مع خلقه، بهذا ينصلح الناس. **قال**: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾، ثم **قال**: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، **أي**: القويم، دين الأنبياء والمرسلين، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧﴾.

موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أين تربىٰ؟ في حجر فرعون، ما حال فرعون؟ كان ظالمًا متجبرًا، مستأثرًا بالمال، بل لم نجد مَنْ قال مثل قول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ

﴿لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، أليس لي ملك مصر، لا أحد فيكم يملك فيها شبرًا، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، وهذا كلام صدق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يحتمل الكذب.

قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]، وهذه سنة فرعون، تقسيم الناس إلىٰ جماعات وطوائف، هذه جماعة باسم، وهذه جماعة باسم، **قال:** ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، هذا إخبار من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن فرعون، كيف دعاه موسىٰ؟

هل جمَّع الناس للخروج علىٰ فرعون؟ بِمَ أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ لأن القلوب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مَنِ الذي أغرق فرعون؟ مَنِ الذي أخذ الحجاج بن يوسف الظالم المتجبر؟ هل قتله أحد بيده؟ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، المالك الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن لا بد أن تنصلح الشعوب، كما تكونون يُولّىٰ عليكم، هكذا قال السلف، ماذا قال الله عَزَّوَجَلَّ وهو يرىٰ ويسمع، وكل ذلك علىٰ عينه؟ ويرىٰ هذا التجبر، وهذا الظلم لصفيه موسىٰ وكليمه، ولقومه، ماذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

قال لموسىٰ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٧-١٩]، وقال لموسىٰ وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، ما القول اللين الذي قاله موسىٰ لفرعون؟ يذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة طه، لما حدث الجدال، ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [طه: ٤٩-٥٢].

دائمًا الكلام عن توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أن يوحد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يعود إلىٰ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لماذا؟ لأن إصلاح هذا الأمر ينبغي أن تكون عليه الدعوة، لأن هذه هي دعوة الأنبياء والرسل.

سيد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف كانت دعوته؟ كم مكث يدعو إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ الذي يريد أن يعرف ذلك ينظر في السور المكية، السور المكية لا تتكلم عن ظلم، ولا تتكلم عن صلاة، ولا عن زكاة، ولا عن حج، إلا إذا كان علىٰ سبيل الإجمال، أما التفصيل في السور المكية يكون في ماذا؟ في توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ظل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الخلق ثلاث عشرة سنة يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا».

ولذلك لما ربَّىٰ أصحابه في هذه المدة الوجيزة هذه التربية قامت دولة الإسلام. قامت دولة الإسلام في وقت لم تقم، ولن تقم دولة كما قامت في مثله، **يعني**: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أن هاجر إلىٰ أن قبضه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، عشر سنوات قامت فيها دولة الإسلام، ونحن منذ كم سنة نرفع شعار نريد أن نقيم دولة الإسلام؟ ثمانين سنة، مائة سنة، منذ سقوط الخلافة العثمانية، هل قامت دولة الإسلام؟ **يعني**: قامت دولة علىٰ المنهج الذي كان عليه أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ما قامت هذه الدولة، لماذا لم تقم هذه الدولة؟

كيف يستقيم الظل، والعود أعوج، كما قالوا، لا بد أن يستقيم العود حتىٰ يستقيم الظل، فإذا كان المنهج منحرفًا فلا تقوم له قائمة، فهذه بعض النماذج التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وزدنا عليها في أن دعوة الأنبياء والرسل كانت إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال:

المتن

[ليس للمشركين حجة في شركهم:

وليس للمشركين مستندٌ في شركهم، ولا من عقل صحيح، ولا من نقل عن المرسلين].

الشرح

لا من عقل صحيح؛ لأن الذي يرزق، ويخلق، وينفع، ويضر، ويملك، ويتصرف، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذن هو المستحق للعبادة، هذه الأصنام لا تنفع، ولا تضر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

هذا الصنم لا يستطيع أن يخلق ذبابة، لا **نقول**: أن يخلق السماوات والأرض، أن يخلق

إنسانًا، بل، وإن يسلبهم الذباب شيئًا، **يعني**: لو أن الذبابة هذه وقفت علىٰ الصنم؛ لتأخذ هذا الطيب الذي يُوضع علىٰ الصنم، أو الشراب، أو الطعام، هل يستطيع الصنم أن يستنقذ هذا من الذباب؟ لا يستطيع، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾.

فالعقل والنقل يؤيدان أن الدعوة لا بد أن تكون إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الواحد الأحد.

المتن

[قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥]. **والمعنىٰ: أنه لا يوجد أحد من المرسلين دعا إلىٰ عبادة آلهة مع الله، بل كلهم من أولهم إلىٰ آخرهم يدعون إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له.**

ونبَّه الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ دليل عقلي يبطل شرك المشركين، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ [الأحقاف: ٤].

فهذا دليل عقلي قاطع علىٰ أن كل مَنْ سوىٰ الله فعبادته باطلة].

الشرح

عبادته باطلة، هؤلاء الذين يذبحون للحسين، الرافضة، ومَنْ علىٰ شاكلتهم من غلاة الصوفية في بلدنا، الذين يتقربون إلىٰ الله -زعموا-، ولا يتقربون إلىٰ الله، بل يتقربون إلىٰ المقبور، إلىٰ الحسين، والبدوي، والسيدة، والدسوقي، وغير ذلك، يذبحون عندهم؛ لأنهم يرجون ما عندهم، يخافونهم من دون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولذلك تجد الإنسان لو أُصيب بضائقة **يقول**: شيء الله يا حسين، تعرف ما معنىٰ شيء لله؟ **يعني**: شيء لله، يطلب شيئًا من الميت الغائب غير القادر لله، هذا شرك، وإذا استعنت فاستعن بالله.

فإن أردت أن تستعين بمخلوق، فلا بد أن يكون هذا المخلوق حيًّا، قادرًا، حاضرًا، **يعني**: أنا أريد أن أستعين بخلق من المخلوقين بأن يرفع شيئًا مثلًا معي، فلا بد أن يكون موجودًا، لا أن أكون في البحر، وأقول: يا فلان، أعني، وهو في البر، وأن يكون حاضرًا معي، وأن يكون قادرًا علىٰ هذا الأمر، **يعني**: لا أقول له: أنزل المطر، صرِّف السحاب، أحيِ فلانًا، أمت فلانًا، اشفِ فلانًا، كل هذا لا يجوز، فهذا بيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

المتن

[فهذا دليل عقلي قاطع علىٰ أن كل مَنْ سوىٰ الله فعبادته باطلة، إذ لم يخلقوا شيئًا، ولم يكن لهم معاونة علىٰ خلق شيء، وإنما الله وحده المتفرد بذلك، فلم عبادتهم إذن؟؟ -لماذا يُعبد هؤلاء من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ ليس هناك دليل لا من عقل، ولا من نقل-، ثم نفىٰ الله أن يكون للمشركين دليل من النقل عن الكتب المنزلة، أو الرسل المرسلة فيما ذهبوا إليه من الشرك. فبان أن لا حجة للمشركين مطلقًا، فكانوا من الخالدين في نار جهنم وبئس المصير.

ومما تقدَّم يُعلَم أن هذا التوحيد هو أول الواجبات، وأهم المهمات، وهو الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه].

الشرح

لذلك قال الشيخ حافظ حكمي:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ

أول واجب علىٰ العبد أن يعرف أن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو المستحق للعبادة.

فإذا كان الأمر كذلك فينبغي علىٰ كل داعية، وكل مَنْ أراد أن يعود بالناس إلىٰ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يبدأ بهذا الأمر، وإلا فدعوته كما يقول العلماء لا بد أن تبوء بالخيبة، لماذا؟ لأنها خالفت منهجًا وضعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وسار عليه الأنبياء المُبلِّغون عن ربهم، فمن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، فمنهج الأنبياء ينبغي أن نسير عليه، وأن نحتذي به إذا أردنا أن يتقبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منا سائر أعمالنا.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا التوحيد، ومتابعة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❁ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس الثامن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فما زال حديثنا موصولًا في قراءة وشرح كتاب المعتقد الصحيح في توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكنا قد انتهينا في الدرس الماضي من الكلام علىٰ المعتقد الصحيح في توحيد الإلهية، فتكلمنا عن التوحيد بأنواعه الثلاثة، وبعد أن انتهىٰ المصنف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من الكلام علىٰ ذلك ثنَّىٰ بالكلام علىٰ المعتقد الصحيح في أركان الإيمان الستة، ونحن نعلم أن جبريل أتىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث العظيم الذي اشتمل علىٰ الدين كله ويسمىٰ بأم السُّنة، وسأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان.

فكان من جملة جواب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عن الإيمان، **قال**: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، فهذه الأركان الستة هي أركان الإيمان التي ينبغي أن ينعقد عليها القلب، وأن يكون المرء صاحب عقيدة جازمة لا تردد فيها، ولا شك بالنسبة لهذه الأمور التي ذكرها جبريل، أو ذكرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وصدَّق عليها جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

المتن

[ومن جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر].

الشرح

هذه الخصال والأركان مَنْ لا يؤمن بواحدة منها، أو يخالف في بعض تفاصيلها لا يكون من أهل السنة والجماعة، بل هو إما ضال مبتدع، أو كافر بالله العظيم، فهذه الخصال سطَّرها أهل السنة والجماعة في كتب الاعتقاد، وتُنوقلت القرن بعد القرن إلىٰ أن وصلت إلينا، كلما خالف الناس في مسألة ما، خالف أفراد، أو خالفت جماعات، أو فِرق، سطَّر أهل العلم ما يرد الشبهة التي جاء بها هؤلاء، وصارت معتقدًا عليه دليل من الكتاب والسنة، وكذلك إجماع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن تبعهم بإحسان ينبغي أن يتعلمه المرء.

فمن جملة المعتقد الصحيح أن يعتقد المرء اعتقادًا صحيحًا في هذا الخَلق العظيم الذي خلقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسخَّره في هذا الكون ألا وهو الملائكة، وهو الركن الثاني الذي ذُكر في حديث جبريل، وكذلك الذي جاء في الآيات الواردة في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما سنرىٰ.

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، يكون المرء كافرًا إذا خالف في هذا المعتقد إذا خالف في أصل من الأصول، **يعني**: أنكر الإيمان بالملائكة، **فقال**: هذا من الخرافات، وهذا أمر لا يصدقه العقل، فنحن لا نرىٰ الملائكة، ولا نرىٰ الجن، وإذن لا يوجد عالم يُسمَّىٰ بعالم الملائكة، أو عالم يُسمىٰ بعالم الجن، فهذا ماذا صنع؟ كذَّب الكتاب والسنة، و المُكذِّب لكتاب الله، وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافر بالله العظيم، خاصة إذا كان الأمر من المعلوم من الدين بالضرورة.

أما متىٰ يكون مبتدعًا؟ إذا خالف في أمر لا يتعلق بهذا الأصل، **يعني**: لم يخالف في أصل كليٍّ؛ كركن من أركان الإيمان، ولكن خالف مثلًا في مسألة من مسائل الصفات، في توحيد الصفات، فأثبت بعض الصفات، ونفىٰ بعضها زعمًا منه أنه بذلك يُنزِّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا لم يحكم أهل العلم عليه بالكفر، وإنما حكموا عليه بالبدعة، فالذي يخالف في هذه الأصول إما أن يكون مبتدعًا، وإما أن يكون كافرًا.

والمبتدع شر ممن زنا، وسرق، وقتل النفس بغير حق، ولذلك البدعة كما قال سفيان أحب إلىٰ إبليس من المعصية، لماذا؟ لأن المعصية يُتاب منها، المرء إذا فعل معصية يعلم أنه عصىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيتوب منها يومًا ما، أما صاحب البدعة الذي يتقرب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ببدعته إذا قلت له: تب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، **يقول**: مِمَّ أتوب؟ بل أنت الذي ينبغي عليك أن تتوب، وأن تلحق بي فيما أعمل، فيرد عليه.

فإذا قيل له مثلًا: تب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من نفيك لهذه الصفات الواردة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، تراه يجادل ويورد الشبهات **ويقول**: الله عَزَّوَجَلَّ لم يستوِ علىٰ عرشه استواء يليق بجلاله، وإنما الاستواء هنا بمعنىٰ الاستيلاء، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، **أي**: استولىٰ، وغلب، وقهر، فلو قيل له: إن هذا المعنىٰ لا يُعرف في لغة العرب، ولم يتكلم به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولم يتكلم به الصحابة الكرام، ولا مَنْ جاء بعدهم من الأئمة المقتدىٰ بهم، وإنما قرأوا هذه الآية في سبعة مواضع من القرآن وأمروها.

إذن هم يجزمون ويعتقدون أن الاستواء هنا بمعنىٰ العلو، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذاته فوق العرش، استوىٰ عليه، وعلا علوًّا يليق بجلاله، هذا ما فهمه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وبلَّغه للأمة، وهذا ما فهمه أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ لأنهم كانوا عربًا أقحاحا، أما أنت فهذا القول من أين جئت به؟ فهذا القول ليس عليه دليل لا من كتاب الله، ولا من سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، **فيقول**: ولكنني أنزِّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن مثل هذه الأمور، فإنني لو قلت إنه فوق العرش، فهو إذن له مكان، ويترتب علىٰ ذلك أمور: أنه شابه المخلوقين، أو كذا، أو كذا.

نقول: الفرق بين صفة الخالق، وصفة المخلوق، كالفرق بين ذات الخالق، وذات المخلوق، خاصة إذا كان هو سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لما أخبرنا عن نفسه، **قال**: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، **فقال**: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، **أي**: لا يماثله أحد في صفاته، ومع ذلك أثبت لنفسه السمع والبصر، فالله يسمع، ونحن نسمع، ولكن سمعنا ليس كسمع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهكذا.

فالإنسان ينبغي عليه أن يتعلم هذه الأمور، وأن يعرف دليلها من كتاب الله، ومن سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن هذه الأمور كما **قلنا**: الإيمان بالملائكة.

المتن

[ومن جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر.

أ - فالإيمان بالله:

يتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. وقد تقدَّم بيان ذلك.

ب - والإيمان بالملائكة:

يكون بالتصديق بوجودهم، وما ذكر لنا من أسمائهم، وما ذكر لنا من أعمالهم].

الشرح

نقول أولًا: الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، لماذا؟ لأنه من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله به المؤمنين، امتدح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤمنين لإيمانهم بهذا الغيب، **قال تعالىٰ**: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣]، فأظهرُ صفاتهم التي امتدحهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها أنهم يؤمنون بالغيب، والملائكة من عالم الغيب أم من عالم الشهادة؟ من عالم الغيب؛ لأننا لا نراهم، فهذا من عالم الغيب، وهو مما ينبغي للمرء المؤمن أن يؤمن به.

ولذلك كثرت النصوص في الكتاب والسنة، كثرت النصوص جدًّا في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن العقل البشري لا يستطيع التوصل إلىٰ ما يهمه معرفته بالنسبة لهذا الأصل الذي هو الإيمان بالملائكة، **يعني**: العقل لا يستطيع أن يستقل بنفسه للوصول للإيمان بالملائكة، لماذا؟ لأنه عالم غيبي، وبالتالي كثرت النصوص لتُدلِّل علىٰ هذا الأصل، وليجزم المسلم به.

فالملائكة كما **قلنا**: جند من جنود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سخَّرها للقيام علىٰ مختلف أمور الكون، سخَّرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهي من جنده، وأصل كلمة المَلَك، أصله من الفعل أَلَكَ، فأصلها الهمزة، واللام، والكاف، ومنه المالك، وهو الرسالة، ومنه الملائكة؛ لأنهم رسل الله، هذا هو اشتقاق كلمة الملائكة.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [والإيمان بالملائكة: يكون بالتصديق بوجودهم]، أي أن هناك إيمانًا مجملًا ينبغي علىٰ كل إنسان أن يعتقده، الإيمان المجمل أن تؤمن بوجود عالم غيبي يُسمىٰ بعالم الملائكة، وما ذُكر لنا من أسمائهم كذلك، وهذا إيمان تفصيلي، إذن هناك إيمان إجمالي، نؤمن إجمالًا أن هناك عالَمًا يُسمىٰ بعالم الملائكة، خلقهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسخَّرهم؛ للقيام بشؤون، وبأمور هذا الكون، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يحتاج إليهم، إنما خلقهم وهم في حاجة إليه، كما خلق العرش، ولا يحتاج إليه، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحمل العرش، وحملة العرش، ولكن هذا من حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما ملوك الدنيا فإن لهم الوزراء، والمستشارون، وكذلك الأعوان، لماذا؟ لأنهم يحتاجون إليهم، أما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فخلقه هم الذين يحتاجون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو غني عنهم؛ لأنه هو الغني الحميد، وإنما غناه بنفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[يكون بالتصديق بوجودهم، وما ذكر لنا من أسمائهم، وما ذكر لنا من أعمالهم.

قال الله تعالىٰ -وهذا دليل هذا الركن-: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل، في سؤال جبريل للنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»].

الشرح

فهذه أركان الإيمان الستة التي لا يجوز لإنسان أن يتخلف عن الإيمان بواحدة منها.

المتن

[وصف الملائكة:

وقد وصفهم الله تعالىٰ في كتابه بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]].

الشرح

وهذه الآية يتبين منها بعض خصائص الملائكة:

أما الخاصية الأولىٰ: أنهم دائمًا مطيعون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فُطروا وجُبلوا علىٰ الطاعة، فلا يُتصور وقوع المعصية منهم، وليس معنىٰ ذلك أنهم غير مكلفين، بل هم مكلفون، ولكنهم مكلفون لا كتكليف البشر، والدليل علىٰ أنهم مُكلَّفون، **أي**: أنهم عباد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قال**: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، والخوف عمل القلب، وهذا من جملة التكليف، ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فطرهم، وجبلهم علىٰ الطاعة أبدًا، فلم يركب فيهم الشهوة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما دائمًا مستجيبون مطيعون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يتكبرون عن عبادته، ولا يستحسرون، ولا يفترون عن العبادة، **أي**: لا يَكلُّون ولا يملُّون عن عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦﴾، وهذا وصف للملائكة، أنهم عباد مُكْرَمون، مكرَّمون من قبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]، **أي**: لا يتقدمون علىٰ ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا بقول، ولا بفعل، وإنما دائمًا ينتظرون أمره، ولذلك جاء في الحديث، وفي الآية كذلك: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ﴾ [سبأ: ٢٣].

فهم دائمًا ينتظرون أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا يحيي الأرض بأمر الله، وهذا يميت، وهذا ينفخ في الصور، وهذا يحفظ الإنسان، وهذا يكتب الأعمال، وهكذا كل ملك من الملائكة له وظيفة جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليها، لا يتأخر، ولا يفتر، ولا يَكَلُّ، ولا يكسل عن القيام بها، وهذا كله دليل علىٰ عظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن هذه الأمور تدل علىٰ الحكيم الخبير المُحكِم لهذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فهذا وصف الملائكة.

المتن

[الملائكة عبيد الله:

فهم عبيد لله تعالىٰ، وخلق من مخلوقاته العظيمة، لا يستحقون شيئا من العبادة].

الشرح

أي: لا تُصرف العبادة إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لكن هناك من خالفوا رسلهم فعبدوا الأصنام، ومنهم مَنْ عبد الملائكة، وزعموا أن الملائكة بنات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ ردًّا عليهم: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾، فالأصل أن الملائكة عباد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لماذا جعلوهم إناثًا؟ لأنهم زعموا زعمًا باطلًا أن هؤلاء الملائكة بنات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ﴾ [النحل: ٦٢]، ما الذي كانوا يكرهونه؟ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨]، وهذا من سوء فعالهم، لا يرضىٰ الواحد منهم أن تُنسب إليه البنت، ومع ذلك ينسب البنت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويعبدون الملائكة ظنًّا منهم ظن السوء أن الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتنزه عن ذلك.

قال: [فهم عبيد لله تعالىٰ، وخلق من مخلوقاته العظيمة، لا يستحقون شيئًا من العبادة]، ولذلك يتبرؤون من عابديهم يوم القيامة، وكل مَنْ عُبد بغير حق، وكان عبدًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه يتبرأ ممن عبده، فالذين عبدوا المسيح يتبرأ منهم المسيح يوم القيامة، والذين عبدوا الملائكة تتبرأ منهم الملائكة يوم القيامة، والذين يعبدون الجن تتبرأ منهم الجن يوم القيامة، وهكذا، يتبرؤون من هؤلاء الذين عبدوهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، وهو أعلم، لكن هذا من إقامة الحجة والإعذار، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠]، فدلَّت هذه الآية علىٰ أن كل مَنْ اتخذ مخلوقًا من ملك، أو جن، أو

بشر اتخذه ربًّا من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه كافر؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾، وهذا مقتضىٰ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك مقتضىٰ الشهادة: لا إله إلا الله، أي: لا يُعبد بحق إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما عن صفة خلق الملائكة، فالملائكة خلقهم عظيم، وعظم المخلوق يدل علىٰ عظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كيف لا وهذا يُتصور في عالم الدنيا، فإنك لو نظرت إلىٰ قصر من قصور أحد الملوك، فوجدته ذا مساحة شاسعة، وقد بُنيت فيه الأعمدة، والأسقف، وفيه من التحف، وغير ذلك، ومن الأشجار والبساتين، وغير ذلك، تقول: لا شك أن هذا الملك عظيم، فهذا الأمر الذي صنعه يدل علىٰ عظمته، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من باب أولىٰ، عظم مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من شمس، وقمر، وسماوات، ونجوم، وملائكة؛ يدل علىٰ عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعِظم خلقه يدل علىٰ عِظمِه سبحانه.

ومما يدل علىٰ ذلك في القرآن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا وصفهم بأنهم شداد، فلا بد أن يكونوا قد بلغوا من الشدة والغلظة مبلغًا.

كذلك في مسألة خلقهم هم أسبق من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخلق، يعني: خُلقوا قبل آدم، والدليل علىٰ ذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فقال ذلك للملائكة قبل أن يخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما مادة خَلقهم فهذا مما بيَّنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت، والحديث في مسلم: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»، فالملائكة خُلقت من نور، لكن ما كيفية هذا النور؟ الله أعلم، هل هو كهذا النور؛ كنور المصابيح، كنور الشمس، كنور القمر، لا نعلم كيفيته، ولكن قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ»، فهي خلق نوراني، «وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ»، وكذلك الشيطان قال ذلك: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢]، وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلق من طين.

المتن

[ومن صفة خلقهم أن لهم أجنحة، فمنهم من له جناحان جناحان، ومنهم من له ثلاثة ثلاثة، ومنهم من له أربعة أربعة، وهكذا، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

الشرح

أولىٰ: يعني أصحاب، فمن الملائكة مَنْ له جناحان، ومنهم مَنْ له ثلاثة، ومنهم مَنْ له أربعة، ومنهم مَنْ له أكثر من ذلك، كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، رآه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سد الأفق، كل جناح من أجنحته قد سدَّ الأفق، الجناح الواحد قد سد هذا الأفق العظيم الذي تراه في الصحراء الخالية.

فلو قيل لك: لا نعلم طائرًا إلا وله جناحان، كما قال عبد الرحمن بن مهدي لأحد هؤلاء الذين وقعت في قلبهم بعض الشبهات، يسأل عن كيفية صفات الله، قال له: يا هذا، نحن نعجز عن صفات بعض المخلوقين، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل وله ستمائة جناح، ونحن لا نعلم مخلوقًا له أجنحة إلا وله جناحان، لو جئنا بطائر وقلنا لك: ضع الجناح الثالث، فأين تضعه؟ أين تضع هذا الجناح؟ هل تضعه علىٰ ظهره، علىٰ بطنه، علىٰ رأسه؟ ستحتار، جبريل له ستمائة جناح، لا ستمائة ريشة، جناح، فكيف رُكِّبت؟ فهذا الخلق العظيم يدل علىٰ عظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك قال في آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١].

المتن

[وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ جبريل له ستمائة جناح].

الشرح

ومما يدل كذلك علىٰ عظم خلق الملائكة عظمُ حملة العرش، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ

أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»، ما بين شحمة الأذن فقط، ما **قال**: طوله، ولا ذكر عرضه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما بين شحمة الأذن إلىٰ العاتق مسيرة سبعمائة عام.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ -ملك من حملة العرش، خلقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ صورة الديك- قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ»، ما وظيفته؟ «وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ»، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: «لَا يَعْلَمُ ذَاكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا؟»، **يعني**: لا يعلم عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يحلف به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو تعالىٰ، يعلم أنه كاذب، ومع ذلك يحلف بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا ما يُسمَّىٰ باليمين الغموس، اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار، يعلم أنه كاذب، ومع ذلك يحلف بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ كذبه. فهذا كذلك يدل علىٰ عظم هذا الخلق.

الملائكة لا تأكل ولا تشرب: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن إبراهيم: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦﴾ [الذاريات: ٢٦]، لما جاءه الضيفان، الملائكة جاءته في صورة البشر، وكانوا ذاهبين إلىٰ قوم لوط، فدخلوا علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فظن أنهم ضيفان، فما كان منه لكرمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا أن جاء بعجل سمين، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧﴾ [الذاريات: ٢٧]، لما وجدهم لا يأكلون بعد أن قرَّب الطعام إليهم أوجس منهم خيفة، لأن هذا من علامات المكر والخديعة وإرادة الغدر.

وهذا من شيم العرب أنك إذا دخل عليك إنسان وقدمت إليه طعامًا فلا بد أن تأكل، فلما لم يأكلوا أوجس منهم خيفة، فظن أنهم أعداء، وليسوا من الضيفان الكرماء، ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ٢٨﴾ [الذاريات: ٢٨]، وفي الآية الأخرىٰ قالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ٧٠﴾ [هود: ٧٠]، فبيَّنوا له أنهم الملائكة، وأنهم ليسوا بشرًا، وأنهم لا يأكلون، ولا يشربون.

وأما عن قدرتهم علىٰ التشكُّل، وهذا من إقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فقال المصنف**:

المتن

[قدرتهم علىٰ التشكل:

وقد أقدرهم الله تعالىٰ علىٰ التشكل بالأجسام الحسنة -فالملك لا يتشكل إلا في جسم حسن-، **كما تمثل جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **لمريم بشرا سويًّا** -أي: كاملًا حسن الخلقة-، **وكما تمثلوا لإبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **عندما حلوا عليه ضيوفًا مكرمين** -كما في الآية التي ذكرناها-، **وكما تمثلوا للوط** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عندما جاؤوا لإنزال العذاب بقومه، ونحو ذلك].**

الشرح

وكذلك كان جبريل يأتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأحيانًا يأتيه كصلصلة الجرس، وأحيانًا يأتيه في صورة بشر، فجاءه في صورة أعرابي، في حديث الدين العظيم، ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ جاءه كرجل من العرب، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ شَعَرِ الرَّأْسِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ سَفَرٍ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، **قَالَ**: فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَهُ إِلَىٰ رُكْبَتِهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، في آخر الحديث ماذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

وكذلك كان يأتي النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دحية الكلبي، وهو أحد أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يقف مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيراه الصحابة، فيظنون أنه الصحابي الجليل دحية الكلبي، وما هو إلا جبريل يكلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت الملائكة تتشكل، ولكن لا تتشكل إلا في صورة حسنة.

المتن

[الردُّ علىٰ المشركين في **قولهم**: الملائكة بنات الله:

[وردَّ الله علىٰ المشركين الذين زعموا أنهم بنات الله تعالىٰ -تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوا كبيرًا-، فقال تعالىٰ وتقدس: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾ [الأنبياء: ٢٦]].

الشرح

والولد في لغة العرب يُطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ؛ لأن عوام الناس يظنون أن الولد يُقصد به الذكر، وإنما الولد في لغة العرب يُطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، **قال تعالىٰ**: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ

﴿أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، أما الذكر فيُسمىٰ الابن، والأنثىٰ تُسمىٰ الابنة، أما إذا قيل الولد، فالمقصود به الذكر والأنثىٰ.

المتن

[﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1][2] [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨]].

الشرح

وهذه كلها أوصاف عظيمة وُصفت بها الملائكة الذين هم عباد الرحمن، وبسبب هذه الأوصاف ما وجدنا الملائكة في كتاب الله تعالىٰ إلا ويُوصفون بكل وصف جميل جليل، ولذلك ذهب بعض العلماء إلىٰ تفضيل الملائكة علىٰ بني آدم؛ لأن الله **قال**: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وذكر أنهم: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف الكريمة، فبعض العلماء ذهب إلىٰ تفضيل الملائكة علىٰ بني آدم.

والصحيح أن صالحي البشر خير من الملائكة، وأعظم الصالحين الأنبياء والرسل، لماذا؟ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ركَّب فيك الشهوة، وما حال بينك وبين المعصية، وإنما جعل فيك إرادة وعزيمة وقدرة واختيارًا، ومع ذلك الصالح ماذا يصنع؟ يترك كل ذلك بمشيئته وإرادته ابتغاء مرضاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالصحيح أن صالحي البشر خير من الملائكة، وعلىٰ رأس الصالحين الأنبياء والرسل.

---

(١) **إذن لما قالوا**: اتخذ الرحمن ولدًا، ماذا كانوا يقصدون؟ يقصدون الملائكة، فردَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾.

(٢) **أي**: تنزه عن ذلك.

المتن

[وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ۝١٥٠﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٠]].

الشرح

من الذي قال لهم: إن الملائكة إناث؟، هل شهدوا هذا الخلق؟، هل كانوا مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يوم أن خلق الملائكة؟، وهذا دليل يخاطب العقول السليمة، لا يستطيع هؤلاء أن يردوه، هل كنتَ مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يوم أن خلق الملائكة؟، هل جاءك خبر من رسل سابقين أن الملائكة إناث؟، إذن لماذا تفتري وتزعم أيها الأبعد وتقول: إن الملائكة إناث، وإنها بنات الله، ولذلك قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بعدها: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١﴾، ما معنىٰ الإفك؟ **يعني**: الكذب، والكذب هو خلاف الحق، وخلاف الواقع، فهذا لم يقع.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ۝١٥٦ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٧]].

أنا أريد منك أن تتصور تلاوة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذه الآيات علىٰ المشركين الذين يقولون هذا الكلام، ما استطاع واحد منهم أن يلفظ ببنت شفة، ما استطاع أن يقول كلمة واحدة؛ لأن هذا دليل عقلي قوي جدًّا تقرُّ له العقول وتذعن، **يعني**: ما شهدوا خلق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للملائكة، وما أصطفىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ البنات علىٰ البنين؛ لأننا نعلم أن البنين أعلىٰ شأنًا ومكانة من البنات.

﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ۝١٥٦﴾، ما المقصود بالسلطان؟ كل سلطان ورد في كتاب الله فالمقصود به العلم، كما قال المفسرون. ﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ۝١٥٦﴾، أم لكم علم من أنبياء، ومرسلين سابقين، يبين ذلك ويوضحه، ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧﴾، فأتوا بهذا الكتاب الذي فيه أن الملائكة بنات، وأنهم بنات الله، وأنهم شهدوا هذا الخلق يوم أن خلقهم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا شك أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا كل هذه الأمور.

المتن

[ثم قال تعالىٰ عن الملائكة:

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦]].

الشرح

فمنهم مَنْ جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للوحي، ومنهم مَنْ جعله للقطر، ومنهم مَنْ جعله للنفخ في الصور، ومنهم مَنْ جعله لكتابة الأعمال وغير ذلك، والمقام **يعني**: الرتبة، وكذلك بمعنىٰ الوظيفة، فالملائكة ليسوا علىٰ درجة واحدة، ولذلك لما سأل جبريل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أفضل المؤمنين؟ **أي**: من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قال**: مَنْ شهدوا بدرًا، الذين شهدوا بدرًا مع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء أفضل أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال جبريل: وكذلك مَنْ شهد منا بدرًا، فالذين شهدوا بدرًا مع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الملائكة هم أفضل الملائكة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[منهم: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، الموكل بالوحي قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقد رآه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأبطح له ستمائة جناح، قد سدَّ عظمُ خلقه الأفقَ. ثم رآه ليلة المعراج أيضًا في السماء كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥﴾[1] [النجم: ١٣ - ١٥]، **ولم يره في صورته إلا هاتين المرتين، وأما بقية الأوقات ففي صورة رجل، وغالبًا في صورة دحية الكلبي].**

(١) المقصود هنا الضمير يعود إلىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الضمير في هذه الآية، فذكر أن الذي رآه هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرَ ربه عيانًا ليلة الإسراء والمعراج.

الشرح

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾، وهي شجرة عظيمة، وصف النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من عظم خلقها وجمالها كما في الصحيحين، **قال**: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾، فالجنة في السماء.

المتن

[قال الله تعالىٰ في جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٣]].

الشرح

وصفه بأنه رسول، ووصفه بالكرم، ووصفه بالقوة، ووصفه بأنه مُطاع من قِبل مَنْ تحته من الملائكة، ووصفه بالأمانة علىٰ الوحي، وهذا فيه ردٌّ علىٰ طائفة من الشيعة، هذه الطائفة تزعم أن جبريل قد خان الرسالة، وأن الرسالة كانت لعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، فما كان من جبريل إلا أن ترك عليًّا وأعطاها لمحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ويقولون: والسبب في ذلك شبه علي بمحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ من قبيح وصفهم أنهم يقولون: إن عليًّا كان شبيهًا بمحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، كشبه الغراب بالغراب، ولذلك يُسمون بالطائفة الغرابية!!

المتن

[ميكائيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: **ومنهم: ميكائيل، وهو الموكل بالقطر وتصاريفه إلىٰ حيث أمره الله** عَزَّ وَجَلَّ.

أخرج الإمام أحمد عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **أن النبي** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **قال لجبريل**: «مَالِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟» **فَقَالَ**: «مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ».

قال الله تعالىٰ في ميكائيل: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة: ٩٨]].

الشرح

يعني: النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كلما نظر إلىٰ ميكائيل وجده عابسًا غير ضاحك، **فقال**: «مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ»، وهذا يدل علىٰ ماذا؟ أن الملائكة مُكلَّفون، وأن لهم

عبادات، يعبدون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها، والخوف من أجلّ العبادات، فليس معنىٰ أنهم مجبولون علىٰ الطاعة أنهم ليسوا بمكلفين.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فتخصيص جبريل وميكائيل بالذكر دليل علىٰ عظم مكانتهما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إسرافيل، وهو الموكل بالصور ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عَزَّوَجَلَّ: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين].

الشرح

والصور هو هذا البُوق العظيم الذي سينفخ فيه إسرافيل فيقوم الناس لرب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عَزَّوَجَلَّ]، وهذا مما اختلف فيه السلف، هل هما نفختان أم ثلاثة. **[نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين]**، ومن السلف مَنْ **قال**: إن نفخة الفزع هي نفخة الصعق، أي أنه ينفخ في هذا البوق العظيم، فإذا نفخ نفخة صُعق الناس وماتوا، صُعق الخلق، ثم ينفخ مرة أخرىٰ فيقوم الناس لرب العالمين ليُحشروا إلىٰ أرض الحساب.

أحد الطلاب:...

الشيخ: من العلماء مَنْ **قال**: ثلاثة، ففصّل، ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل: ٨٧]، فهناك آية ففزع، وأخرىٰ صُعق، إذن هناك آية تذكر الفزع، وأخرىٰ تذكر الصعق، فمن العلماء مَنْ قال: إن النفخات ثلاث، ومنهم مَنْ قال: إن النفخ ملازم للصعق. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، فمنهم مَنْ **قال**: إن الصعق يلازمه الفزع، ومن هنا **قالوا**: هما نفختان.

المهم أن هؤلاء الملائكة هم أعظم الملائكة عند الله تعالىٰ، **فقال**:

المتن

[وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في دعائه من صلاة الليل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، رواه مسلم].

الشرح

وهذا الحديث شرحناه هنا في هذا المسجد، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كان يتوسل بربوبية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهؤلاء الملائكة الثلاث، لماذا هؤلاء الملائكة الثلاث؟ لأن جبريل ملك الوحي، وهو الذي تحيا به القلوب، وميكائيل ملك القطر، وهو الذي تحيا به الأبدان، وإسرافيل الملك الذي ينفخ في الصور، وهو الذي يكون سببًا في إحياء الأبدان مرة أخرىٰ، فوجدنا أن هؤلاء الثلاثة قد وُكِّلوا بالإحياء، سواء كان هذا الإحياء إحياء للقلوب، أو إحياء للأبدان.

المتن

[وفي سنن النسائي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أنها قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». اللهم آمين.

ومنهم: ملك الموت، وهو الموكل بقبض الرواح. قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: ١١]].

الشرح

فيُسمىٰ بملك الموت، ولا يُسمىٰ بعزرائيل، ولا بعبد الرحمن، كل هذه التسميات ليس عليها دليل، وإنما هي من الإسرائيليات التي جاءت إلينا، فلا تُصدَّق ولا تُكذَّب إن صح الإسناد إليها، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سمَّاه في كتابه بملك الموت، **فنقول**: ملك الموت.

أحد الطلاب:...

الشيخ: ملك الموت فقط، وكذلك خازن الجنة لا يُسمَّىٰ برضوان؛ لأنه لم يرد لا في الكتاب، ولا في السنة أن خازن الجنة اسمه رضوان، وإنما الذي ورد خازن النار، ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فاسمه مالك، فهذا كذلك مما يشتهر على الألسنة، وليس عليه دليل.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، لا شك أن الذي يتوفى هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ولكن ملك الموت جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سببًا لقبض الأرواح، ولو أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يقبض الأرواح دون الملائكة، أو بلا الملائكة لفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن هذا من كمال تقديره، وإحكامه لهذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أحد الطلاب:...

الشيخ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، لا، فالأثر والحديث الذي فيه أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يأمر ملك الموت أن يقبض روح فلان **يعني**: يوم القيامة، ثم بعد ذلك يقبض روح فلان، ثم بعد ذلك البشر، ثم الجن، ثم الملائكة، فلم يبقَ إلا هو، فيأمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يقبض روحه، فهذا الحديث لا يثبت، ولكن قال الله عز جل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦]، ولذلك يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنا الملك، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، فَلَمْ يجِبْهُ أَحَدٌ فَيَعْطِفُهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ **فَقَالَ**: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [غافر: ١٧].

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذكر هذا الحديث وقف علىٰ المنبر، **وقال**: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي اللهُ الْأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْجَبَّارُ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»، يقول عبد الله بن عمر: فخشينا أن يسقط المنبر برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن الملائكة ملك الموت، ومن أراد أن يعرف عظم ملك الموت فلينظر إلىٰ هؤلاء الذين يموتون لا أقول في اليوم الواحد، بل في اللحظة الواحدة، في كل بقعة من بقاع الأرض، ومع ذلك يموتون في لحظة واحدة، فإذا كان الملك المخلوق يستطيع أن يفعل ذلك، سواء قلنا إنه يفعل ذلك بنفسه، أو أن له أعوانًا يعينونه علىٰ ذلك، سواء قلنا هذه أو تلك، فعظم المخلوق يدل علىٰ عظم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[ملائكة الحفظ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

ومنهم: الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم في كل حالاته من حِلٍّ، وسفر، ونوم، ويقظة.

قال تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، في قوله تعالىٰ:** ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾**: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلَّوا عنه].**

الشرح

يوكل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بك ملائكة يحفظونك.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾، أي: ملائكة.

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾، يحفظونه بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يقول السلف في تفسير هذه الآية: أن الملائكة تحفظ العباد، فإذا جاء القدر خلَّوا بينهم وبين القدر، **يعني**: أنت تلاحظها، فتأتي لتعبر الشارع، فتجد سيارة مرَّت من أمامك بمسافة قليلة جداً، لو سرت هذا السنتيمتر لصدمتك السيارة، الملائكة تحفظك، هي التي حجزتك، يقع المرء من علىٰ دابة، أو من علىٰ مكان شاهق فلا يُصاب، تحفظه الملائكة بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا جاء القدر خلَّت الملائكة بينه وبين القدر، من الممكن أن يقع من علىٰ ارتفاع يسير جدًّا ومع ذلك تُكسر قدمه، أو يُكسر ذراعه، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد: ١١].

المتن

[الكرام الكاتبون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ومنهم: الكرام الكاتبون، وهم الذين يكتبون أعمال العباد من خير وشر. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]].

الشرح

ومن رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الملك الذي يكتب السيئات ينتظر وهذا في حديث ثابت صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، ينتظر لعل المرء يرجع ويتوب، جاء في الحديث أنه ينتظر ستَّ ساعات.

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، كرام، وبررة، لا يسارع بكتب السيئة بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما ملك الحسنات فبمجرد أن يهم المرء بالحسنة يكتبها له حسنة، وهذا من إكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك لا يهلك علىٰ الله إلا هالك، هذا الذي يدخل النار هذا الذي أهلك نفسه، انظر إلىٰ الملائكة يحفظونه، ويسددونه، ويوفقونه، الملائكة يسددون الخلق لفعل الخير، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لحسان: «اهْجُهُمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»، روح القدس مَنْ؟ جبريل يسددك، فالملائكة تسدد بني آدم لفعل الخير، فلا يهلك علىٰ الله إلا هالك.

[ومنهم: الكرام الكاتبون، وهم الذين يكتبون أعمال العباد من خير وشر. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ [ق: ١٨].

ولا شك أن هناك أصنافًا أخرىٰ من الملائكة، فمن الملائكة منكر ونكير، وهما اللذان سيسألان المرء في قبره: مَنْ ربك؟ ما دينك؟ مَنْ النبي الذي بُعث فيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

المتن

[كثرة الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وقد اخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن البيت المعمور في السماء يدخله -وفي رواية: يصلي فيه- كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»].

الشرح

والبيت المعمور هو بيت في السماء يوازي بيت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الأرض، هو فوق البيت الذي في الأرض، فوق المسجد الحرام، لكنه في السماء السابعة، ويسمىٰ الضراح كما ثبت في بعض الآثار. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، أي: الذين يدخلونه في اليوم الذي بعده سبعون ألف غير هؤلاء الذين دخلوا، ولذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

المتن

[ومن أنكر وجود الملائكة كفر:

ومن أنكر وجود الملائكة فقد كفر بإجماع المسلمين. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]].

الشرح

أي: مَنْ يكفر بهؤلاء جميعًا، أو مَنْ يكفر بواحد منهم، فسواء كفر بهذه الأركان، أو بركن واحد، فقد كفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

❁ وهذا آخر ما سطَّره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتقاد في الملائكة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.





بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فما زال حديثنا موصولًا في شرح كتاب (المعتقد الصحيح) لصاحبه فضيلة الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكنا قد تكلمنا في الدرس الماضي علىٰ أصل من أصول الاعتقاد، وهو الإيمان بالملائكة، واليوم إن شاء الله نتكلم عن أصل جديد كذلك من أصول الاعتقاد دلَّ عليه كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وسنة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الإيمان بالكتب المنزلة.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فبعد أن ذكر الإيمان بالملائكة ذكر الإيمان بالكتب المنزلة، وفي حديث جبريل لما جاء النبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأله عن الإيمان، **قال**: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ»، فظهر من ذلك أن الإيمان بالكتب المنزلة هو من أصول الاعتقاد التي ينبغي علىٰ المرء أن يتعلمها، وأن ينعقد قلبه علىٰ الإيمان بها.

ومعنىٰ الإيمان بهذه الكتب: التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان رسله، إلىٰ عباده بالحق المبين، والهدىٰ المستبين، أن تصدق تصديقًا جازمًا، وهذا هو واجب المرء المسلم، أنه إذا جاءه خبر عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يصدق بذلك الخبر تصديقًا جازمًا، وإذا جاءه أمر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فواجبه أن ينفذ هذا الأمر، فإذا أخبرنا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدَّقناه، وإذا أمرنا أطعناه، هذا هو مقتضىٰ الإيمان.

فمعنىٰ الإيمان بالكتب أن تصدق تصديقًا جازمًا بأن هذه الكتب منزلة من عند الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ لسان رسله إلىٰ عباده بالحق المبين، والهدىٰ المستبين، وأنها كلام الله، **أي**: أن هذه الكتب تكلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها كلامًا حقيقيًّا كما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، علىٰ الوجه الذي أراد، فمنها المسموع، **أي**: المسموع من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مباشرة من وراء حجاب بدون واسطة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وكما **قال**: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

إذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلَّم موسىٰ بلا واسطة من وراء حجاب، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي، الذي هو جبريل، يسمع هذه الكتب من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم يُؤمر بعد ذلك بتبليغها إلىٰ الرسول البشري؛ كمحمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورىٰ: ٥١]، ﴿إِلَّا وَحۡيًا﴾، **أي**: عن طريق الوحي، فهذا هو الرسول الملكي، ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، **أي**: أن يكلمه بلا واسطة، ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾.

ومن هذه الكتب كذلك ما خطَّه الله بيده، من الكتب المنزلة منها ما كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن موسىٰ: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باشر الكتابة بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنؤمن بكتبه المنزلة علىٰ رسله المطهرة، وهذه الكتب مطهرة من الكذب، هذا الأصل فيها، لا نتكلم عما طالها من تحريف، الأصل فيها أنها مطهرة من الكذب، ومن الزور، ومن كل باطل، ومن كل ما لا يليق بها، هكذا قال صاحب معارج القبول رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الأصل:

المتن

[وأما الإيمان بالكتب المنزلة:

فإن الله تعالىٰ قد أنزل مع كل رسول كتابًا، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ **[الحديد: ٢٥]].**

الشرح

فما من رسول إلا أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ معه كتابًا، علمنا هذا الكتاب، أو لم نعلمه، لأن الله **قال:** ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾، الذي هو العدل.

المتن

[وقال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ **[البقرة: ٢١٣]].**

الشرح

وهذه هي وظيفة الكتاب أن يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فإن لم يكن هناك اختلاف بين الناس فهذا معنىٰ الإجماع، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يجمع أمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ضلالة، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

الشاهد في هذه الآية: أن الله عَزَّوَجَلَّ **قال:** ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾، إذن هو كتاب حق، منزَّه عن الكذب والزور، وعن الباطل، إذا وجدنا في هذه الكتب ما ينبغي أن تُنزه عنه من الكذب، والباطل، وما لا يليق في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وما لا يليق في حق أنبياء الله ورسله، فعلينا أن نعلم أن هذا ليس من كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إنما هذا من تحريف البشر، من تحريف اليهود، ومن تحريف النصارىٰ.

أما آخر الكتب الذي هو القرآن، فقد تكفل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بحفظه؛ لأنه آخر الكتب، فليس هناك نبيٌّ بعد نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي ليصحح، فهذه الكتب السابقة جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حفظها للبشر؛ لأن الرسل كانوا يتتابعون، ولم يكن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آخر الرسل، ولم يكن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آخر الرسل، أما هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن الذي هو القرآن فهو آخر الكتب، ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الرسل، فكان من حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحفظه من التحريف والتبديل، ولذلك من حفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن جعله محفوظًا في الصدور وفي السطور، محفوظًا في المصاحف حتىٰ ولو ضاعت المصاحف، ولو بُدِّلت المصاحف وحُرِّفت فهو محفوظ في الصدور، فهذا من حكمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[فنؤمن بهذه الكتب، ونعلم أنها من عند الله امتثالا لقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

الشرح

فهذا أمر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نقول ونعتقد في إيمان جازم بما أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أنبيائه ورسله.

المتن

[وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

الشرح

أي: يا مَنْ اتصفتم بالإيمان، فهذا الوصف يقتضي منكم أن تؤمنوا، أن تصدقوا وتقروا تصديقًا وإقرارًا جازمًا، بماذا؟ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾، والكتاب في هذه الآية اسم جنس، فيشمل كل الكتب السابقة، فنؤمن بكتاب الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي هو القرآن إيمانًا تفصيليًّا، بكل ما جاء فيه، ونؤمن بالكتب السابقة إيمانًا مجملًا، فنؤمن أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنزل التوراة، وكذلك أنزل الإنجيل، وكذلك أنزل الزبور، وكذلك صحف إبراهيم، وصحف موسىٰ، إلىٰ غير ذلك مما جاءت أسماؤه في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك نؤمن أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنزل كتبًا علىٰ رسله، **فقال**: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، **يعني**: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾، **أي**: آمنوا بكل كتاب نزل قبل ذلك، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾، وهذا فيه أن مَنْ ردَّ هذا الأصل فهو كافر بالله العظيم، خارج عن ملة الإسلام، الذي يكفر بأصل الإيمان بالكتب هذا خارج عن ملة الإسلام.

المتن

[**وقوله تعالىٰ**: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥]].

الشرح

قلنا: كتاب هذا اسم جنس، فيشمل كل كتاب، ولذلك جاءت قبله (مِنْ) التي هي للجنس، لبيان الجنس، ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾، ما هذه موصولة، بمعنىٰ الذي، **أي**: آمنت بالذي أنزل الله، فما هو الذي أنزله الله؟ جاءت مِنْ بعدها؛ لبيان الجنس، لبيان هذا المبهم الذي جاء في الاسم الموصول الذي هو الكتاب.

المتن

[**وقال تعالىٰ**: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٤]].

الشرح

فقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، **فيه أمور**:

❁ **أما الأمر الأول**: فهذا فيه دليل علىٰ أن هذا من أصول الإيمان، أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما ذكر صفات المؤمنين ذكر أنهم يؤمنون بالغيب، وأنهم يقيمون الصلاة، وأنهم يؤتون الزكاة كذلك، وأنهم يؤمنون بالكتب المنزلة التي دلَّ الدليل علىٰ أن الإيمان بها من أركان الإيمان.

❁ ودلَّ كذلك علىٰ أن هذه الكتب منزلة من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليست من وضع البشر.

❁ ودلَّ كذلك علىٰ علوِّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، والنزول لا يكون إلا من أعلىٰ إلىٰ أسفل، فدل ذلك علىٰ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عالٍ علىٰ خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، أي: علا، وظهر، وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل الكتب نزلت من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[الكتب المنزلة من كلام الله تعالىٰ].

الشرح

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم كلامًا حقيقيًّا، وهذا مضىٰ في الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم كلامًا حقيقيًّا بصوت وحرف، هكذا قال أعلم الخلق بربه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ»، هذا يوم القيامة، فصوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يشبه الأصوات، فهو لما تكلم بالقرآن تكلم به كلامًا حقيقيًّا سمعه جبريل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم نزل به جبريل تكلَّم به فسمعه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا القرآن كلام الله المنزل علىٰ قلب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك الكتب المنزلة كلها من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلم يكلمه ربُّه إلا بعد أن جاء، معنىٰ ذلك أن ربه لم يكلمه قبل ذلك، وإنما كلمه بعد أن جاء، ولذلك يقولون في صفة الكلام بالنسبة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنها صفة ذات، وصفة فعل، صفة ذات، أي أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يزَلْ أبدًا متصفًا بالكلام، وهذا من كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفة فعل، أي أنه يتكلم وقتما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾، في هذه اللحظة ما الذي حدث؟ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالكتب المنزلة كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[ونؤمن بأن هذه الكتب من كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا من كلام غيره، وأن الله تعالىٰ تكلم بها حقيقة كما شاء علىٰ الوجه الذي أراد].

الشرح

ولا نقول كما يقول أهل البدع أن الله لا يتكلم حقيقة كما تقول الأشاعرة، وإنما يتكلم كلامًا نفسيًّا؛ لأنه إن تكلم كلامًا حقيقيًّا فهذا يستلزم لسانًا، وشفتين، ولهاة، عياذًا بالله، شبهوا الله بخلقه فعطَّلوا صفته التي دلَّ عليها الكتاب، وسنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نقول كما تقول المعتزلة أن هذا الكلام الذي هو موجود في المصحف إنما هو كلام مخلوق، فالله لا يتكلم، إنما يخلق كلامًا عياذًا بالله.

وإنما نقول بقول أهل السنة: إن الله يتكلم، كما أن الله يسمع، ويبصر، ويحيىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكما تقول: إن الله يحيا لا كحياة البشر، فقل: يتكلم لا ككلام البشر، هؤلاء يثبتون الحياة لله، **يعني**: هؤلاء الذين خالفوا في هذه الجانب يثبتون الحياة لله، فإذا سألتهم يقولون: حياة تليق بكمال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقل كما قلتَ في بعض الصفات، قل كذلك في بعضها الآخر، قل: وكذلك يتكلم كلامًا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الكيفية فلا نعلمها، لماذا؟ لأمور ثلاثة نذكرها كثيرًا، **وهي**:

١. أننا لم نرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لن نراه إلا في الجنة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الجنة، وما يقرب إليها من قول أو عمل.
٢. ولم نرَ شبيهًا له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].
٣. ولم يأتنا خبر مُصدَّق عن معصوم، **يعني**: لم يأتنا خبر صادق عن إنسان معصوم، ولا عصمة إلا للأنبياء.

إذن بسبب هذه الأمور الثلاثة لا نستطيع أن نُكيف صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إنما أخبرنا أنه يتكلم، **نقول**: يتكلم، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، فهذا فاعل، فموسىٰ هو

المُكلَّم، والمتكلم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فهذا أيضًا فاعل، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم حقيقة.

❁ **ثم ذكر بعد ذلك أنواع الوحي:**

المتن

[فمنها: المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، كما كلم الله موسىٰ تكليمًا بدون واسطة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]].

الشرح

وهذا المعتقد الصحيح للشيخ ابن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ جُلُّه حتىٰ بجمله مأخوذ من معارج القبول شرح سلم الوصول، يعني ما هو إلا مختصر للمعارج أخذ فيه هذه الجمل الكلية، وجعلها هذا المعتقد الصحيح؛ تيسيرًا علىٰ الناس إن لم ينشطوا لقراءة معارج القبول، **فمن أنواع الوحي**: المسموع، **أي**: الذي يسمعه النبي أو الرسول مباشرة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بلا واسطة.

[فمنها: المسموع منه]، **أي**: من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **[من وراء حجاب بدون واسطة]**، لماذا من وراء حجاب؟ لأن أحدًا لن يرىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا، موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما طلب الرؤية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قال**: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلم يستطع موسىٰ أن يرىٰ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل خرَّ صعقًا، لماذا؟ لأن الجبل لم ينهض، ولم يستقر لمَّا تجلَّىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا القدر، قدر الأنملة كما بيَّنه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما بالك لو كشف الحجاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما أحوال الناس في الآخرة، فالأحوال متغيرة، تدنو الشمس من الرؤوس، ويدخل البشر الجنة في صورة أبيهم آدم، وتكون الشجرة طولها كذا، وعرضها كذا، وتكون الثمار، أمور أخرىٰ، أحوال غير الأحوال، أما في الدنيا فلا يستطيع المرء أن يرىٰ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ حجب نفسه عنَّا **لأمرين:**

❁ **الأمر الأول**: من باب الابتلاء، ومن باب الإيمان بالغيب.

❁ **الأمر الثاني**: رحمةً بنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنه لو كشف الحجاب عن وجهه كما جاء في الحديث لأحرقت سُبحات -والسبحات **يعني**: الأنوار-، لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه، والله عَزَّوَجَلَّ لا يخفىٰ عليه شيء، فمن رحمته أن حجب نفسه بحجاب الكبرياء عنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، حجاب النور.

[فمنها: المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، كما كلم الله موسىٰ تكليمًا بدون واسطة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]]، إذن متىٰ حدث الكلام؟ وقت أن جاء موسىٰ، ولا نقول كما يقول أهل البدع، يقولون: الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تكلم في الأزل، فالله الآن لا يتكلم ساكت، فجعلوا المخلوق أكمل من الخالق، لأن المخلوق يتكلم متىٰ شاء، جعلوا الله عَزَّوَجَلَّ لا يتكلم متىٰ شاء، انظر إلىٰ هذه الآية، هل هذه الآية تفيد أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تكلم أزلًا، أم أنه تكلم وقت أن جاء موسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ؟ تكلم وقت أن جاء موسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

المتن

[وقال: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]].

الشرح

وكذلك كلَّم نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا واسطة يوم المعراج سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولذلك قال العلماء: ما من آية أُوتيت لنبي من الأنبياء إلا كانت لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما من آية أعطاها الله عَزَّوَجَلَّ لنبي إلا وقد أعطىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إياها لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فموسىٰ **يُقال**: كليم الله، ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك كليم الله، إنما أعظم المعجزات، وأعظم الآيات: القرآن، وكذلك كما كانت الخلة لإبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كانت لمحمد من بعده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المتن

[ومنها: ما يُسمعه الله تعالىٰ الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلىٰ الرسول البشري، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ۝٥١﴾ [الشورىٰ: ٥١]].

الشرح

[ومنها: ما يُسمعه الله تعالىٰ الرسول الملكي]، يعني: جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، لأنه هو الموكَّل بالوحي كما مضىٰ في الدرس الماضي.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ۝٥١﴾، قلنا: علوُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أقسام ثلاثة، له الكمال فيها:

❁ الأول: علوُّ الذات، فأين هو؟ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، أي: مَنْ في العلو، السماء في لغة العرب تُطلق علىٰ العلو، كما الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [الأنعام: ٩٩]، والماء لا ينزل من السماء، إنما ينزل من السحاب، فالمقصود: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾، أي: أنزل من العلوِّ، قال أهل اللغة: وكل ما علاك فهو سماء، كل ما يعلوك فيُسمىٰ سماء؛ لأنه من السمو الذي هو الارتفاع.

❁ الثاني: علوُّ الصفات، الذي يُسمىٰ بعلوِّ الشأن، فكل صفة اتصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها ففيها الكمال المطلق.

❁ الثالث: علوُّ القهر، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨].

قلنا: نزيد علىٰ ذلك من أنواع الوحي أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد يكتب الوحي بيده، ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، فكتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وخطَّ التوراة بيده، هكذا قال آدم لموسىٰ في حديث المحاجة: أنت موسىٰ بني إسرائيل الذي خطَّ الله لك التوراة بيده، فالله عَزَّوَجَلَّ خطَّ التوراة بيده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لموسىٰ.

وأما عن الإيمان بما في هذه الكتب السابقة من الشرائع، فقال:

المتن

[الإيمان بما في الكتب من الشرائع:

كما أن الإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجبًا علىٰ الأمم الذين نزلت إليهم الانقياد لها والحكم بما فيها].

الشرح

[كما أن الإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بكل ما فيها من الشرائع]، هذا كان علىٰ مَنْ؟ علىٰ الأمم السابقة، واجب عليهم أن يؤمنوا بكل ما جاء فيها من الشرائع.

ودليل هذا الكلام قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، فهذه الآيات، ثلاث أو أربع آيات من سورة المائدة تبين أن بني إسرائيل سواء كان في عهد موسىٰ، أو في عهد غيره من بني إسرائيل؛ كعيسىٰ وغيره، واجب عليهم أن يحكموا بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ إليهم، وإلا كانوا من الكافرين، أو الظالمين، أو الفاسقين.

فهذه الكتب نزلت علىٰ من يؤمنون بها إيمانًا مفصَّلًا، بكل ما جاء فيها، أما نحن فنؤمن بها إيمانًا مجملًا، لماذا؟ لما طالها من التحريف، ولما جاء في شرعنا من نسخ لها؛ لأن هذه الكتب جاءت فيها أحكام، وجاء شرعنا بنسخها، فرُفعت هذه الأحكام، حتىٰ لو **قلنا**: هذه الأحكام لم تتعرض للتحريف، **فنقول**: جاء شرعنا مهيمنًا عليها.

وهذه الكتب يصدِّق بعضها بعضًا، ولذلك ما أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كتابًا، وما أرسل رسولًا إلا وأخذ عليه العهد والميثاق أنه إذا بُعث محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم أن يؤمن بهم وقومه، ولذلك كان محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الخلق، وأعظم الأنبياء والرسل.

المتن

[الكتب يصدِّق بعضُها بعضًا:

وأن هذه الكتب يصدِّق بعضُها بعضًا، لا يكذبه].

الشرح

ولذلك يذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: ٥٠]، مع أن الذي جاء به عيسىٰ الإنجيل، ولكنه كذلك يصدِّق بما جاء في التوراة، وفي الإنجيل يقول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (ما جئتُ لأنقض الناموس)، الناموس الذي هو التوراة، وإنما جاء ليتمم، هكذا **يقول**: (ما جئتُ لأنقض الناموس).

وكذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨]، **قلنا**: ما المقصود بالكتاب؟ جنس الكتب، القرآن يصدقها، ثم **قال**: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالقرآن صدَّق بنزول هذه الكتب علىٰ الأنبياء والرسل، ولكنه نسخ كل ما جاء فيها، فصار هو الشريعة الحاكمة التي لا يقبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غيرها.

المتن

[نسخ الكتب بعضها ببعض حق:

وأن نسخ الكتب الأولىٰ بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال تعالىٰ في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]].

الشرح

[وأن نسخ الكتب الأولىٰ بعضها ببعض حق]، يعني: الكتب ينسخ بعضها بعضًا، والنسخ حق، ولا نقول كما تقول طائفة من اليهود، أو طائفة من المعتزلة بأن النسخ لا يجوز، لماذا النسخ لا يجوز؟ يقولون: لأنه يلزم منه البداء، ما معنىٰ البداء؟ البداء هو ظهور الشيء بعد خفائه، فهذا معنىٰ البداء، أقول: بدا لي ألا أفعل هذا الأمر، إذن كنتُ سأفعله، ثم بدا لي ألا أفعله، لماذا؟

لأن هذا الأمر بدا أن فيه أمورًا لا يجوز أن أُقدِم عليها، ومن ثَمَّ لن أفعلها، هذا يُسمىٰ بالبداء، يقولون: لو قلنا بالنسخ في الكتاب في الشرائع المنزلة، فهذا يلزم منه البداء، وهذا يستلزم أن ننسب النقص إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأننا لو قلنا بالنسخ نقول أن الله عَزَّوَجَلَّ علم الشيء بعد أن لم يكن يعلمه.

فنقول: هذا لا يلزم، لماذا؟ لأنك إنما فعلتَ ذلك من قياس عالم الغيب علىٰ عالم الشهادة، من قياس صفات المخلوق علىٰ صفات الخالق، هذا إن كان يلزم في حق المخلوق فلا يلزم في حق الخالق، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما أنزل هذه الكتب يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، بل وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]، لما **قالوا:** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]، يتمنون العودة مرة ثانية، يقول الله، وهو لم يردهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنه يعلم بالأمر لو وقع كيف سيكون، **قال:** ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، لعادوا إلىٰ الكفر والشرك مرة أخرىٰ، ولذلك **قال:** ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]، فالبداء لا يلزم.

ثم نقول لهؤلاء الذين ينكرون النسخ، **نقول:** أنتم تقرون بالنسخ، فلماذا تنكرون النسخ في شريعة محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **يعني:** كان من شريعة آدم أن يتزوج الأخ أخته، فهل هذا موجود في التوراة؟ لا، ليس موجودًا في التوراة، هذا محرم عندهم، فما الذي حدث؟ نُسخت الشرائع السابقة، لماذا تقرون بذلك عندكم، ولا تقرون بذلك لمن جاء بعدكم، عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نسخ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ لسان عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]، فالتحليل بعد التحريم هذا نسخ، لأن النسخ رفع حكم سابق، هذا الحكم ثبت بدليل شرعي، ثبت في التوراة، بحكم لاحق ثبت بدليل شرعي، الذي جاء به عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكان هناك نسخ في التوراة، وكان هناك نسخ في الإنجيل، فلماذا يُنكر النسخ في شريعة محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ويُقال:** إن هذا يلزم منه البداء، فهذا كلام باطل.

فهذه الكتب ينسخ بعضها بعضًا، ولذلك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[وأن نسخ الكتب الأولىٰ بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، قال تعالىٰ في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وكما نسخ القرآن ما قبله من الكتب السماوية، قال تعالىٰ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]].

الشرح

[وكما نسخ القرآن ما قبله من الكتب السماوية]، القرآن رفع أحكام الكتب السماوية السابقة، ويُقال: الكتب السماوية، ولا يُقال: الأديان السماوية، وهذا تجده علىٰ ألسنة بعض الناس يقول: هذا الأمر جاءت به الأديان السماوية، فهذا خطأ؛ لأن الدين عند الله الإسلام، وإن اختلفت مسميات الكتب، فإن الأصل واحد، أنه ما من نبي إلا وهو يدعو إلىٰ الإسلام.

ولذلك موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ماذا قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

فما من نبي إلا وجاء بالإسلام، الإسلام بمعناه العام الذي هو الخضوع والاستسلام لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالدين واحد، لا يُقال الأديان السماوية، وإنما هو دين واحد، إنما يُقال: الكتب السماوية؛ لأن الكتب تنوعت.

وكذلك القرآن تُنسخ بعض آياته ببعض، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦]، فهذا من تمام قدرته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والنسخ له حكم عظيمة وجليلة، التدرج في الأحكام، الرحمة بالخلق، **يعني**: لو أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنزل تحريم الخمر جملة واحدة في قوم كان شرب الخمر عندهم كشرب الماء لكانت المشقة الشديدة، فمن رحمة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن نزل هذا الأمر علىٰ صورة هذا التدريج.

قد يكون النسخ من الأثقل للأخف رحمةً بالخلق، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بعد أن **قال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٥]، كان الواحد لا بد أن يُصابر أمام العشرة لا يجوز له أن يفر، فنُسخت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فصار الواحد يصابر أمام الرجلين، فإذن زادوا علىٰ ذلك فله أن يفر، فهذا تخفيف ورحمة من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

قد يكون النسخ من الأخف إلىٰ الأثقل، التخيير في الصوم نُسخ بفرض صيام رمضان، لماذا؟ ابتلاء، وزيادة في الأجر من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يكلفك بما لا تطيق، ولذلك لم يجعل لك السنة كاملة صيامًا، وإنما هو شهر واحد، والمريض معذور، والمسافر معذور، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يكلف المرء إلا بما يطيق، ولذلك **قال**: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧].



المتن

[والإيمان بكتب الله يجب أن يكون إجمالًا فيما أُجمل، وتفصيلًا فيما فُصِّل.

أسماء كتب الله:

وقد فصل الله تعالىٰ أسماء بعض كتبه، فسمىٰ الله التوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ، والإنجيل الذي أنزل علىٰ عيسىٰ، والزبور الذي أنزل علىٰ داود، والقرآن الذي أنزل علىٰ محمد.

وذكر تعالىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

فنؤمن بهذه الكتب علىٰ هذا التفصيل. كما أن ذكر كتبًا كثيرة إجمالًا لم يُسَمِّ منها شيئًا، فنؤمن بها أيضًا علىٰ هذا الإجمال، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ: ١٥]].

الشرح

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾، **قلنا**: كتاب هذا اسم جنس، فيشمل كل كتاب، ولذلك جاء بمِن التي تفيد بيان الجنس، **أي**: من جنس الكتب التي أنزلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، ما هو الرجس؟ بيَّن لك جنس هذا الرجس الذي يأمرك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن تجتنبه، التي هي الأوثان، كذلك **قوله**: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾.

وآخرها القرآن ولذلك هؤلاء الذين يضعون الكتب ويدَّعون أن الوحي ينزل عليهم؛ كالطريقة الأحمدية، أو القاديانية، أو البهائية، وأن الوحي ينزل عليهم، فهؤلاء كلهم ضلال كفار بالله العظيم؛ لأن الأمر المعلوم من الدين بالضرورة أن الله قد أغلق باب الرسالة بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبالقرآن، فوصف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنه خاتم النبيين، ووصف كتابه بأنه آخر الكتب المُنزلة.

المتن

[القرآن الكريم آخر الكتب:

والقرآن الكريم الذي أنزله الله علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر الكتب السماوية، فلا كتاب بعده.

وهو ناسخ لجميع الكتب المتقدمة، عام للثقلين الإنس والجن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم: ٥٢]].

الشرح

ولذلك جاء في تفسير القرآن في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الإنس والجن. أي: رب الإنس والجن، ولكن لماذا نصَّ علىٰ الإنس والجن؟ لأن أساس التكليف للإنس والجن، والقرآن نزل للإنس والجن، فالقرآن ذكر للعالمين، للثقلين الإنس والجن.

ما هو واجب المرء أمام القرآن؟ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧]، قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ بِهِ -أي: بالقرآن- مِنَ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَنَاهِيهِ، وَتَحْلِيلِ حَلَالِهِ، وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ، وَالِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ، وَالِاتِّعَاظِ بِقَصَصِهِ، وَالْعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَتِلَاوَتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالذَّبِّ عَنْهُ لِتَحْرِيفِ الغالين، وانتحال المبطلين، وَالنَّصِيحَةِ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِجَمِيعِ مَعَانِيهَا.

فهذا هو واجب الإيمان بالقرآن، هذه الأمور التي ذكرها، أن تحل حلاله، وتحرم حرامه، وأن تعمل بمحكمه، وأن تَكِل متشابهه إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أن تقف عند حدوده، أن تتعظ بما جاء فيه من القصص والمواعظ إلىٰ غير ذلك، وتذب عنه؛ لأن القرآن شامل لكل ما يحتاجه الناس.

المتن

[شامل لجميع ما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة: ٣]].

الشرح

[شامل لجميع ما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم]، وهذا لا تجده في غير القرآن، ولذلك الإنجيل ليس فيه أحكام، وإنما هو مواعظ، القرآن فيه أحكام ليست موجودة في التوراة، وإن وُجدت في التوراة أحكام تتعلق بالدين، فليس فيها أحكام تتعلق بالدنيا، التوراة محرفة، والإنجيل محرف، أما القرآن فهو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن فيه سعادة الدنيا والآخرة القرآن.

ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ولا يكون كمال الدين إلا بعد النقصان، فهذا دليل علىٰ أن الخلق واجب عليهم أن يكتفوا بالقرآن؛ لأن فيه كمال الدين أصوله وفروعه ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [المائدة: ٣].

انظر حتىٰ هذا الأمر اليسير نبَّه عليه القرآن، الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم عن كمال الدين، وعن تمام النعمة، ثم يقول بعد ذلك: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾، **يعني**: حتىٰ هذا الأمر اليسير لا بد أن تجد حكمه في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فما أعلىٰ منه من باب أعلىٰ؛ كالكلام في التوحيد، والأسماء والصفات، وكذلك المواريث، وعبادة الخالق، والمعاملة مع الخلق، والكتب المنزلة، وكيف يتم التغيير، وكيف يتم التمكين، وكيف تنصلح أمور العباد، كل هذا تجده في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك هو كتاب واحد، وفيه صحف مطهرة، كم من كتب التفاسير وُضعت في تفسير هذا القرآن!! كتب لا يحصيها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لماذا؟ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل فيه السعادة الدنيوية والأخروية، جعله كتابًا شاملًا لكل ما يحتاجه الناس.

المتن

[القرآن معجز:

معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]].

الشرح

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾؛ لأن القرآن كلام الله، ولا يستطيع أحد أن يتكلم ككلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تحداهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالقرآن أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مفتريات فلم يستطيعوا، أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

هؤلاء الذين تلكموا عن مصدر القرآن من قريش، **قالوا:** إن محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأوي إلىٰ غلام من الروم كان يعمل حدادًا، هكذا جاء في تفسير هذه الآية التي ذكرناها، فكان يأوي إلىٰ حداد رومي يُسمىٰ بياسر أو جابر، كان يأوي إليه، ويسمع منه التوراة، ومن ثَمَّ وضع القرآن، فالله عَزَّوَجَلَّ **يقول:** ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾، هذا الرجل الذين يميلون إليه هذا أعجمي، هذا من الروم، فلو كان النبي وضع القرآن علىٰ وفق ما أخذه عن هذا الرومي لكان القرآن أعجميًّا، ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

ثم يُردُّ عليهم ثانيًا: لماذا لم تجعلوا واحدًا منكم يذهب إلىٰ هذا الرومي ليكسر هذا التحدي، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، الرجل موجود، وهذا الحداد موجود فلم يستطيعوا، ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، وسورة هود سورة مكية، **يعني:** نزلت عليهم وقت أن كان هذا الحداد موجودًا بينهم، فلم يأتوا بعشر سور مفتريات، ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، وسورة يونس مكية فلم يأتوا بسورة واحدة، فدلَّ ذلك علىٰ إفكهم وكذبهم.

ولذلك يقول الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام ما معناه في كتابه (الرد علىٰ الجهمية)، **يقول**: قد كان عند العرب شعراء، وكُهَّان، وسحرة، وأدباء، وكانت لهم أندية يجتمعون فيها، وهذا يعمله كل أحد، وإلا فما حال المعلقات؟ كانت تُعلَّق علىٰ الخيام، وعلىٰ أستار الكعبة، وغير ذلك، وشعرهم معروف، لو كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن لجمعوا هؤلاء، كانوا أقاموا مؤتمرًا، كما يفعل الناس في النوازل، يأتون بالعلماء، ما تقول؟ ما تقول؟ ما تقول؟ ليخرجوا بقرار ما، فقد كان عندهم شعراء، أدباء، وكُهَّان يأتيهم الجن، وسحرة، وغير ذلك، فلو كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن، أو بمثل سورة من مثله لجمعوا هؤلاء.

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ [العلق: ١٧]، **أي**: مَنْ كان يجلس معه في هذا النادي، وفي هذا المجلس الذي كان يجلس فيه، فالقرآن معجز، لا يستطيع أحد أن يأتي بالقرآن أبدًا، أو بمثل سورة واحدة من القرآن، بل قال بعض العلماء: بل التحدي حدث بأصغر آية في القرآن، **يعني**: أقصر آية في القرآن قد لا يستطيع المرء أن...، بعض أهل العلم قال كذلك لما تكلم في هذه المسألة في كتب الأصول الموسعة، اختلفوا لدرجة أن بعض العلماء **قال**: التحدي قد وصل أنه لا يستطيع أن يأتي بآية كمثل أي القرآن؛ لأنه كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، أما حكيم فإما أنه مأخوذ من الحكمة، أو مأخوذ من الإحكام، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قال**: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]، فإما أنه من الإحكام، فلا تجد خللًا في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك فهؤلاء الذين يتكلمون عن القرآن بالباطل يقولون: ربكم يقول في سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٦٩]، فيأتي أحد القساوسة **ويقول**: وجدتُ خللًا في القرآن، الله **يقول**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وإن تنصب ما بعدها، والقرآن **يقول**: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، فهذا خلل.

كيف ذلك وأبو جهل لم يعترض، وهم عرب أقحاح ولم يعترضوا، تعترض أنت، مَنْ أنت؟! فهذا نزل من عند حكيم حميد، فالحكيم كما **قلنا**: من الحكمة، أو من الإحكام، والحميد من الحمد، **أي**: الكمال المطلق له في سائر صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم ختم بقوله:

المتن

[القرآن محفوظ:

محفوظ من الزيادة والنقصان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]].

الشرح

فالله عَزَّوَجَلَّ حفظ كتابه من الزيادة والنقصان، ولذلك يذكرون في قصة أحد هؤلاء الذين أسلموا، لما أراد أن يعلم أي الكتب هو الصحيح، وهو المحفوظ، أخذ كتابًا من التوراة، ثم نسخه، وزاد فيه ونقص، وأراد أن يبيعه فعرضه علىٰ قوم من اليهود فنظروا فيه فاشتروه، ثم جاء بالإنجيل فأخذه فزاد فيه ونقص، ثم عرضه علىٰ قوم من النصارىٰ فنظروا فيه وقرأوه واشتروه منه، ثم أخذ القرآن ونسخه، وزاد فيه بعض أمور، أو نقص فيه بعض أمور، فما كان من القوم إلا أن ضربوه، و**قالوا**: هذا كلام محرَّف، هذا ليس كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، **قال**: فعلمتُ أنه الكلام الحق، وأنه محفوظ من قبل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فالقرآن محفوظ من الزيادة والنقصان، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

وهذا الآية فيه أكثر من توكيد علىٰ حفظ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: إن حرف توكيد ونصب، **قال**: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾، اللام كذلك، وله كذلك، تخصصيه بالحفظ، فهذه كلها تدل علىٰ حفظ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للقرآن.

❁ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.





بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس العاشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ النبي الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❁ أما بعد:

فما زال حديثنا موصولًا في الكلام علىٰ المعتقد الصحيح الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يعتقده في أسماء الله وصفاته، وفي ربوبيته، وفي ألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكنا قد انتهينا في الدرس الماضي من الكلام عن المعتقد الصحيح في الكتب التي أنزلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أنبيائه ورسله، واليوم إن شاء الله نتكلم عن أصل جديد من أصول الإيمان، وركن من أركان الإيمان جاء في حديث جبريل، وكذلك جاء في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ألا وهو الإيمان بالرسل.

المتن

[والإيمان برسله].

الشرح

والرسل بشر و وكذلك ملائكة يرسلهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لتبليغ وحيه للناس، والمقصود بالإيمان بالرسل هنا الرسل من البشر مثلنا، وذلك لأنه قد تقدم الكلام علىٰ الرسول الملائكي.

المتن

[يكون بالتصديق الجازم بان الله قد بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يُعبد من دونه].

الشرح

فكل أمة بعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها رسولًا، أول ما يأتي هذا الرسول إلىٰ قومه يدعوهم إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يقول لهم كما قال ربنا: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، جاءت هذه الكلمة علىٰ لسان نوح، وعلىٰ لسان صالح، وعلىٰ لسان هود، وعلىٰ لسان شعيب، وعلىٰ لسان جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مبينًا حالهم: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

فكل رسول يأتي قومه أول ما يدعوهم إليه **يقول**: اعبدوا الله، فيأمرهم بعبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وينهاهم عن الشرك، وهذا معنىٰ اجتناب الطاغوت، والطاغوت هو الشرك، وهو الشيطان الذي يأمر بالشرك، فلا يكفي أن تأمر الناس بتوحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده، **ولكن واجب عليك أن تحذرهم من الشرك:**

۞ سواء كان هذا الشرك شركًا أكبر ظاهرًا جليًّا؛ كعبادة القبور، والذبح لها، والنذر، وغير ذلك، والطواف بها، واتخاذ الأنداد والآلهة مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

۞ أو كان شركًا أصغر؛ كالحلف بغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتعليق التمائم، والاستسقاء بالأنواء.

۞ أو كان من الشرك الخفي؛ كالرياء الذي قد لا يشعر المرء به، ولذلك المرء ينبغي عليه أن يحذر الشرك بأنواعه كلها.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يغفر أن يُشرك به، **أي**: لا يغفر شركًا به، سواء كان شركًا أصغر أو أكبر، ظاهرًا أو خفيًا، ولذلك كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو **ويقول**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»، واللفظ الدارج والمشهور: «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه»، فكل نبي يأتي قومه يدعوهم إلىٰ توحيد الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإلىٰ الكفر بما يُعبد من دون الله، وهذا معنىٰ كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، لا إله: تنفي كل الألوهية، وكل أنواع العبادة وهذا نفي عام، إلا الله: ونثبتها لله الواحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا إثبات خاص، فالدين قائم علىٰ هذين الركنين، علىٰ نفي وإثبات.

المتن

[وأن جميعهم صادقون مُصدَّقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون. وأنهم بلَّغوا رسالات الله جميعًا].

الشرح

[وأن جميعهم صادقون]، كل نبي صادق.

فكل الأنبياء والمرسلين علىٰ هذا الوصف، كلهم صادقون، فالنبي لا يكذب، بل النبي لا يقع في كبيرة من الكبائر، عصمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أن يقع في كبيرة من الكبائر؛ لأن هذا يقدح في عدالته، ويقدح في رسالته، فكانت له العصمة من قبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو صادق لا يكذب، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن نبيه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٥]، وجاء باليمين كما يقول ابن كثير دلالة علىٰ شدة الأخذ، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝﴾ [الحاقة: ٤٦]، وهو هذا العرق، فهذا يعني أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكذب علىٰ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكذلك سائر الأنبياء.

ومما يدل علىٰ صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أننا نجد في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اللوم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا يدل علىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغ كل شيء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فلو كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتمًا شيئًا لكتم هذا العتاب الشديد، قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة التوبة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ۝﴾ [التوبة: ٤٣]، عاتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبيه كذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١].

فلو كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتمًا شيئًا لكتم هذه الآيات، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ [عبس: ١ -٣]، ونحن نعلم سبب نزول هذه الآية، ومع ذلك بلَّغها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو صادق مُصدَّق من قبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الواحد لو كذب علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في النبوة خاصة كما يقول ابن تيمية أو ابن القيم، لا بد أن يفضحه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قبل أن يموت.

ولذلك لما ناظر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد علماء أهل الكتاب في نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قال**: أنتم بعدم إيمانكم بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقدحون في الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تقولون: إنه لا خالق، ولا مدبر لهذا الكون، أو أنه يغفل عما يحدث في هذا الكون، قال كيف ذلك؟ **قال**: هذا الرجل -**يعني**: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، جاء فأحل هذا، وحرم هذا، ونسخ الشرائع السابقة، وقاتل، **ويقول**: إن كل ذلك في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويسبي ويقتل، ومع ذلك الله ينصره، ويؤيده، بل ربما انتصر بلا تعب، ولا مشقة، ولا حرب منه، بمجرد دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وع ذلك يموت هكذا دون أن يبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كذبَه الذي تزعمونه عليه، فقولكم هذا **يعني أحد أمرين**:

۞ **الأول**: إما أن هذا العالم لا إله ولا رب له؛ لأنه لو كان له رب لأظهر ما عليه هذا الرجل الذي يقول إنه نبي، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهذا من أعظم الظلم والكذب علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

۞ **الثاني**: وإما أن تقول إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو رب هذا الكون، ولكنه يغفل عن هذه الأمور، ولا يعلم هذه الأمور.

فما كان من هذا الرجل إلا أن **قال**: إن كل واحد منا يشهد في قرارة نفسه أنه نبي، ولكنه بُعث إلىٰ العرب، ولم يُبعث إلينا، **يعني**: اليهود والنصارىٰ، فقال له ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل النبي يكذب؟ **قال**: لا، **قال**: هو الذي قال في الكتاب الذي يقول إنه أُوحي إليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا

﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وليس للعرب، فما كان من الرجل إلا أن قام وخرج، ما استطاع أن يناظره، أو أن يجادله.

ولذلك **قال**: **[صادقون مُصدَّقون]**، من قِبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يصدقهم الله عَزَّوَجَلَّ ويقرهم في أحكامهم، وفي اجتهاداتهم إن اجتهدوا.

قال: **[بارون راشدون]**، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ [الأنبياء: ٥١].

قال: **[بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء]**، علىٰ الوحي لا يكتمون شيئًا، ولا يحرفونه، **[هداة مهتدون]**، فهم هداة جعلهم الله عَزَّوَجَلَّ هداة للخلق، ونعني بالهداية هنا هداية الإرشاد والبيان، فالنبي يرشد، ويبين، ويبلغ عن ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا يكتم شيئًا، ولا يألو جهدًا في أن ينصح لأمته صغيرها وكبيرها، ولذلك قال في حجة الوداع: **«أَلا هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ»**، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، فهذا دليل علىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هدىٰ بالهدىٰ الذي نزل من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولم يكن هاديًا إلا وقد كان مهديًّا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، **ولذلك يقول الشاطبي**:

فلم ينهَ عن أمر **يعني**: -النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- إلا وكان أول المنتهين، ولم يأمر بشيء إلا وكان أول المأمورين، **يعني**: كان أول مَنْ يسارع بتنفيذه، ولم يعظ بشيء إلا وكان أول المتعظين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ولذلك وجدناه يقوم الليل، ويصوم النهار، ويجاهد في سبيل الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.



المتن

[وأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا، وكلَّم موسىٰ تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليًّا، وأن عيسىٰ عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه.

وأن الله فضل بعضهم علىٰ بعض، ورفع بعضهم علىٰ بعض درجات. وأن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر].

الشرح

[وأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا]، الله عَزَّ وَجَلَّ ما اتخذ إلا نبيين من الأنبياء أخلاء، أما النبي الأول فهو إبراهيم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»، وهو صادق مُصدَّق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالخلة ليست إلا لنبيين، والخلة درجة هي أعظم من المحبة، ولذلك لا **يُقال**: إبراهيم خليل الرحمن، ومحمد حبيب الرحمن، فهذا خطأ، لماذا؟ لأن الخلة درجة أعظم من المحبة.

فيُقال: كما أن إبراهيم خليل الرحمن، فكذلك محمد عليهما الصلاة والسلام خليل الرحمن، فنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الرحمن، ولذلك نُهي أن يتخذ خليلًا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، فهناه الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتخذ أحدًا خليلًا؛ لأنه خليل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجاء في أحاديث بعض الصحابة يقولون: أوصاني خليلي، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو نفسه مأمور ألا يتخذ أحدًا خليلًا، وليس الصحابة مأمورين ألا يتخذوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلًا، فلا تعارض بين الأحاديث.

[وكلَّم موسىٰ تكليمًا]، وكلَّم نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكليمًا، [ورفع إدريس مكانًا عليًّا]، وكل ذلك له شواهد في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا ديدن أهل السنة والجماعة، أنهم إذا كتبوا معتقدهم دائمًا يقوم علىٰ الكتاب والسنة، كل كلمة تُسطَّر في معتقدهم تكون نابعة من كتاب الله، وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[وأن عيسىٰ عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه]، معنىٰ (وكلمته): أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بالكلمة، وليس هو الكلمة التي كالقرآن، لأن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مخلوق، وإنما معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ عن عيسىٰ أنه كلمته، وكذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عيسىٰ أنه كلمة الله؛ **أي**: كان عيسىٰ بالكلمة التي هي كن، ولم يكن هو الكلمة، لماذا؟ لأن النصارىٰ يقولون: إن عيسىٰ هو الكلمة، ولذلك يقولون: إن عيسىٰ ابن الله، وهذا غير صحيح، وإنما الصحيح أن معنىٰ (وكلمته ألقاها)، **أي**: هذه الكلمة التي هي كن، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

فكل شيء أراده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يكون بعد الكاف والنون، وليس بين الكاف والنون، كما هو مشهور علىٰ ألسنة العامة، يقولون: كل شيء بين الكاف والنون، فهذا خطأ، إنما هو بعد الكاف والنون، لأن بعد الكاف والنون تكون الكلمة قد اكتملت (كن).

ولكن هل الأنبياء علىٰ درجة واحدة من الفضل والمكانة عند الله عَزَّوَجَلَّ؟ هل الملائكة علىٰ درجة واحدة؟ الملائكة ليسوا علىٰ درجة واحدة، يتفاضلون، نعم، كذلك الأنبياء ليسوا علىٰ درجة واحدة، فأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك **قال**: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فهذا صريح القرآن **يقول**: إن الأنبياء والرسل ليسوا علىٰ درجة واحدة.

[وأن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر]، وتفضيل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس نابعًا من عصبية، وإنما هو نابع من الدليل، الدليل **يقول**: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أفضل الأنبياء، هناك أكثر من دليل، منها قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»، وكل الأنبياء من ولد آدم، وكذلك حديث الشفاعة، فالناس يذهبون إلىٰ الأنبياء أجمعين، فيأبون إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الذي **يقول**: «**أَنَا لَهَا**»، وهو الوحيد الذي يُؤذن له في هذه الشفاعة العظمىٰ.

فأفضل الأنبياء هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَىٰ أَخِي يُونُسَ**»، فهذا اللفظ لم يصح، وإنما اللفظ الصحيح: «**مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ**

يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»، هذا هو اللفظ الصحيح، لما نعلم من قصة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ترك قومه، وحصل ما حصل له في قصة الحوت، فإذا فضلنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا نفضله عن عصبية.

وأما تفضيل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبعض الأنبياء عليه فهذا يحتمل أحد أمرين:

إما أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك قبل أن يعلم أنه خير البشر، وخير الأنبياء، وإما أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك تواضعًا منه، **يعني**: قال رجل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا خير البرية، فقال له: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، **يعني**: خير البرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر **قال**: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»، وسيدهم خيرهم، **فنقول**: إما أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك تواضعًا منه، وهو سيد المتواضعين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإما أنه قال ذلك قبل أن يخبره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنه سيد الأنبياء.

المتن

[اتفاق دعوة الرسل في أصل الدين -وهذه تكلمنا عنها في توحيد الألوهية-:

وأن دعوتهم من أولهم إلىٰ آخرهم اتفقت في أصل الدين، وهو توحيد الله تعالىٰ بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]].

الشرح

ولذلك كل نبي يأتي يدعو قومه إلىٰ الإسلام بالمعنىٰ العام، الذي هو الاستسلام والخضوع لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذكرنا الآيات التي وردت في ذلك علىٰ لسان عيسىٰ، وعلىٰ لسان الحواريين، وعلىٰ لسان موسىٰ، وعلىٰ لسان يوسف، وعلىٰ لسان إبراهيم، وعلىٰ لسان نوح، فكل نبي يأتي قومه يدعوهم إلىٰ الإسلام.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **يقول**: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

والله عَزَّ وَجَلَّ يقول عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣].

موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كذلك يبين أنه من المسلمين، وأن دعوته إلىٰ الإسلام، فكل نبي يدعو إلىٰ الإسلام، ويدعو إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، هذه قاعدة عامة، اليهودي مهما صنع، فهذا لا يشفع له، ولا ينفع له، النصراني مهما صنع، فهذا لا يشفع له، ولا ينفعه شيئًا، لا بد أن ينطق بكلمة التوحيد، وأن يبرأ من كل ما يخالفها، فإن كان نصرانيًّا، فلا بد أن يشهد بكلمة التوحيد، وأن يبرأ من تأليه عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بل **يقول**: إن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، كما جاء في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وقال تعالىٰ عن نوح: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ [يونس: ٧٢].

وقال تعالىٰ عن موسىٰ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

وقال تعالىٰ عن سليمان علىٰ لسان بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فكل دعوة الأنبياء واحدة.

وأما عدد الرسل والأنبياء، فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، فأقل ما يبعثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كل أمة أن يبعث رسولًا، أو أن يبعث نبيًا، قد يبعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أكثر من ذلك كما بعث في بني إسرائيل، لما كانوا يقتلون الأنبياء والرسل، فكان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يرسل إليهم كثيرًا من الأنبياء والرسل، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ**».

المتن

[عدد الرسل والأنبياء:

وعدد الرسل: ثلاثمائة وخمسة عشر - وهذا ورد في حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والأنبياء: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا. ثبت ذلك في الأحاديث عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من حديث أبي أمامة، ومن حديث أبي ذر].

الشرح

إذن عدد الرسل أقل، وأما عدد الأنبياء فكثير، كم عدد الرسل؟ ثلاثمائة وخمسة عشر، وأما عدد الأنبياء فمائة وأربعة وعشرون ألف نبي كما صحَّ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. ولكن هل هناك فرق بين الرسول والنبي؟ وأيهما أعلىٰ منزلة؟

المتن

[الفرق بين الرسول والنبي:

والفرق بين الرسول والنبي: أن النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبانا الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول.

وأما من كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلىٰ أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول.

قال مجاهد رَحِمَهُٱللَّهُ: النبي وحده: الذي يكلم وينزل عليه، ولا يرسل. وعليه فإن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا].

الشرح

والفرق بين الرسول والنبي: أن النبي هو الذي ينبئه الله، ولذلك **قيل**: إنها مأخوذة من النبوة، الذي هو الارتفاع، **وقيل**: إنها مأخوذة من النبأ الذي هو الإخبار؛ لأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يخبر أحد خلقه من بني آدم، يخبره بوحيه، فيصير نبيًّا أو رسولًا بعد ذلك.

[وهو ينبئ بما أنبانا الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول]، **يعني**: الرسول والنبي يُنبأ، ويأتيه الوحي، فإن كان مرسلًا لقوم مخالفين،

يعني: لم يكونوا علىٰ التوحيد، إنما جاء إلىٰ قوم يعبدون الأصنام، كنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أول الرسل مثلًا، فهذا رسول، وكل رسول نبي؛ لأن النبي من الإنباء الذي هو الوحي، وهو الإخبار، فما من رسول إلا وقد أُخبر، فكل رسول فلا بد أن يكون نبيًّا، وليس كل نبيٍّ رسولًا، لماذا؟ لأن النبي ليس من شرطه أن ينزل عليه الكتاب، ولا أن يأتي إلىٰ قوم مخالفين.

ولذلك **قال**: **[فإن أُرسل مع ذلك]**، **يعني**: في حد الرسول، **[إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما من كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلىٰ أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول]**، إذن إذا كان يعمل بشريعة مَنْ قبله فهو نبي، ولم يُرسل إلىٰ قوم مخالفين.

[قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **النبي وحده: الذي يكلم وينزل عليه، ولا يرسل]**، وهذا قول أحد التابعين، وهو مجاهد تلميذ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **[وعليه فإن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا]**، والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم في تعريف النبي، وتعريف الرسول.

المتن

[وأسماء الرسل والأنبياء:

وقد سمىٰ الله تعالىٰ لنا جملة منهم، كآدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسىٰ، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيىٰ، واليسع، وذي الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسىٰ ومحمد صلىٰ الله وسلم عليهم أجمعين].

الشرح

فهؤلاء الأنبياء والرسل الذين ذكرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه تفصيلًا ما واجبنا تجاههم؟ أن نؤمن بهذا التفصيل، وأن نؤمن بالإجمال، ما الإجمال؟ أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، نؤمن بذلك، وما التفصيل؟ نؤمن أن الله أرسل إبراهيم، وأرسل نوحًا، وأرسل عيسىٰ، وأرسل موسىٰ، وأرسل محمدًا، هذه الأسماء التي وردت في كتاب الله علىٰ لسان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نؤمن بها، لماذا؟ لأن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق مصدَّق لا ينطق عن الهوىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المتن

[وقصَّ علينا من نبئهم وأخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وعظة: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

فنؤمن بجميعهم تفصيلًا فيما فصَّل الله، وإجمالًا فيما أجمل الله.

الرسل والأنبياء بشر أكرمهم الله بالنبوة والرسالة].

الشرح

فالرسل بشر، والأنبياء بشر، خُلقوا مما خُلقنا، فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلد كان له أب، وكانت له أم، وهذا النسل ينتهي إلىٰ أبينا آدم، معنىٰ ذلك أنه خُلق من تراب، كما خُلقنا من تراب، ولا نقول كما يقول الصوفية، أنه خُلق من نور، فإن هذا باطل، والحديث الذي ورد في ذلك حديث موضوع، وهو حديث مكذوب علىٰ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: يا جابر، أتدري ممَّ خُلق نبيك؟ خُلق من نور، فهذا كلام باطل لا يصح.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخاطبًا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، لكن ما الفرق بيننا وبين نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، أنه يُوحىٰ إليه، وأنه كامل مُكمَّل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا نقول كما يقول الصوفية الذين غلوا في الأنبياء والمرسلين، حتىٰ جعلوهم في رتبة تقارب رتبة الإله، يعني البوصيري يقول في بردته يخاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

يعني: الحدث العظيم، ثم خلع علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصافًا ليست إلا لله، **قال**:

فإنّ من جودك الدّنيا وضرّتها ... ومن علومك علم اللّوح والقلم

فهذه الدنيا، ما عكس الدنيا؟ الآخرة، فالدنيا والآخرة من جود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن علومك، مِن هذه تبعيضية، **يعني**: ومن بعض علومك علم اللوح والقلم، فهذا غلو في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا نغلو في الأنبياء والمرسلين، ولا نجفو كما جفت اليهود في عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رموه،

ورموا أمه، وكذلك كما جفا بعض الصوفية في الأنبياء والمرسلين، فجعلوا الولي أعلىٰ درجة من هؤلاء، فبعضهم **يقول**:

مقـــــام النبــــــوة في بـــــــرزخ فويـــــــق الرســـــــول ودون النبـــــــي

يعني الترتيب هكذا: الولي، النبي، الرسول، مع أن الترتيب عكسي، أفضلهم الرسول، ثم النبي، ثم الولي، **هم يقولون**:

مقـــــام النبــــــوة في بـــــــرزخ فويـــــــق الرســـــــول ودون النبـــــــي

وهذا طبعًا من الافتراء، ومن الضلال، فلا نجفو عنهم، ولا نغلو فيهم.

المتن

[ونؤمن بأن جميع الرسل والأنبياء بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية شيء].

الشرح

ولذلك لما دعا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أناس من رعل وذكوان، قبيلتين من قبائل العرب، قتلوا بعض أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو **ويقول**: اللهم عليك برعل، اللهم عليك بذكوان، اللهم عليك بفلان، وفلان، وفلان، فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، قد يتوب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم، قلوبهم ليست بيديه، إنما هي بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذه من صفات الربوبية التي لا ينبغي أن تُصرف إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولكنك تجد الصوفية في هذه الأيام تعدت هذا بكثير، ليس في الأنبياء، ولكن في الصالحين، فتجد في كتبهم في كرامات الأولياء، أن الولي بعد موته، قد يخرج من قبره، ويسلم عليك، تستطيع أن تناجيه وأنت في البحر، فينقذك، أن الولي ينزل معك قبرك؛ ليحاج عنك الملكين، بل يقولون: إن الولي ينازع ملك الموت بعد أن يقبض الأرواح، واللهِ هذا موجود عند غلاة الصوفية، عياذًا بالله، ولا يصلون، يقولون: نحن نصلي بأرواحنا في المسجد الحرام، تجد الواحد منهم تفوته الصلوات ولا يصلي، فهذه فِطَرٌ منكوسة عياذًا بالله.

إنما نقول كما بيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكما بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه الأمة أمة وسط، وهذا الدين دين وسط.

المتن

[**قال تعالىٰ**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]].

الشرح

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾، **أي**: بالرسالة، فالنبوة ليست مكتسبة، وإنما هي محض فضل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يصطفي من خلقه ما شاء، **قال تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾، أي أنهم محتاجون، فلا يجوز أن نصرف لهم صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من التصرف في هذا الكون، والنفع، والضر، إلىٰ غير ذلك.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا

يعلم الغيب إلا بما أعلمه الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، ولذلك لما سأله السائل: متىٰ الساعة؟ **قال:** «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»؛ لأن هذا مما استأثر الله تَبَارَكَوَتَعَالَى به.

خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، فهذه الأمور الخمسة حتىٰ الأنبياء لا يعلمونها، لأن هذه مما اختص الله تَبَارَكَوَتَعَالَى بها إلا إذا أعلمهم الله تَبَارَكَوَتَعَالَى.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾، ولذلك إذا سُئلت في مسألة لا تعرفها فلا تقل: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مات، وإنما قل: الله أعلم، **يعني:** لا يجوز أن أقول لك مثلًا: كم مساحة هذا المسجد؟ فلا تقل: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليس بيننا، وإنما الذي يعلم ذلك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

المتن

[الرسل والأنبياء عبيد الله:

ونؤمن بأنهم عبيد من عباد الله أكرمهم الله بالرسالة، ووصفهم بالعبودية في أعلىٰ مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم].

الشرح

ذكرنا الآيات التي تدل علىٰ أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَى لما أثنىٰ عليهم أثنىٰ عليهم بالعبودية، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، في أشرف مكان وصفه الله تَبَارَكَوَتَعَالَى بأنه عبد، **قال تعالىٰ:** ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، في أشرف مهمة التي هي تبليغ الرسالة وصفه الله تَبَارَكَوَتَعَالَى بأنه عبد، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى في صدر سورة الفرقان، **قال:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، لما ذكر أشرف رسالة، وأشرف كتاب أنزله الذي هو الفرقان، وصف نبيه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنه عبد، فوصفهم بالعبودية في أعلىٰ مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم.

المتن

[نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء:

ونؤمن بأن الله تعالىٰ ختم الرسالات برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسله إلىٰ جميع الثقلين: الإنس والجن كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]].

الشرح

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، **وقيل**: إن الناس من النوس، أن أصل الناس النوس الذي هو الحركة، والجن والإنس يتحركون، فدخل الجن في هذه الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال ابن عباس في تفسير العالمين: الإنس والجن.



المتن

[وأخبر تعالىٰ أنه أخذ العهد علىٰ النبيين إن أدركوا زمن نبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتبعوه، وفي هذا دليل واضح علىٰ أن رسالته صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمة الرسالات، وأنها ناسخة لكل رسالة مضت، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

بشارة الرسل نبينا محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وقد بشر الرسل صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين برسالة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضىٰ الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»].

الشرح

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، وأحمد كان في التوراة القديمة، وكذلك في الإنجيل قبل أن يُحرَّف في الكتاب المقدس، كان يُكتب بالفارقليط والفارقليط بالعربية يعني محمداً صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنهم حرَّفوا ذلك.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، هذا الكلام تكملة

لقصة بني إسرائيل، بعد أن ذكر قصة السبت، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾، مَنْ هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾، والأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب كما قال المفسرون، وهذا الوصف يصدق علىٰ نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

أحد الطلاب:...

الشيخ: هذا الكلام باطل، **يعني**: الكلام الذي يتداوله بعض الناس أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يستطيع القراءة والكتابة، وأن الأمي في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس معناه الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما معناه أنه من العرب الوثنيين، وأنه من مكة، فهذا كلام المستشرقين، الذين أرادوا أن يثبتوا أن نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ اقتبس القرآن من التوراة والإنجيل وأساطير الأولين، فكيف يقتبس ذلك من التوراة والإنجيل إلا إذا أثبتوا له أنه يستطيع القراءة والكتابة، فجاءوا بهذه اللفظة، وهذه اللفظة موجودة في كتاب الله ستَّ مرات، الأمي، ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه السورة، سورة الأعراف سورة مكية، ولم يكن ثَمَّ يهود ولا نصارىٰ يلقاهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهذه الآية نزلت في مكة؟ فكيف **يُقال**: إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ اقتبس القرآن منهم؟

فهذا كلام باطل، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان لا يقرأ ولا يكتب، ولما قال أبو الوليد الباجي المالكي رَحِمَهُٱللَّهُذلك وأراد أن يثبت أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يقرأ ويكتب، أنزلوه من علىٰ المنبر في قصة ذكرها الحافظ ابن حجر، وكادوا يقتلونه، ورموه بالزندقة، فإجماع أهل السنة علىٰ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما كان يقرأ ولا يكتب، ولذلك لما جاءه جبريل، وقال له: اقرأ، **قال**: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قالها ثلاث مرات.

قال ابن حجر، والنووي، وكذلك الكشميري، وكثير ممن شرح هذا الحديث **قالوا**: قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، نافية، **أي**: لستُ أعرف القراءة، لا أستطيع أن أقرأ.

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾، **يعني**: الذي لا يقرأ، ولا يكتب، وهو وصف نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنه **قال**: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، فالذي يسمع بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويبلغه أن محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نبي، وتقوم عنده الدلائل، ثم بعد ذلك لا يؤمن بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فهذا من أهل النار الذين هم أهلها، **يعني**: المخلدين فيها.

أما مَنْ كذَّب برسالة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وآمن بسائر الرسالات فهذا كافر، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

المتن

[من كذب برسالة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كفر:

فمن كذب برسالة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقد كفر بجميع الرسل حتىٰ برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له، قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحًا رسول.

من ادَّعىٰ النبوة بعد محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

ونؤمن أن لا نبي بعد محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمن ادَّعىٰ بعده النبوة كفر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «فُضِّلْتُ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»].

الشرح

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥]، نوح أول رسول، ومع ذلك لما كذبوا بنوح صاروا مكذبين لكل مَنْ بعده من الرسل.

[من ادَّعىٰ النبوة بعد محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، كفر، الذي يدعي أن الوحي ينزل عليه بعد موت النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا كافر، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أي: الذي أغلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به النبوة، ولذلك قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جابر المعروف، حديث اللَّبِنَة هذا الرجل الذي ابتنىٰ دارًا، فجمَّل هذه الدار إلا موضع لبنة، أي: بنىٰ البيت كله إلا موضع طوبة، فقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَنَا اللَّبِنَةُ»، التي يُكمل البناء النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ وأخيرًا قال المصنف:

المتن

[من كذب برسالة أحد من الأنبياء والمرسلين كفر:

ومن كذب برسالة أحد من الأنبياء والمرسلين فقد كفر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢]].

الشرح

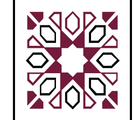
ومَنْ كذَّب برسالة أحد الأنبياء والمرسلين فقد كفر بإجماع المسلمين، **يعني**: لا يجوز للإنسان أن يقول: أنا أؤمن بمحمد، ولا أؤمن بعيسىٰ، أو بموسىٰ، أو بإبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

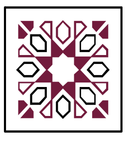
❁ **نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يجعلنا من هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.**

❁ **وجزاكم الله خيرًا.**

❁ **سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.**







الدرس الحادي عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا درس من دروس هذا الكتاب المبارك؛ كتاب المعتقد الصحيح، وما زلنا في الكلام علىٰ أركان الإيمان، جبريل لما جاء إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأله عن الإيمان، **قال**: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وهكذا لما صنَّف العلماء في الاعتقاد وضعوا الإيمان علىٰ هذا الترتيب، وهذا الترتيب مقصود، **يعني**: الترتيب الذي جاء في حديث جبريل مقصود، لماذا؟

لأن الرسالة مِن مَنْ؟ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مَنِ الذي ينزل بها؟ الملائكة، ما الذي ينزل به الملائكة؟ ينزلون بالوحي الذي هو الكتاب، أو الكتب السماوية، ينزلون بها علىٰ مَنْ؟ علىٰ الرسل، فتؤمن بالله، وملائكته، الذين هم الواسطة لإيصال الوحي، هذا الوحي الذي هو الكتاب ينزل به علىٰ الرسل، وكنا في الدرس الماضي قد انتهينا من الكلام عن الإيمان بالرسل، **وقلنا**: إننا نؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا، أجمالًا كما ورد في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتفصيلًا **أي**: بما جاء في الكتاب من أسمائهم وأوصافهم.

وأما الإيمان التفصيلي الذي يستلزم الإذعان والمتابعة فهذا لا يكون إلا بالنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الذي أُرسل إلينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز

لإنسان أن يتعبد لله بأي شريعة خلاف شريعة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَنْ كذَّب برسالة واحد من هؤلاء الأنبياء كفر بالمرسلين أجمعين، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فكما أننا نؤمن بنبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نؤمن بموسىٰ، وعيسىٰ، وإبراهيم، ونوح، من أول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الركن الذي بعد ذلك، وهو الركن الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، وسُمِّي باليوم الآخر **أي**: اليوم الذي لا يوم بعده، وهو يوم القيامة، وهذا اليوم له أسماء كثيرة، وكما يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن كثرة الأسماء تدل علىٰ عظم المسمىٰ، فإذا كان الشيء أسماؤه كثيرة، **فهذا يدل علىٰ مكانته العظيمة:**

۞ فالقرآن له أسماء كثيرة.

۞ الفاتحة لها أسماء كثيرة.

۞ محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أسماء كثيرة، فهو محمد، وأحمد، والحاشر، والماحي، والعاقب صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له أسماء كثيرة نعرف منها تسعة وتسعين اسمًا في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها ما استأثر به، ولم يطلع عليه أحد.

فكثرة الأسماء تدل علىٰ عظم المسمىٰ، فيوم القيامة يُسمىٰ باليوم الآخر، يُسمىٰ بالقيامة، يُسمىٰ بالحاقة، يُسمىٰ بالغاشية، يُسمىٰ بالقارعة، يُسمىٰ بيوم التغابن، فهذه أسماء كثيرة لهذا اليوم، لماذا؟ لأنه يوم عظيم، والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب؛ لأنه غيب لم نطلع عليه، ومن أظهر صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣]، فما هو الإيمان باليوم الآخر؟ هو الإيمان بيوم القيامة، وما يجري فيه من أمور، وأهوال، فيوقن أهل السنة والجماعة بذلك ويعتقدون أن البعث يكون بعد الموت، وأن هذه الحياة إنما هي اختبار وإعداد لما يكون بعد الموت، وأن هذه الدنيا التي نحن فيها مصيرها إلىٰ الفناء يومًا ما، أما الدار التي هي الحيوان فهي دار الآخرة، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، **يعني**: فيها الحياة الحقيقية.

المتن

[والأيمان باليوم الآخر:

وهو يوم القيامة وما يجري فيه من أمور وأهوال. يوقن أهل السنة بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: ٨٥]].

الشرح

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾، وهذه اللام التي وقعت في جواب القسم، والمُقسَم به محذوف، واللهِ، ليجمعنكم الله إلىٰ يوم القيامة لا ريب فيه، فهذا أمر لا شك فيه، أن هناك يوم القيامة، وأن الناس لا بد أن يُجمعوا في هذا اليوم، وأن يُحشروا في مكان بينته سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في عرصات القيامة، وهناك تكون أمور الآخرة التي سنأتي علىٰ بعضها.

﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾، وهذا زيادة في تأكيد هذا الجمع الذي يكون يوم القيامة، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾، فلا أحد أصدق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قيلًا، أو حديثًا، فإذا أخبرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأن هناك يومًا يُسمىٰ بيوم القيامة، يُحشر الناس فيه، ويُحاسبون أمام رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيُجزون علىٰ أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، أو أن يعفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا بد أن نصدق.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: ٨٥]، وإذا نظرت في الآيات التي تتكلم عن يوم القيامة، وعن الساعة، وعن الآخرة؛ وجدتَها مُؤكَّدة، فهنا كذلك: ﴿وَإِنَّ﴾، حرف توكيد ونصب، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾.

ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة كذلك البعث، ولكن لماذا أدخل هذا الأصل في أصول الإيمان في باب المعتقد؟ لأن هناك مَنْ خالف في ذلك، هناك من يقولون: إن كل ما جاء

في الكتاب والسنة من ذكر يوم القيامة، ومن ذكر الجنة، والنار، والعذاب، والنعيم، ما هي إلا تخيلات، وليست أمورًا حقيقية، وإنما هي مجرد تخييلات؛ لتعين المرء على العبادة، ولا بعث للأجساد بعد الموت، وإنما هي مجرد تخييلات، كما قالوا ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ فقال الله تعالى ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ فخالف بعض الناس في ذلك، ولذلك أكَّد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذا الأمر، وكرَّره في كتابه.

المتن

[البعث:

ويدخل في ذلك: الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتى.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]].

الشرح

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذه النفخة تكون قبل يوم القيامة، يأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إسرافيل، الملك الذي يُمسك البوق، هذا الصور، ويُسمى بالبوق، عظيم قطره كما بين المشرق والمغرب، يشخص ببصره نحو العرش.

هذا حاله حاليًا كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينتظر متى يُؤمر، **يعني**: هذا الملك على هذه الصورة، يمسك بهذا البوق، بهذا الصور العظيم، ينتظر أن يأمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لينفخ فيه، فيصعق جميع الناس، جميع الخلق إلا من شاء الله، إلا مَنْ استثناهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كالولدان الذين هم في الجنة، أو كالحور العين، أو ما استثناهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فلا يموتون بهذه النفخة.

فإذا نفخ الملك في هذا الصور مات الناس، ومات الخلق إلى أن يشاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثم يُنفخ في هذا الصور مرة أخرى، فيقوم الناس من قبورهم، يخرجون من قبورهم غرلًا، **أي**: غير مختونين، حفاة، عراة، كما ولدتهم أمهاتهم، يخرجون من قبورهم أجمعين إلى لقاء ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإلى هذا الموعد، والمكان الذي يُحاسبون فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، **يعني**: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يعجزه شيء، وهو علىٰ كل شيء قدير، فالذي خلقك ليس بعاجز أن يعيدك مرة أخرىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **قال**: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾.

المتن

[صحائف الأعمال:

والإيمان بصحائف الأعمال تعطي باليمين، أو من وراء الظهور بالشمال].

الشرح

فما من إنسان إلا وله صحيفة يُكتب فيها عمله، هذه الصحيفة يأخذها يوم القيامة، فمن الناس مَنْ يأخذها بيمينه، ومنهم مَنْ يأخذها بشماله، وورد في الكتاب أن منهم مَنْ يأخذها من وراء ظهره، **أي**: بشماله من وراء ظهره، فلا يأخذها بيمينه، فإما أن يأخذها المرء بيمينه، أو بشماله من وراء ظهره، وقد وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حال كلا الفريقين، **يعني**: الذي يأخذ الصحيفة بيمينه وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حاله يوم القيامة، والذي يأخذ الصحيفة بشماله وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كذلك حاله يوم القيامة.

وهذه الصحيفة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، تُحصي كل شيء علىٰ ابن آدم، ينظر فيها، ولا يستطيع أن ينكر منها شيئًا؛ لأن الذين كتبوا ذلك كرام بررة، وظفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجعلهم لكتابة ما يفعله الإنسان، فلا يظلمونه، لا يأخذون من حسناته لغيره، ولا يضعون من سيئات غيره عنده، ولذلك إذا نظر فيها يوم القيامة أقرَّ واعترف بهذه الأمور، ولا يجحد، يعترف بأنهم ما ظُلم، بخلاف الذي كان ينكر ذلك في الدنيا، بخلاف المنافق الذي كان يجادل في الدنيا، فيجادل كذلك في الآخرة.

فيأتي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأناس من خلقه يُطلعهم علىٰ صحائفهم فيقرُّون بما فيها، ويأتي بآخرين، فيكذبون ما فيها، ويقولون: ظلمنا حفظتُك، ظلمنا كتبتُك، ويتهم الملائكة، فإذا قيل له: بِمَ ترضىٰ؟ **يقول**: لا أرضىٰ إلا بشاهد من نفسي، يشهد علىٰ نفسه، فيختم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

علىٰ فمه، ويأمر أعضاءه أن تنطق، فتنطق اليد، وتقول: سرقتُ يوم كذا وكذا، وتقول: بطشت يوم كذا وكذا، وتنطق العين، وتقول: نظرتُ يوم كذا إلىٰ كذا، وتنطق جوارحه، فيُخلي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بينه وبين الكلام، فيقرُّ بعد ذلك **فيقول**: تبًا لكنَّ، فيسب ويشتم أعضاءه؛ لأنها اعترفت عليه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، والشاهد أن كل واحد منا له صحيفة تُكتب فيها أعماله، إما أن يأخذ الصحيفة باليمين، وإما أن يأخذها بالشمال.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أهل اليمين: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩]، فإذا أخذ المرء كتابه بيمينه علم أنها السعادة، وأن ما بعد ذلك أيسر، وأن مصيره إلىٰ الجنة لا بد، لأنه أخذ كتابه بيمينه، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا من هؤلاء، **قال**: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]، وهذا لا يكون إلا في المؤمن، ما معنىٰ ظننتُ في هذه الآية؟ الظن هنا بمعنىٰ اليقين، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، **أي**: يوقنون أنهم ملاقو ربهم.

فهذا الذي يأخذ كتابه بيمينه **يقول**: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾، **أي**: أيقنت، ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، **أي**: لا بد أن أُحاسب يومًا ما، فكان يعمل لهذا اليوم، ويُعدُّ نفسه له، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن جزائه: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١ - ٢٤]، والباء هنا سببية، **أي**: بسبب ما أسلفتم، وما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الماضية، **أي**: في الدنيا، جزاهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا الجزاء العظيم بالجنات العالية التي هي قطوفها دانية.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥]، يتمنىٰ أن لم يُؤتَ هذا الكتاب، ولكن ولات حين مناص، **يعني**: لا ينفع الندم في هذا الموضع، لأنه ولا بد، لا بد أن يأخذ هذا الكتاب، شاء أم أبىٰ، **قال**: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٦ - ٢٩]، فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٧].

فهذا جزاء مَنْ كفر بالله العظيم، وكذَّب بهذا اليوم، ولم يعمل كما عمل أصحاب اليمين الذين **قالوا**: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾. إذن من الإيمان باليوم الآخر الذي لم نره، ولكننا نوقن أنه لا بد أن يحصل أننا نؤمن بصحائف الأعمال، **قال تعالىٰ**: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، **أي**: أنت الذي ستنظر في هذا الكتاب، وترىٰ أعمالك، ولن تستطيع أن تنكر منها شيئًا.

كذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون بالموازين، فهناك موازين تُوضع يوم القيامة، تعلمون ميزان الدنيا الذي يكون عند بائع الفاكهة، كذلك هناك ميزان في الآخرة، تُوزن فيه الأعمال، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يحتاج لهذا الميزان لوزن أعمال العباد، فهو علىٰ كل شيء قدير، وإنما هي أسباب وضعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من تمام عدله، وإقامة الحجة علىٰ الخلق، وقطع الأعذار، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد يقول مثلًا لبعض الناس: حسناتك أكبر من سيئاتك، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا أحد أصدق منه قيلًا، ولا حديثًا، ولا في عدله، ولا في فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من تمام حكمته، وقطع العذر علىٰ الخلق يضع الميزان يوم القيامة، ويضع حسنات العبد وسيئاته يوم القيامة، والعبد يقف أمام الميزان؛ لينظر بنفسه إلىٰ حسناته وسيئاته، يقف أمام هذا الميزان، فنؤمن بالموازين التي تُوضع يوم القيامة، وهذا الميزان له كفتان، كما جاء في حديث رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»، وقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد ضحك الصحابة من دقة ساقه، وعجبوا من ذلك، فقال النبي: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**».

«**لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**»، معنىٰ ذلك أن هناك ميزانًا يوم القيامة، له كفتان، تُوزن فيه الأعمال، أو تُوزن فيه الصحائف، أو يُوزن فيه العامل، وهذا كله وارد في سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يعني**: ورد في سنة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الذي سيُوزن العمل، فهذا يُوزن، وما ذلك علىٰ الله بعزيز، الموت هل تستطيع أن تُمسك الموت الآن؟ لا تستطيع أن تمسكه، يُؤتىٰ بالموت يوم القيامة علىٰ صورة كبش، يُوضع بين الجنة والنار فيُذبح، كذلك الأعمال يُؤتىٰ بها

يوم القيامة، هل تستطيع أن تمسك الصلاة، الإحسان، الزكاة، الآن لا تستطيع أن تمسكها، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قادر علىٰ أن يزنها يوم القيامة، أن يحولها إلىٰ أجسام قابلة للوزن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالأعمال تُوزن يوم القيامة.

أو الصحيفة التي فيها العمل هي التي تُوزن، التي كُتبت فيها الحسنات والسيئات هي التي تُوزن، كما في حديث صاحب البطاقة، يُنشر له يوم القيامة تسعة وتسعون سجلًا من الذنوب والمعاصي، نسأل الله العافية، كل سجل مد البصر، فهذا مما يُوضع في الميزان، تُوضع هذه السجلات في كفة، وتُوضع البطاقة التي فيها لا إله إلا الله في كفة، وهذا كما **قلنا**: فيه دليل علىٰ أن الميزان له كفتان.

أو أن الذي يوزن، **قلنا**: الذي يُوزن الصحيفة، أو العمل، أو العامل، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ الطَّوِيلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ساقيه: «**لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**».

إذن إما أن **نقول**: إن من الناس مَنْ يُوزن مع عمله، ومنهم مَنْ يُوزن عمله فقط؛ كصاحب البطاقة، وإما أن **نقول**: إن الراجح أن الذي يُوزن الأعمال، وإما أن نقول أن الأحاديث وردت بالأمور الثلاثة، والله يفعل ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا أسلم، لأن كل الأحاديث وردت تقول: إن الصحيفة قد تُوزن، أن العامل قد يُوزن، أن العمل قد يُوزن، فنؤمن بما جاء علىٰ لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا يحملنا علىٰ النظر في الأمور التي تُثقِّل موازيننا، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أذكارًا يسيرة تُثقِّل الميزان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»، فالإنسان يحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يحمده في أمور خمسة: في ألوهيته، في ربوبيته، في أسمائه وصفاته، في أمره الكوني القدري فيما قدَّره في هذا الكون، وفيما قدَّره علىٰ ابن آدم، وفي أمره الشرعي، في هذا القرآن

الذي أنزله إلينا، فيه شفاء للصدور والأبدان، فيثبت لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الكمال في هذه الأمور الخمسة.

إذا قال الإنسان: الحمد لله، معتقدًا اعتقادًا صحيحًا في هذه الأمور الخمسة التي ذكرناها، قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جزاء ذلك: «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»، هذه الكلمة تملأ الميزان، وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ**»، هذا من أثقل الأمور في ميزان العبد، هذا مما يُثقل الميزان يوم القيامة، أن يكون المرء حسن الخلق، مع زوجه، مع جيرانه، مع أبيه، مع أمه، مع مَنْ يعمل معهم، مع الصغير والكبير، فحسن الخلق ميزانه يثقل يوم القيامة.

وهناك أمور كثيرة ذكرها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مما يُثقل الموازين يوم القيامة.

المتن

[الموازين:

والإيمان بالموازين تُوضع يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾ [الأعراف: ٨]].

الشرح

لأن الذي يثقل ميزانه مصيره إلىٰ الجنة، لا يدخل النار، يدخل الجنة لماذا؟ لأن ميزان الحسنات ثقل، ولذلك قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾.

كذلك مما يؤمن به أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بهذا الركين، والأصل العظيم من أركان الإيمان: الشفاعة.

المتن

[الشفاعة:

والإيمان بالشفاعة في ذلك الموقف أنواع:

الشفاعة العظمىٰ: وهي خاصة بالنبي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك حين يشفع في أهل الموقف ليقضي بينهم.

والشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها: وهي خاصة بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه: وهي خاصة بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يشفع في عنه أبي طالب؛ ليخفف عنه العذاب في نار جهنم، وذلك جزاء ما كان يحوطه ويغضب له.

والشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة: قيل: إن ذلك خاص بالنبي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: ليس خاصًّا به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشفاعة في أهل الكبائر: وهم العصاة من الموحدين الذين دخلوا النار بذنوبهم، ليخرجوا منها. يشفع بذلك رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيره من المرسلين والملائكة والصالحين والشهداء.

والقرآن والصيام شفيعان لأصحابهما يوم القيامة. وكذا أولاد المؤمنين شفعاء لآبائهم].

الشرح

نؤمن أن هناك شفاعات تكون يوم القيامة، هناك مَنْ يتوسط في أناس يشفع لهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يشفع عند أحد، وإنما الخلق يشفعون عنده، يتوسطون لديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[الشفاعة العظمىٰ: وهي خاصة بالنبي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، ليست لأحد من الخلق، لا لنبي مرسل، ولا لملك مقرب، الشفاعة العظمىٰ، وهي المقام المحمود الذي ورد في القرآن: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، هذا المقام المحمود هو شفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة العظمىٰ، [وذلك حين يشفع في أهل الموقف ليقضي بينهم]، والحديث في الصحيحين: الناس يذهبون إلىٰ آدم فيأبىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، يذهبون إلىٰ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، يذهبون

إلىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يذهبون إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يذهبون إلىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كل هؤلاء يقولون: لستُ لها، ويذكر أمرًا فعله.

إلىٰ يأتي الناس إلىٰ محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»، ويفتح الله عليه بمحامد، أي: بثناءات عظيمة يثني بها علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلىٰ أن يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: يا محمد، «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، فيشفع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدء الحساب لأهل الموقف.

وذهاب الناس إلىٰ الأنبياء دليل علىٰ شدة هذا الموقف، يتمنىٰ الناس في هذا اليوم أن لو صُرفوا حتىٰ إلىٰ النار، عياذًا بالله، وهذا يدل علىٰ شدة وهول هذا الموقف، ولذلك يذهبون إلىٰ الأنبياء، يطلبون منهم الشفاعة في أن يُبدأ الحساب، وأن يقضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بين الخلق، فلا يقوم لذلك إلا نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه شفاعة ثابتة بالقرآن والسنة.

[والشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها: وهي خاصة بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، كما جاء في الصحيح أن أول مَنْ يحرك حلق الجنة هو رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتقول الملائكة: مَنْ؟ **فيقول**: مُحَمَّدٌ، فَتَقُولُ: «بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»، فأول مَنْ يحرك حِلَق الجنة، وأول مَنْ تُفتح له أبواب الجنة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[والشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه]، أن يُخفف العذاب لا أن يخرجوا من النار، **[وهي خاصة بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]**، إذن هذا النوع الثالث الخاص بنبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك، **[حين يشفع في عنه أبي طالب]**، ونحن نعلم ما فعله أبو طالب نصرة للإسلام، ولدين الإسلام، ولكنه لم ينطق بكلمة التوحيد، ولذلك كان مصيره الخلود في النار والعياذ بالله؛ لتعلم عِظم هذه الكلمة، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما لم ينطق بهذه الكلمة كان مصيره الخلود في النار.

فقال العباس عم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سأل رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما إذا كان نفع عمَّه بشيء، **يعني**: عم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو أبو طالب قد نافح ودافع كثيرًا عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل نفعه رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء؟ فبيَّن له النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه في دحضاح من النار، شفع في عمه أبي طالب حتىٰ خُفِّف عليه العذاب، وليس تخفيف العذاب

معناه أنه سيخرج من النار، لا، لن يخرج من النار؛ لأنه لم يقل هذه الكلمة، ولكن خُفِّف عنه العذاب، ولكن ما عذابه في النار عياذًا بالله؟ تُوضع جمرة أو جمرتين بين أصبعيه يغلي منهما دماغه عياذًا بالله، وهذا أهون عذاب أهل النار ممن هم أهلها، **أي**: من الخالدين المخلدين في النار.

أما أهل التوحيد الذين قالوا هذه الكلمة، فإنهم وإن دخلوا النار فلا بد أن يخرجوا منها يومًا ما، ونارهم تخالف نار الخالدين فيها، فهناك نار الموحدين، وهناك نار الكافرين الخالدين فيها، فالنار ليست سواء، كما أن الجنة درجات، فالنار دركات. **قال**: **[والشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه: وهي خاصة بالنبي ﷺ حين يشفع في عنه أبي طالب؛ ليخفف عنه العذاب في نار جهنم، وذلك جزاء ما كان يحوطه ويغضب له؛ ليخفف عنه العذاب في نار جهنم، وذلك جزاء ما كان يحوطه ويغضب له]**.

[والشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة: قيل: إن ذلك خاص بالنبي محمد ﷺ، وقيل: ليس خاصًّا به ﷺ]، وهذه تكلم فيها بعض أهل العلم و**قال**: إن هذا النوع من الشفاعة ليس عليه دليل، أن النبي ﷺ سيشفع في أقوام لتُرفع درجاتهم في الجنة، فهذا النوع بهذه الصفة ليس عليه دليل لا في كتاب الله، ولا في سنة النبي ﷺ، ومن أهل العلم مَنْ أثبته؛ أخذًا بالشفاعة العامة، ومن دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة: «اللهم ارفع درجته في المهديين».

وكذلك جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْفَعْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فقال النبي ﷺ: «**أَنَا فَاعِلٌ**»، **يعني**: أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلب من النبي ﷺ أن يشفع له يوم القيامة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فوعده رسول الله ﷺ أن يفعل، فقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ فهذه منقبة عظيمة رضي النبي ﷺ أن يشفع فيه، إذن لا بد أن يبحث عنه يوم القيامة.

فقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ **قَالَ**: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَىٰ الصِّرَاطِ**». **قَالَ**: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؟ **قَالَ**: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ **قَالَ**:

«فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْمَوَاطِنَ»، **يعني**: لا بد أن نجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إما عند الصراط، وإما عند الميزان، وإما عند الحوض، فقد يُستأنس بهذا النوع من الشفاعة؛ لأن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرضي عنهم، فإذا شفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يشفع في رفع درجاته في الجنة.

أحد الطلاب:...

الشيخ: لا، الشفاعة المقصود بها الوساطة يوم القيامة، **قلنا**: إن الشفاعة بمعنىٰ الوساطة في جلب خير أو دفع ضير، ولذلك إذا نظرت يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيخر ساجدًا عند العرش، يقف علىٰ باب الجنة فيحرك حِلَق الجنة، فليس المقصود هنا الاستغفار، أو الصدقات، أو غير ذلك، إنما المقصود أن يقوم المرء فيشفع، **أي**: يتوسط عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في إنسان آخر، هذا هو المقصود.

قال: **[والشفاعة في أهل الكبائر: وهم العصاة من الموحدين الذين دخلوا النار بذنوبهم، ليخرجوا منها. يشفع بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيره من المرسلين والملائكة والصالحين والشهداء.**

والقرآن والصيام شفيعان لأصحابهما يوم القيامة. وكذا أولاد المؤمنين شفعاء لآبائهم]، فهذا النوع الخامس من أنواع الشفاعة المذكورة، نحن نعلم أن الإنسان ليس معصومًا من الخطأ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»، ولكن ليس كل مَنْ يخطئ يتوب، فهناك مَنْ يفعل المعصية ويصرُّ عليها، وهناك مَنْ يزني ولا يتوب، مَنْ يشرب الخمر ولا يتوب، مَنْ يسرق ولا يتوب، مَنْ يقتل النفس بغير حق ويتوب، ثم يموت بعد ذلك علىٰ هذه الكبيرة، فهذا إن مات علىٰ الكبيرة فإنه يوم القيامة بين أمرين:

❁ **الأول**: إما أن يعفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه بفضله، فلا يعذبه، وهذا فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وله أن يتصرف في ملكه، وفي خلقه بما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيعفو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن هذا الإنسان فلا يدخل النار، وإنما يدخل الجنة.

❁ **الثاني**: وإما أن يعذبه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ قدر ذنبه، **يعني**: لا بد أن يخرج من النار يومًا ما، يُعذب علىٰ قدر ذنبه.

فإذا دخل النار فقد أذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في الشفاعة لأصحاب الكبائر، **أي**: أنهم يدخلون النار، ثم بعد ذلك يشفع الأنبياء والمرسلون في أناس من أقوامهم قد ارتكبوا الكبائر، فيشفع النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيخرج الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أقوامًا، أو نفرًا من هؤلاء، ثم يشفع ذووهم، يشفع آباؤهم، وأبناؤهم، يشفع المؤمنون، يشفع الملائكة، كل هؤلاء يشفعون عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فيأمر بأقوام يخرجون من هذه النار بعد أن دخلوها.

ولذلك قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»، أي أن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ولكن هذا لا يجعل المرء يستهين بالمعصية، **ويقول**: إنه سيشفع فيه رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم القيامة؛ لأن المعاصي بريد الكفر، فالمرء قد يصرُّ علىٰ معصية، وهذه المعصية تنقله إلىٰ ما هو أشد منها، فقد ينسلخ من الدين عياذًا بالله، يخرج من الدين بسبب هذه المعصية، فلا ينال شفاعة النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لماذا؟ **لأن الشفاعة لها ثلاثة شروط لابد من تحققها**:

❁ **الأول**: أن يأذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ [النجم: ٢٦]، فلا بد أن يأذن المشفوع عنده الذي هو الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

❁ وأن يرضىٰ عن الشافع.

❁ وأن يرضىٰ عن المشفوع فيه، أن يرضىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن الشافع، قد يرضىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن الشافع، مَنِ الشافع؟ قد يكون نبيًا ولكن لا يرضىٰ عن المشفوع فيه.

فإبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ خليل الأنبياء يرضىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عنه، فهو خليل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأبو الأنبياء، ولكن لا يرضىٰ عن أبيه، ولذلك إذا شفع إبراهيم في أبيه يوم القيامة فإنه لا يُشفَّع، إذن الله عَزَّوَجَلَّ قد يرضىٰ عن الشافع، لكن لا يرضىٰ عن المشفوع فيه، فالإنسان لا **يقول**: سيشفع فيَّ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويستمر علىٰ المعصية؛ لأنه لا يدري علامَ يُختم له عياذًا بالله؛ لأن

المعاصي بريد الكفر، فقد تكون المعصية ابتداءً غير مكفرة، ثم بعد ذلك يقع المرء، ويستحل أمورًا محرمة؛ قد يقع في الكفر بعينه كسبِّ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وغير ذلك من المحرمات التي تُخرج من الملة، فهذا أيضًا نوع ثابت من الشفاعة.

ولكن لماذا ذكروا هذا النوع من الشفاعة؟ لأن هناك من الفِرَق مَنْ أنكر هذا النوع، المعتزلة، والخوارج يقولون: لا شفاعة لأهل الكبائر، مَنْ مات علىٰ كبيرة فهو خالد مُخلَّد في النار لا يخرج منها، تقول ذلك فرقة الخوارج التي تُكفِّر المسلمين بذنوبهم ومعاصيهم، ويقول ذلك كذلك المعتزلة، الذين يقولون: إن الإنسان إذا فعل المعصية فهو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، لا هو مسلم، ولا هو كافر، فإذا مات علىٰ ذلك؟ يقولون: هو خالد مُخلَّد في النار مع الكافرين عياذًا بالله.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد ذكر في كتابه ما يرد علىٰ هؤلاء، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه أرجىٰ آية في الآخرة، أن الله عَزَّوَجَلَّ يغفر ما دون ذلك لمَنْ يشاء، هذه الآية متعلقة بالآخرة، **قال تعالىٰ**: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، هل هناك تعارض بين الآيتين؟ هنا هذه الآية تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾، وفي الآية الأخرىٰ **يقول**: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾؟

ليس هناك تعارض، لماذا؟ لأن الآية الأولىٰ التي ذكرناها وهي: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، متعلقة بالآخرة، **أي**: مَنْ مات علىٰ كبيرة، فهذا قد يغفر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له فلا يدخل النار، وأما آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾، فهذه متعلقة بالدنيا، **أي**: مَنْ تاب تاب الله عليه، ومَنْ استغفر غفر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له، يغفر الذنوب جميعًا بلا استثناء حتىٰ الشرك، **يعني**: الذي يشرك ثم يتوب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتوب الله عليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

كذلك يؤمن أهل السنة والجماعة بالحوض.

المتن

[الحوض:

والإيمان بالحوض -حوض نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وأطيب من رائحة المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**].

الشرح

نؤمن بالحوض، وأن لكل نبيٍّ حوضًا، كل نبي من الأنبياء له حوض، جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كرامة لهؤلاء الذين يؤمنون بأنبيائهم، يشربون منه يوم القيامة، وأكبر هذه الأحواض حوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشرفها حوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يصب فيه نهر الكوثر، وهو من أنهار الجنة، جاء وصفه عن أكثر من خمسين صحابيًّا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك أحاديث الحوض أحاديث متواترة، لا يجوز ردُّها، ولا تأويلها، كما فعل أهل البدع، بل جاء وصف كيزانه، **أي**: كيزان الحوض، ووصف طوله، وعرضه، ولون مائه، ورائحته، كل هذا جاء في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيزان الحوض، هذه الأكواب التي يُشرب بها من الحوض كعدد نجوم السماء، وهذا يدل علىٰ كثرتها، وفي لفظ: كنجوم السماء، هل هناك فرق؟

نعم، هناك فرق، أنه لما **قال**: كنجوم السماء، فهو في الحسن والعدد، فهذه الكيزان جميلة في منظرها كثيرة في عددها، وأما ماء الحوض فأحلىٰ من العسل، وأبيض من اللبن، ورائحته أطيب من المسك، مَنْ شرب منه مرة لا يظمأ بعدها أبدًا، هذا حوض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحوض يكون في مقدَّم عرصات القيامة، وهذا قول جمهور أهل العلم، أي أن الحوض يكون قبل الميزان، وقبل تطاير الصحف، وقبل الصراط، الحوض يكون قبل كل ذلك، لماذا؟

لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا فيردون علىٰ هذا الحوض، فيُذادون عن هذا الحوض، يُبعدون ويُدفعون عن هذا الحوض، دفعًا عامًّا وخاصًّا، دفعًا عامًّا، الأتباع والمؤمنون من جميع الأمم يقبلون علىٰ حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لظهوره، ومكانته، وعظمه، فيذودهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا يذودهم؟ لأن هذا الحوض ليس لهم، هذا الحوض كرامة لأمة النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس لأحد من الأمم وإن كان مؤمنًا لا يشرب منه، وكذلك لكي يذهبوا إلىٰ أحواض أنبيائهم، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل لكل نبي حوضًا، فهذا ذود عام، أن يُزاد عن الحوض مَنْ ليس من أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهناك ذود خاص، وهو ذود المبتدعة عن حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي يخالف سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويبتدع فيها بالزيادة والنقصان، هذا لا يرد الحوض، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أمورًا تجعل المرء يرد علىٰ الحوض، من هذه الأمور الوضوء للصلاة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفة أمته التي ترد علىٰ الحوض يوم القيامة، أنهم يردون عليه غرًّا محجلين، الغرة تكون في الوجه، والتحجيل يكون في الرجل، فيردون يوم القيامة عليه غرًّا محجلين، هذه علامة أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك ما أن يقتربوا من الحوض إلا ويُذاد هؤلاء، تذودهم الملائكة، وتبعدهم، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، ولا يعلم ما الذي حدث بعد موته، خلافًا لما يقوله الصوفية، يقولون: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر معنا الآن، ويعلم ما يدور في هذا العالم الآن، ولذلك يقفون عند قبره، ويسألونه من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا كله ضلال مبين.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أن يرىٰ هؤلاء يُذادون عن الحوض، فيسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حالهم، لماذا يُذادون عن الحوض، فتقول الملائكة، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم قد غيَّروا وبدَّلوا، فيقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُحْقًا سُحْقًا**»، **أي**: إبعادًا بعد إبعاد عن الحوض، يُبعدون عن الحوض، لماذا؟ لأنهم بدَّلوا في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل مَنْ غيَّر في السنة من الفِرَق الضالة؛ كالخوارج، والمعتزلة، والأشاعرة، والثنتين والسبعين فرقة التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل هؤلاء لا يردون علىٰ حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لا يرد علىٰ الحوض إلا المتبع لسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان من أصحاب المعاصي، وإنما الذي يُذاد عن الحوض المبتدع، والمنافق؛ لأن المنافق يصلي، يأتي يوم القيامة والعلامة في وجهه، وفي قدمه، لكنه كان منافقًا، فلا يرد حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَنِ الذي يرد علىٰ الحوض؟ السنيُّ، المتَّبع، الذي يحافظ علىٰ الصلوات، ومن شرط الصلاة الوضوء، فيحسن الوضوء، ويتوضأ كوضوء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الذي يصبر على جور الأئمة يرد على حوض النبي ﷺ، **يعني**: حكمك حاكم ظالم غاشم، استأثر بالأموال، والسلطان، ماذا تفعل؟ تخرج مظاهرة، مسيرة، ثورة، لا، ما هكذا علمك النبي ﷺ، ماذا قال النبي ﷺ؟ **قال**: «**فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ**»، فالذي يصبر على جور هؤلاء مع بغضه لما يفعلونه، وليس معنى صبرك على هؤلاء أنك تحب ما يفعلونه، وأنك تقدس ما يفعلونه، ولكن تكره بقلبك، ولا تنزع يدًا من طاعة، إن أمرك بطاعة فبها ونعمت، وإن أمرك بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن تصبر حتى يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر، كما قال السلف.

أما أن تهيج الفتن بسبب الثورات، والمظاهرات، والاعتصامات، والإضرابات، والتفجيرات، فهذا من فعل الخوارج، ومن فعل أهل البدع، وليس من فعل أهل السنة، ولذلك كان السلف يقولون: سلطان غشوم خير من فتنة تدوم، **أي**: لو كان هناك حاكم ظالم جائر، ولكن هناك أمن بين الناس، فهذا يذهب إلى عمله، وهذا يذهب إلى صلاته، وإن حدث ظلم لبعض الناس.

ولكن ليس ظلمًا للعامة، وليس تقتيلًا، وإشاعة للفتن، وترويع الآمنين، وهتك أعراض النساء، كما يحدث الآن في سوريا، وفي العراق، وفي اليمن، وفي ليبيا، بسبب هذه الثورات المشؤومة التي زعم أصحابها أنهم يبحثون عن الديموقراطية، وعن الحرية، وعن عيش وحرية، وحلاوة طحنية!!، إلى آخر ما يقولون من شعارات، استطاع الغرب أن يقنعهم بها، والغرب في مأمن، ما سمعنا عن ثورة قامت في أمريكا، ولا عند اليهود، ولا في فرنسا، ولا في إنجلترا، فإنجلترا ملكية، فالملكة هي التي تمسك، وبعد ذلك ابنها، وابن ابنها، والأمور تسير جيدًا جدًّا، لماذا؟

لأن هؤلاء استطاعوا بسبب بعدنا عن ديننا أن يلبسوا علينا أمرنا، أن يبينوا لنا أن النجاح، والفلاح، والتقدم لن يكون إلا بمثل هذه الأمور، فلما قام الناس بالثورات انتشرت الفتن بين الناس، وللأسف الشديد بعض الناس يتمنى أن تصير مصر كسوريا، كالعراق، ولا يرضيه أن تستقر البلاد، إما أن يحكمك هو، وإما أن تشيع الفوضى في البلاد ويحرقك.

فتجد القنوات كلها، قناة رابعة، ومكملين، والشرق، والجزيرة قنوات الفتن كلها تنقل أدق المشكلات التي لا يلتفت إليها لتضخم الأمر ويروج ذلك علىٰ الهمج الرعاع أتباع كل ناعق ليقال لهم ثوروا وانشروا الفتن في بلدانكم ؛ فلا كرامة لكم إلا بذلك، والقائل مهيج الفتن في مأمن هو وولده وأهله. لا تجلس في مجلس من المجالس إلا ويصور لك أن الوطن قد أوشك علىٰ الخراب، وأن البلاد علىٰ جمر ساخن، وأن الأمور لن تستقر أبدًا، **يعني**: يريد منك أن تكون عابسًا دائمًا إلىٰ أن يأتي مهديهم المنتظر، الذي لا ندري ما حاله، حاله كحال الشيعة يعني، فهذا من فعل أهل البدع.

إن رأينا ما يخالف شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ننكر ذلك بقلوبنا، ولكن لا نكون سببًا في تهييج الدهماء، وفي إراقة الدماء، وفي إشاعة الفتن بين المسلمين، هذا ليس حال أهل السنة والجماعة، حال أهل السنة والجماعة هو كما قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ**»، فإن قال لك إنسان: هذه سلبية، قل: أنت بذلك تطعن في النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي **قال**: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، ما معنىٰ الأثرة؟

استئثار، **يعني**: يأخذ الأموال، والسلطان، ووراثة من بعد وراثة، وغير ذلك، هل قال لك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلهم؟ بل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل: أفلا ننابذهم؟ **فقال**: «**لَا مَا صَلَّوْا**»، طالما أنه تركك تصلي في المسجد فلا تنابذه، بل قال أهل العلم: بل لو كان كافرًا، لو كان هذا الحاكم الذي يحكمك كافرًا ليس واليًا شرعيا، ولم تكن معك القدرة، والاستطاعة، فلا يجوز لك أن تنابذه، هو معه مدافع، وطائرات، وأنت ما شاء الله ستخرج عليه بسكينة المطبخ، كما قال الشيخ ابن عثيمين، فتتسبب في فتن عظيمة، ولذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**اصْبِرُوا**»، واحد يقول لك: إلامَ نصبر؟ مضىٰ لنا ثلاثون سنة، أربعون سنة.

فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراحك، **قال**: «**حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ**»، **يعني**: اصبر إلىٰ أن تموت، حتىٰ تلقىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد ذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**»، هل لا بد أن تأخذ النعيم في الدنيا والآخرة، لا بد أن تلقىٰ النعيم في الدنيا والآخرة،

فأين «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»؟ والابتلاء من سنن الأنبياء.

ولكن الابتلاء لا بد أن يكون ابتلاء حقًّا، فلا يخرج مَنْ يفجر نفسه، **ويقول**: أنا أجاهد في سبيل الله، لا يخرج واحد يقف أمام مسلم حتىٰ ولو كان عاصيًا، **ويقول**: أنا أجاهد في سبيل الله، لا جهاد في بلاد المسلمين، الجهاد لا يكون إلا جهادًا للكفار؛ كاليهود، والنصارىٰ، والمجوس، والمشركين، أما أن يقول المرء أنه يجاهد في بلاد المسلمين، ويحمل السلاح، ويثير الفتن، وغير ذلك؛ فهذا من أهل البدع، وهذا من فعل أهل البدع الخوارج.

فمن الأمور التي تجعل المرء يرد علىٰ حوض النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يصبر علىٰ جور الأئمة، وألا يشارك هؤلاء في باطلهم، إن أمرك ولي الأمر بالطاعة، فبها ونعمت، إن أمرك بمعصية، فدمي ومالي دون ديني، إن أمرك بمعصية أن تعصي الله تبارك وتعال، فلا، فينبغي للمرء أن يحافظ علىٰ دينه.

كذلك ذكر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأمور التي تجعل المرء يرد علىٰ الحوض، نحن **قلنا**: الصبر علىٰ جور الأئمة، وذكر النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث عوف بن مالك ألا يعين الظلمة علىٰ ظلمهم، فالذي يعين الظلمة علىٰ ظلمهم لا يرد علىٰ حوض النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يعين الظلمة علىٰ ظلمهم بفتاوىٰ، يعين الظلمة علىٰ ظلمهم بتسويغ المحرمات، باستحلال المحرمات، فهذا كذلك ممن يعين الظلمة علىٰ ظلمهم، فحال المؤمن السلفي المتبع لمنهج النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسط، لا هو مع هؤلاء، ولا هو مع هؤلاء، ولكن لا ينزعنَّ يدًا من طاعة، يعني **يقول**: سمعًا وطاعة في المعروف، أما المعصية فلا سمع ولا طاعة، لا ينحاز إلىٰ جماعة، أو إلىٰ فرقة، ولكنه من أهل السنة والجماعة، يتابع النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

أطلنا عليكم، بقي لنا الصراط فقط، سنقرأه سريعًا.

المتن

[الصراط:

والإيمان بالصراط المنصوب علىٰ متن جهنم يمرُّ الناس عليه علىٰ قدر أعمالهم. فأولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم علىٰ الصراط يقول: يا رب! سلم، سلم، حتىٰ تعجز أعمال العباد، حتىٰ يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفًا. وفي جنبتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به: فمخدوش ناج ومكردس في النار.

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله، أعاننا الله عليها].

الشرح

[والإيمان بالصراط المنصوب علىٰ متن جهنم يمرُّ الناس عليه علىٰ قدر أعمالهم]، هناك صراط مضروب علىٰ متن جهنم، أي: فوق جهنم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، ولكن الورود ورودان كما قال أهل العلم: ورود دخول، وورد مرور، فمن الناس من يرد النار ابتداء دون أن يمرَّ علىٰ الصراط، وهم الكفار، الكفار لا يمرون، ولا يجوزون الصراط، وأما المؤمنون، فهم الذين يمرون علىٰ هذا الصراط.

[يمرُّ الناس عليه علىٰ قدر أعمالهم]، فمنهم مَن تكون أعماله عظيمة، فيمرُّ كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح المرسلة، ومنهم كالجواد المضمر، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف الصراط بأنه دحض مذلة، وأنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأنه مظلم، وأنه عليه شوك كشوك السعدان، وشوك السعدان هذا شوك معروف في جزيرة العرب، لما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبين للصحابة، وهم من الجزيرة هذا الشوك الذي يكون علىٰ الصراط كشوك السعدان، وتخرج من النار كلاليب، خطاطيف، فتخطف مَنْ يمرُّ علىٰ هذا الصراط، انظر دقته، ظلمته، ما عليه، ومع ذلك من الناس بسبب أعمالهم العظيمة مَنْ يمرُّ علىٰ هذا الصراط كالبرق الخاطف.

الصراط يقف عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف علىٰ الصراط ويقول: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، فما بالك بمن هو دون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال ابن القيم: الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، ولذلك نحن

نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، ما هو الصراط المستقيم؟ عندما تقرأ في تفسير سورة الفاتحة، الصراط المستقيم الإسلام، الصراط المستقيم صراط أبي بكر وعمر والصحابة، صراط السلف الصالح، نهج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو ما نطلب من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا إليه.

فصراط الدنيا مَنِ اهتدىٰ إليه وصار عليه، صار علىٰ صراط الآخرة، علىٰ قدر استقامتك علىٰ صراط الدنيا تكون استقامتك علىٰ صراط الآخرة، وعلىٰ قدر انحراف الأبعد عن صراط الدنيا يكون انحرافه وما يصيبه علىٰ صراط الآخرة، نسأل الله العافية.

قال: **[فأولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم علىٰ الصراط يقول: يا رب! سلم، سلم، حتىٰ تعجز أعمال العباد]**، **يعني**: تَقِلُّ جدًّا، انظر يمرُّ كالبرق إلىٰ أن يصل الناس إلىٰ أن **[حتىٰ يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفًا]**، **[وفي جنبتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به: فمخدوش ناج ومكردس في النار]**، نسأل الله السلامة والعافية.

كذلك أعمال المرء تنير له الصراط يوم القيامة، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف نور بعض الناس أنه كالجبل، فالصراط مظلم، و من الناس مَنْ معه نور كالجبل، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، نور أمامهم وبأيمانهم، فمنهم مَنْ يكون نوره كالجبل، انظر عظم الجبل، يكون نوره أمامه علىٰ الصراط كالجبل، ومنهم مَنْ يكون نوره كالنخلة، ومنهم مَنْ يكون نوره في إبهام قدمه، إصبع الإبهام يضيء مرة، وينطفئ أخرىٰ، أعمال قليلة جدًّا، فإذا أضاء تقدم، وإذا كانت الأخرىٰ أمسك، فمتىٰ يمرُّ هذا علىٰ الصراط؟! ومتىٰ ينقضي مروره علىٰ الصراط؟! فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا الأعمال الصالحة.

قال: **[ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله، أعاننا الله عليها]**.

❁ **أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.**



بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فحديثنا ما زال موصولًا في شرح هذا الكتاب الطيب، وهو كتاب المعتقد الصحيح، وما زلنا نتكلم عن أركان الإيمان التي جاءت في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لما سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، فآخر الأركان التي ذكرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي الإيمان بالقضاء والقدر، أي: أن يصدق المسلم، أن يجزم بأن الله قدَّر مقادير الخلائق، وأن هذا الكون لا يجري هكذا عبثًا.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ﴿فَتَعَالَى﴾، أي: تعاظم عن هذا الظن، وهو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق هذا الكون بلا تقدير منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبلا علم، وبلا مشيئة منه، فما شاءه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا بد أن يكون، وما لم يشأ لا يمكن أن يقع، وأن الأمر كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك **قال**: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وكل من ألفاظ العموم، فكل ما يندرج تحت هذه اللفظة من الأشياء فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلقه بقدر، فحركتك، وسكونك خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ما يدور في قلبك من هواجس خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أعمالك التي تعلمها خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كل ذرة في هذا الكون هي من خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومن تقديره.

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨]، **أي**: كان أمرًا قدَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما سيأتي في الأحاديث قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، **يعني**: قبل أن يخلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه السماوات، وهذه الأرضين بخمسين ألف سنة، وقت أن كانت السماوات والأرض عدمًا، قدَّر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مقادير الخلائق، **أي**: قدَّر ما الذي سيجري في السماء، وما الذي سيجري في الأرض، ولذلك أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القلم أن يكتب كل ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة.

فلما خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القلم، قال له اكتب، والقلم خلق من مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقال القلم: ما أكتب؟ **قال**: اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، فجرىٰ القلم بكل ما هو كائن ومقدَّر إلىٰ يوم القيامة، كتب القلم ما هو كائن في اللوح المحفوظ، فكل ما في عوالم الإنس، والجن، والطير، والحشرات، وما لا نعلمه، وما يدور تحت هذه الأرض، وما يكون بين الأرض والسماء، وما يكون في السماء، كل هذا جرىٰ به القلم، ولم يخطئ القلم في شيء مما أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يكتبه، فكتب كل شيء في الذكر، **أي**: في اللوح المحفوظ، فهذا من تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذن فالذي ينبغي علىٰ المسلم أن يعتقده وأن يؤمن به أن كل شيء مقدَّر، الجنة مقدرة، أهلها معروفون، والنار مقدرة، أهلها معروفون، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما خلق الجنة خلقها وخلق

أهلها، ولما خلق النار خلقها ولها أهلها، وأرسل لنا الرسل، وأنزل لنا الكتب، وهدانا النجدين، **أي**: بيَّن لنا الطريقين طريق النجاة، وطريق الهلاك، وتركنا الرسل علىٰ المحجة البيضاء حتىٰ لا يكون لأحد حجة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لينقطع العذر.

فليس معنىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق أقوامًا للجنة أن الإنسان يتكل علىٰ القدر السابق، أو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق الأبعد للنار، **فيقول**: وما فائدة العمل إذا كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق هذا الأبعد للنار، فهذا الكلام غير صحيح، لماذا؟ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يطلعك علىٰ الغيب، ولم يطلعك علىٰ اللوح المحفوظ حتىٰ تعلم هل أنت من أهل الجنة أم من الأخرىٰ؟

وإنما أنت تجري وتعمل في هذا الكون علىٰ ما يسَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لك، فإن كانت أمور الخير، وأمور العبادة ميسرة لك، فهنيئًا لك، والزم هذا الطريق، واعلم أن هذا مما قدَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو ليس محض اكتساب منك، وإنما الفضل أولًا وآخرًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبهدايته اهتديتَ، وببيانه عن طريق الرسل بان لك الطريق، فالزم هذا الطريق.

فكل شيء في هذا الكون مقدَّر من قبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك نهانا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن **نقول**: لو، لماذا؟ لأن لو تفتح عمل الشيطان، وإنما نقول ماذا؟ قدَّر الله وما شاء فعل، أي أن هذا الذي وقع إنما وقع بتقدير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإن كان خيرًا حمدنا الله، وإن كانت الأخرىٰ صبرنا، وقلنا كما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦]، **أي**: إن الأمر كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

المتن

[الإيمان بالقضاء والقدر:

التصديق والجزم بأن الله قدَّر مقادير الخلائق، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨].

مراتب القدر أربع:

الأولىٰ: العلم: فنؤمن بأن الله تعالىٰ بكل شيء عليم، علم ما كان وكيف يكون، بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم].

الشرح

هذا القدر له مراتب، **يعني**: لما قدَّر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما يجرىٰ في هذا الكون، هذا القدر، هذا التقدير كان مبنيًّا علىٰ ماذا؟ كان مبنيًّا علىٰ علم الله السابق فينا، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعلم ما الخلق عاملون إذا خلقهم، وعلمه أزلي، **يعني**: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يكتسب هذا العلم بعد خلقنا، بل قبل خلقنا يعلم ما سنعمل، وعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما كان كذلك كتب منه فقط مقادير الخلائق.

يعني: هذا الذي في اللوح المحفوظ ليس هو علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كله، وإنما الذي في اللوح المحفوظ هو العلم المتعلق بنا فقط، أما علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فلا يحدُّه حدود، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال كذلك في القرآن: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وموسىٰ لما ذهب في رحلته إلىٰ الخضر عليهما الصلاة والسلام، ماذا قال الخضر لموسىٰ؟ **قال**: أنت علىٰ علم علمه الله، وأنا علىٰ علم علمني الله إياه، **يعني**: الخضر كان معه علم، هذا العلم لم يصل لموسىٰ، وموسىٰ معه علم هذا العلم لم يصل للخضر، ومع ذلك بيَّن له الخضر أن علمي، وعلمك بالنسبة لعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل علوم الخلائق بالنسبة لعلم الله تبارك وتعالي إلا كما تُدخل المخيط البحر، لو أدخلت الإبرة في ماء البحر بمَ تخرج الإبرة؟ لن تخرج بشيء.

فعلم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يستطيع أحد أن يحدَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولذلك قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، و(ما) هذه من ألفاظ العموم، فكل ما في البرِّ يعلمه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، علىٰ ظهر هذه البسيطة، وما في باطنها كذلك، وما في البحر من عوالم لا نعلمها، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، **يعني**: انظر هذه الأوراق كم من أشجار في هذا الخلق. الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يعلم عدد هذه الأشجار، هو الذي خلقها، ويعلمها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويعلم عدد الأوراق التي فيها، بل إذا وقع الورق من الشجر يعلم ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كم مرةً تقلبت هذه الورقة في الهواء، وإذا سقطت علىٰ الأرض وواراها التراب، إلامَ صارت بعد ذلك؟ إلامَ تحولت؟

كل ذلك يعلمه ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا يعزب عنه شيء، **قال**: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، صغيرة كانت أو كبيرة، رطبة كانت أو يابسة، يعلم كل ذلك، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦٠﴾ [الأنعام: ٦٠]، كل ذلك في علم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إذن علامَ بُني القدر؟ علىٰ علم الله السابق، فلما كان الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في علمه الأزلي أن الخلائق سيعملون كذا وكذا، كتب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذلك في اللوح المحفوظ، ثم شاء ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يجري الخلق علىٰ مقتضىٰ هذا التقدير وهذا العلم، فهذه مراتب القدر الأربعة، إذن القدر له كم مرتبة؟ العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، علمتَ كيف خُلق الخلق، علم الله الأزلي الذي لا ابتداء له، الإنسان يُوصف بأنه عليم، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من أسمائه العليم، ومع ذلك فرق بين علمي وعلم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، علم المخلوق يسبقه الجهل، ويتبع ذلك النسيان، الإنسان إذا كبر ينسىٰ بعض العلم، وأما علم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فلا يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم: ٦٤]، ولذلك لما قال فرعون لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: ٥١]، **يعني**: حدثني عن القرون الأولىٰ، عن الأمم السابقة، عن

الأنبياء والأمم السابقين، ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ﴾ [طه: ٥٢]، ما هو هذا الكتاب؟ اللوح المحفوظ، كل هذا مقدَّر، موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يؤمن بالقدر، ويؤمن باللوح المحفوظ، وكل الأنبياء كذلك، ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه: ٥٢]، لا ينسىٰ ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فكم مرتبة من مراتب القدر؟ أربعة، ما هي؟ العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، سهل جدًّا أن نحفظها، **نقول**: علم، فكتب، فشاء، فخلق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

[مراتب القدر أربع:

الأولىٰ: العلم: فنؤمن بأن الله تعالىٰ بكل شيء عليم، علم ما كان وكيف يكون، بعلمه الأزلي الأبدي]، إذن علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محيط بكل شيء، **قلنا**: وما في اللوح المحفوظ هل هذا كل علم الله؟ لا، هذا متعلق بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة من أمر الخلائق فقط، متىٰ كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة،، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة منذ قدَّر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض.

وأما العلم الذي قبل التقدير فليس في اللوح المحفوظ، والقلم لما جرىٰ جرىٰ بكل شيء، ولذلك بعض الناس العوام **يقول**: المكتوب علىٰ الجبين لازم تشوفه العين، هذه المقولة صحيحة، مع أنها يمكن أن تكون من فطرة العوام، لماذا؟ لأننا سنعلم أن من أقسام التقدير، من أنواع التقدير: التقدير العمري، أن الإنسان إذا كان نطفة في رحم أمه، فيرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له ملكًا، فينفخ فيه الروح، ويأمره بكتب أربعة أمور، من هذه الأمور يكتب شقيًّا كان أم سعيدًا، يكتب عمله، يكتب رزقه، فيكتب هذا الملك علمك، فكل ما هو مكتوب لا بد أن تراه عينك، **أي**: لا بد أن يقع منك.

[مراتب القدر أربع:

الأولىٰ: العلم: فنؤمن بأن الله تعالىٰ بكل شيء عليم، علم ما كان وكيف يكون، بعلمه الأزلي الأبدي]، بينا ذلك ونزيد **فنقول**: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعلم ما لم يكن لو كان كيف كان

يكون، **يعني**: هناك أمور لم تقع، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعلم أنها لو وقعت كيف ستكون، هذه الأمور لم تقع، يعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كيف كانت، أو كيف ستكون، هذا الكوب ممَّ صُنع؟ من الحديد، لو لم يُصنع هذا الحديد كوبًا كان سيصير إلىٰ أمر آخر، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعلم ذلك مع أنه لم يقع، لو لم يكن كوبًا من الحديد لكان كوبًا من الزجاج، من الممكن أن يكون كوبًا من البلاستيك، من الممكن أن يكون كوبًا من الفخار، كل ذلك يعلمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لما تمنَّىٰ أهل النار أن يُردوا إلىٰ الحياة الدنيا مرة ثانية؛ ليعملوا الصالحات، حكىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم حالتهم، ف**قال تعالىٰ**: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]، هذا ما يتمناه أهل النار، أن يُردوا إلىٰ الحياة الدنيا مرة ثانية، فيفعلوا فعل المؤمنين، وهذا حال الكافر دائمًا **يقول**: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

في الآية الأولىٰ ماذا قال الله عَزَّوَجَلَّ؟ **قال**: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ [الأنعام: ٢٨]، **أي**: لو أعادهم الله مرة ثانية إلىٰ الحياة الدنيا، ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]، **يعني**: لا بد أن يعودوا إلىٰ الكفر والشرك مرة ثانية، مع أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يردهم، ولكنه يعلم ما لم يقع، وهذا الذي **قال**: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، أي أنها مجرد كلمة، ولو رُدَّ إلىٰ الحياة الدنيا ما عمل صالحًا.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم كذلك المستحيلات، ولا يتجدد له علم بعد جهل، **يعني**: لا يعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأمور بعد وقوعها، بل يعلمها قبل أن تقع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يلحقه نسيان بعد علم، وبهذا فارق علمه علم المخلوق؛ لأن علم المخلوق يتجدد بعد جهل، تدخل المسجد، وترىٰ فلانًا من الناس فتقول: أنت هنا، تجدد عندك العلم أن فلانًا في المسجد بعد أن لم يكن،

ثم بعد ذلك يمرُّ هذا عليك في يوم ما، **ويقول**: أنا أعطيتُك كذا يوم كذا في المسجد، تقول: أنا لا أذكر هذا اليوم، فتجدد العلم برؤيته في المسجد، ونُسي العلم بعد مدة.

وعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك كانت له الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلا، ما معنىٰ الأسماء الحسنىٰ؟ **يعني**: الأسماء الكاملة في الحسن، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له الأسماء الحسنىٰ، وله الكمال في أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يلحقه نسيان بعد علم، ولذلك من أسمائه: العليم، الخبير، اللطيف، وهذه الأسماء الثلاثة متعلقة بالعلم، ولكنها ليست علىٰ درجة واحدة، فالعليم بخلاف الخبير، بخلاف اللطيف، ولذلك لما أراد لقمان أن يعلم ولده ماذا قال له؟

قال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦]، ما **قال**: يعلمها الله، يأتِي بها الله حتىٰ لو كانت حبة، لماذا؟ بـمَ ختم الآية؟ **قال**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝﴾ [لقمان: ١٦]، **أي**: يعلم دقائق الأمور، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝﴾ [طه: ٧]، فالسر معروف، ما هو السر؟ ما تُكنُّه النفوس، أنا أخفي وأسرُّ بعض الأمور، وأنت لا تعلمها، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، قال العلماء: ﴿وَأَخْفَى ۝﴾، هي أجنة السر، جنين السر الذي لم يخرج بعد، السر الذي يمكن أنك تفكر بعد يومين ثلاثة أربعة عشرة أن تجعله سرًّا، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعلمه، هذا معنىٰ ما هو أخفىٰ من السر.

فعلمه لا يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، هذه المرتبة الأولىٰ.



المتن

[الثانية: الكتابة: فنؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥١، ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]].

الشرح

وفي الحديث قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»، أي: قبل أن يخلق الخلائق، أي: كتب في الذكر كل ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ: الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟»، الحديث الذي ذكرناه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، والإمام المبين الذي هو الكتاب، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾، أي: ما من شيء خرج عن هذا الكتاب، فانظر هذه الحركة التي فعلتَها مكتوبة في كتاب، هذه مكتوبة في كتاب، السكنات، والحركات، والخطرات، والجري علىٰ الأرزاق، كل ذلك كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذا الكتاب، لا يخرج شيء عن هذا الكتاب، قال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.



المتن

[يدخل في ذلك:

التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض. قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وكتابه الميثاق يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، **قال تعالىٰ:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

والتقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم، فيرسل الملك فينفخ في المضغة الروح، ويؤمر بأربع كلمات تكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد.

والتقدير الحولي في ليلة القدر. قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤].

قال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر، حتىٰ الحجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان.

والتقدير اليومي. قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

فالتقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطَّه القلم في الإمام المبين. والإمام المبين هو علم الله عَزَّوَجَلَّ. وكذلك منتهىٰ المقادير في آخريتها إلىٰ علم الله عَزَّوَجَلَّ، فانتهت الأوائل إلىٰ أزليته، وانتهت الأواخر إلىٰ آخريته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]].

الشرح

[التقدير الأزلي قبل خلق السماوات والأرض. قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]]، إذن هذا هو أول أنواع التقدير، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فلما خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آدم كتب عليه وعلىٰ ذريته ميثاقًا، ما هو هذا الميثاق؟ هذا الميثاق أخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أبيك ومنك، وأنت في عالم الذر، كم بينك وبين

أبيك آدم؟ أعمار مديدة، فلما خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسح ظهره بيمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له يدان، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

فأخرج كل نسمة كائنة إلىٰ يوم القيامة، **يعني**: أخرج ذريته جميعًا فنثرهم أمامه كأمثال الذر، أمثال النمل الصغير، ثم قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لي ولك، ولكننا لا نتذكر ذلك، ولذلك أرسل الرسل ليذكروك بهذا العهد القديم الذي أخذه الله عليك، وجعله في فطرتك: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقلنا جميعًا: بلىٰ، فأشهد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا، ثم بعد ذلك لما نسينا أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ لتذكيرنا بهذا الميثاق، فهذا مما كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[والتقدير العمري]، إذن الأول التقدير الأزلي، تقدير الميثاق، وأما التقدير العمري فمتىٰ يكون؟ عندما تُوضع النطفة في رحم المرأة، فيتخلق الجنين، فيرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له ملكًا فينفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يومًا، بعد أربعة أشهر، فيرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له الملك، هذا الملك ينفخ فيه الروح، ولذلك بعد أربعة شهور المرأة تحس أن هناك حركة في بطنها وقد يكون قبل ذلك، وفي ذلك بحث مذكور في شفاء العليل لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

ويأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا لملك أن يكتب أمورًا أربعة، يكتب ماذا؟ رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد، ولذلك هؤلاء الذين يذهبون إلىٰ الطبيب ليعرفوا نوع الجنين هل هو ذكر أو أنثىٰ، **نقول**: هذا ليس من علم ما في الأرحام، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يقول**: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ» ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

فنقول: الاطلاع علىٰ نوع الجنين هذا ليس من الاطلاع علىٰ علم الغيب الذي استأثر الله به؛ لأنك لم تعلم ذلك قبل خلقه، قبل هذه الأشهر لا تستطيع أن تعلم أذكرًا كان أم أنثىٰ، لا تستطيع أن تعلم هل سيكون شقيًّا أم سعيدًا، لم تعلم عمله، فهذا ليس من المقصود في الآية مما استأثر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به.

هذا التقدير العمري، **قال**: **[عند تخليق النطفة في الرحم، فيرسل الملك فينفخ في المضغة الروح، ويؤمر بأربع كلمات تكتب: رزقه]**، الرزق، ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»، «**لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا**»، لن تموت حتىٰ تأخذ ما كُتب لك من الرزق، كُتب لك أنك ستأخذ مائتي جنيه، ستأخذ مائتي جنيه، ولكن أجمل في الطلب، لا تستجلب هذا الزرق بمعصية الله، عن طريق الرشوة، عن طريق الربا، عن طريق التجارة في المحرمات، عن طريق الغش، عن طريق كذا، اعلم أن رزقك لا بد أن يأتيك، فلا تطلب الرزق الذي عند الله إلا بطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد]، ولا تعارض بين هذا الحديث، وحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي **قال**: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»، هذا حديث صحيح ثابت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأن يُنسأ له في عمره، **يعني**: أن يطيل الله عمره، إذن صلة الأرحام تُطيل العمر، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»، أو كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحسن الجوار أن تكون حسن الجوار مع جارك هذا مما يطيل العمر، ولكن كيف يطول العمر، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدَّر في اللوح المحفوظ؟

نقول: العمر الذي أمر الله الملك أن يكتبه في الرحم مكتوب في اللوح المحفوظ، والعمر الذي سيُضاف إلىٰ عمرك إذا وصلت رحمك مكتوب في اللوح المحفوظ، الذي اطلع عليه الملك فقط هو العمر الأصلي، عمرك الذي قدَّره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما الزيادة علىٰ ذلك، والبركة في العمر، فهذا مما لم يطلع عليه أحد، إذن أنت مكتوب لك ستعيش ثمانين سنة، ومكتوب لك أنك إن وصلت الرحم فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يعطيك عشر سنوات أخرىٰ، خمس سنوات أخرىٰ، إنما المَلك علامَ اطلع؟ علىٰ الثمانين، وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء، ولا تعارض بين أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا التقدير الثالث.

والتقدير الرابع؛ لتعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما خلقك عبثًا، ولا سدىٰ، دائمًا يقوم علىٰ شؤونك، وعلىٰ رعايتك، فهو الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **قال تعالىٰ**: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ [الرعد: ٣٣]، فهو القائم بذاته، القائم علىٰ شؤون خلقه، وهذا معنىٰ الحي القيوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[والتقدير الحولي في ليلة القدر. قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤]، قال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت، وحياة، ورزق، ومطر، حتىٰ الحُجَّاج يقال: يحج فلان، ويحج فلان]، وأم الكتاب المقصود به اللوح المحفوظ، يُنقل من اللوح المحفوظ، الملائكة تنقل من اللوح المحفوظ ما سيجري لك طيلة هذا العام، ما الذي سيحدث لك طيلة هذا العام.

[ما يكون في السنة من موت، وحياة، ورزق، ومطر، حتىٰ الحُجَّاج يقال: يحج فلان، ويحج فلان]، هذا يُنقل من اللوح المحفوظ، ويكون مع الملائكة، فهذا تقدير حولي.

[والتقدير اليومي. قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]، هناك تقدير كل يوم، يقدر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمورك كل يوم، **قال تعالىٰ**: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فيهدي هذا، ويضل هذا، ويغني هذا، ويُفقر هذا، ويحيي هذا، ويميت هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: [فالتقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين. والإمام المبين -قلنا: اللوح المحفوظ- **هو علم الله عَزَّوَجَلَّ. وكذلك منتهىٰ المقادير في آخريتها إلىٰ علم الله عَزَّوَجَلَّ، فانتهت الأوائل إلىٰ أزليته، وانتهت الأواخر إلىٰ آخريته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢]]**.

إذن ما المرتبة الأولىٰ من مراتب القدر؟ العلم، ثم الكتابة بهذه التقادير التي ذكرناها، ثم المشيئة.

المتن

[الثالثة: المشيئة، فنؤمن بان الله تعالىٰ قد شاء كل ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئته. ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].]

الشرح

[الثالثة: المشيئة، فنؤمن بان الله تعالىٰ قد شاء كل ما في السماوات والأرض]، كل ما وُجد في السماوات والأرض هذا أمر قد شاءه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لأنه لا يخرج عن مشيئته شيء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولذلك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول لعبد الله بن عباس وهو يعلمه في صغره، يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لَكَ»، انظر هذا هو الإيمان بالقدر، كل شيء مكتوب عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، «وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ»، لماذا؟ لأن الأمر كله بمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتقدير الله.

ولذلك قال في آخر الحديث: «جَفَّتِ الْأَقْلَامُ»، ما هي الأقلام؟ القلم الأول: كتب ما في اللوح المحفوظ، أقلام الملائكة كتبت، ونُسخ ما في اللوح المحفوظ، الملك الذي جاءك وأنت في بطن أمك كتب ولذلك قال: «جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ»، انتهىٰ الأمر، فهذا يعلمه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال: [**فنؤمن بان الله تعالىٰ قد شاء كل ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئته. ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن، قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، بكلمة واحدة، ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾، سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وذلك **نقول:** بعض الناس يخطئ **ويقول:** أمره بين الكاف والنون، **نقول:** هذا خطأ، إنما أمره بعد الكاف والنون، ما المقصود بالكاف والنون؟ كن، **قال:** ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، **يعني:** بعد أن يقول له: كن، يكون هذا الأمر، فأمره بعد الكاف والنون، وليس بين الكاف والنون، لأن بين الكاف والنون لا شيء، هذه كاف لا تكوِّن كلمة، والنون لا تكوِّن كلمة.

والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إذا أراد أن يخلق السماوات والأرض بكلمة واحدة، في لحظة واحدة لفعل، ومع ذلك خلق السماوات والأرض في ستة أيام، هل معنىٰ ذلك أن الله لم يكن مستطيعًا أن يخلقها بكلمة واحدة فيما هو أقل من ذلك الوقت؟ حاشاه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولكن هذا من حكمته، وتقديره، وتمام خلقه لهذا الكون، كل يجري علىٰ تقدير، وحكم عظيمة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

[**وقال تعالىٰ:** ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]]، لو شاء الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لجعل الناس مؤمنين، لجعل الناس كلهم مؤمنين موحدين، ومع ذلك من حكمته أن جعل منهم المسلم والكافر، لماذا؟ ليبتلي المسلم بالكافر، وليرىٰ الكافر نبوءة النبيين، ورسالة المرسلين، ويتفكر في رسالة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ويُعمل ما حباه الله به من الإرادة، والاختيار، والعقل، والنظر في الآيات والدلائل، فإذا آمن بهذا الرسول كان إيمانه مبنيًّا علىٰ يقين تام جازم، ولكن لو أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعل الناس كلهم مؤمنين لفعل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولكن كلٌ يجري لحكمة.

ولذلك **قال:** ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، قال العلماء: أهل الرحمة إما أن يكونوا أهل الإسلام، وإما أن يكونوا أهل السنة، المتابعون لنبيهم صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، السائرون علىٰ نهج النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، **يعني:** المفسرون لما فسروا هذه الآية، **قال:** إن الخلاف المقصود به الخلاف بين الملل، يهود، نصارىٰ، مسلمون.

ومنهم فريق **قال**: الخلاف في أصل الملة، في أصل ملة الإسلام، أن يختلف الناس حول متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمنهم مَنْ يستنَّ بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتابع نهجه وهديه، فيكون من أهل السنة والجماعة، من الفرقة الناجية، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم مَنْ يخالف فيضل، فيكون من الفرق الأخرىٰ التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد فصَّل في ذلك الإمام الشاطبي في الاعتصام فليراجع.

[وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]**]**، أي أن الله قادر علىٰ كل شيء، فكل أمر يجري بمشيئة الله وتقديره، هناك أمور شاءها الله تعالىٰ في هذا الكون، وهو لا يحبها، ولا يرضىٰ عنها، وإنما شاء خلقها ابتلاءً للعباد؛ كالمعاصي، والذنوب، مَنِ الذي خلق إبليس؟ الله عَزَّوَجَلَّ، هل الله يحب إبليس؟

مَنِ الذي سيخلق، وسيخرج المسيح الدجال؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله لا يحبه، ولكن شاء وجوده كونًا وقدرًا، لماذا؟ ابتلاءً للعباد؛ لأن مَنْ يعصي إبليس يرتفع في درجات عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مَنْ يطيع الأنبياء، ويخالف إبليس، ومَنْ كان معه من الشياطين، فهذا له منزلة عظيمة، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

كل هذا يجري علىٰ تقدير وحكمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس معنىٰ أن الله شاء كل ما في الكون أنه يحب كل ما في الكون، لا، لا يحب إلا أمره الشرعي، لا يحب إلا ما كان يقرب من طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ لا يحتج محتج علىٰ فعل المعاصي، **ويقول**: أمرٌ كتبه الله عليَّ، **نقول**: لا، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإن أوجد المعاصي في هذا الكون فإنما أوجدها لكي تخالفها، ولذلك أرسل لك الرسل، وأنزل لك الكتب، وبيَّن لك الطريق، وجعل فيك اختيارًا، ومشيئة، وعزيمة، لكي تميز بين الطيب، والخبيث.

وهذا سيأتي فيما بعد ذلك، فهل هناك تعارض بين قولنا: إن مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تامة نافذة، هل هناك تعارض بين ذلك، وبين عمل المرء، وسعي المرء في الصالحات، والكسب، والرزق، وغير ذلك؟ **هذا سيأتي إن شاء الله**.

المتن

[الرابعة: مرتبة الخلق، فهو تعالىٰ خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]].

الشرح

نقول مرة ثانية: علم، فكتب، فشاء، فخلق، فالخلق آخر مراتب القدر، [مرتبة الخلق، فهو تعالىٰ خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]]، إما أن تكون: ﴿وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾، وعملكم، فتكون هنا ما مصدرية، وإما أن تكون: ﴿وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، والذي تعلمون، فتكون هنا ما موصولة، وفيها خلاف بين أهل العلم، ورجَّح شيخ الإسلام أنها موصولة، يعني: والذي تعملون.

المتن

[أفعال العباد:

ونؤمن مع ذلك أن للعباد قدرة علىٰ أعمالهم، ولهم مشيئة، وإرادة، والله تعالىٰ هو خالقهم وخالق مشيئتهم وقدرتهم وأقوالهم وأعمالهم، والأقوال والأفعال الصادرة منهم تضاف إليهم حقيقة، وعليها يثابون أو يعاقبون.

وهم لا يقدرون إلا علىٰ ما أقدرهم الله تعالىٰ عليه، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠].

وقال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، أي: بسبب العمل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

الشرح

[أفعال العباد] مَنِ الذي خلق فعلك؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[ونؤمن مع ذلك أن للعباد قدرة علىٰ أعمالهم، ولهم مشيئة، وإرادة]، ليس معنىٰ أن الله خلقك، وخلق فعلك ألا مشيئة لك، ولا إرادة، أنا أستطيع أن أرفع هذا الكوب، وأن أضع هذا الكوب، وأن أمتنع عن ملامسة هذا الكوب، فلي مشيئة، ولي إرادة، ولكن مشيئتي وإرادتي لا تخرج عن مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، وفي الآية الثانية قال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فأثبت للعبد مشيئة، وللرب مشيئة، فأنت لك مشيئة، وإرادة، واختيار، وعزيمة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له مشيئة.

فقال: [والله تعالىٰ هو خالقهم وخالق مشيئتهم وقدرتهم وأقوالهم وأعمالهم، والأقوال والأفعال الصادرة منهم تضاف إليهم حقيقة]، مَنِ الذي حمل الكوب؟ أنا مَنْ حملت الكوب، أقدرني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ ذلك، ركَّب فيَّ القدرة، والمشيئة، والاختيار، وبالتالي كانت هذه النتيجة، وكل ذلك لا يخرج عن مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلو لم يرد ذلك لم يكن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[وهم لا يقدرون إلا علىٰ ما أقدرهم الله تعالىٰ عليه، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠]]، ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملًا، ولذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يربي أصحابه، لما ذكر لهم القدر، والعلم السابق، وأنه ما من نفس منفوسة إلا وقد كُتبت إما من أهل الجنة، أو من أهل النار، فقال الصحابة: أفلا نتكل؟ **يعني**: نتكل علىٰ ما في اللوح المحفوظ؟ **قال**: «لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، فالإنسان مُيسَّر لما خُلق له، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ركَّب فيه المشيئة، والاختيار.

[وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]]، الباء هنا

سببية، فالأعمال سبب لدخول الجنة، لا بد من العمل، لا بد من الصلاة، من الزكاة، من الصيام، من بر الوالدين، من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من ترك الذنوب والمعاصي، هذه الأمور سبب وأعمال، فلا بد من أعمال القلوب، أعمال اللسان، أعمال الجوارح، هذه سبب لدخول الجنة، ولكن الجنة ليست جزاء للأعمال، **يعني**: الجنة ليست مقابلة للأعمال، لأن الجنة هذه رحمة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **قال**: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**»، **قَالُوا**: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ**: «**وَلَا أَنَا**»، وهو خير العابدين صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومع ذلك عمله لن يدخله الجنة، **قال**: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ**»، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتعمدنا برحمته.

وقال عن أهل النار: [﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤]، فالباء كذلك سببية، فكما أن الأعمال سبب لدخول الجنة، فهي كذلك سبب لدخول النار، نسأل الله العافية.

[**وقال تعالىٰ**: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]]، فلا بد أن يراها يوم القيامة.

وكل هذا الكلام في هذا التقدير كما **قلنا**: لا يعني أن المرء يتواكل ويتكل علىٰ هذا القدر، ولذلك من طريف ما يُذكر أن السلف † عابوا علىٰ مَنْ احتجَّ بالقدر في فعل المعاصي، ونذكر بعد ذلك حديث محاجة آدم وموسىٰ عليهما الصلاة والسلام، **يعني**: دخل رجل علىٰ امرأته، فوجد رجلًا يفجر بها -عياذًا بالله-، فهمَّ أن يقتلها، فقالت له: هذا أمر قدَّره الله، والخيرة فيما قدَّره الله وقضاه، **فقال**: جزاكِ الله خيرًا، كدتُ أن أهلك، الخيرة فيما قدَّر الله وقضىٰ، فكان أصحابه كلما قابلوه **قالوا**: مرحبًا يا الخيرة فيما قدَّر الله وقضىٰ، فكان يغضب.

وطبعًا هذا ضلال مبين، لا يجوز للإنسان أن يحتج بالقضاء والقدر علىٰ فعل المعصية، المعصية من قضاء الله وقدره، لكنَّا ندفعها بشرع الله، وأمره الذي أنزله علىٰ نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

موسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لما قابل آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، ونحن نعلم أن آدم أبو موسىٰ، فقال له: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ**»، لأننا نعرف أن سيدنا آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ماذا صنع؟ أكل من الشجرة، فخرج من الجنة، وأُهبط إلىٰ الأرض، وكان ما كان من أمر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فماذا قال

له آدم؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: «أَنْتَ مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟»، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ»، **أي**: غلبه.

هل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث احتجَّ بالقدر؟ نعم، احتجَّ بالقدر، ولكن هل احتجَّ بالقدر علىٰ فعل المعصية؟ لا، لماذا لم يحتجَّ بالقدر علىٰ فعل المعصية؟ **نقول**: لأن آدم، وموسىٰ كانا يعلمان أن آدم إنما خُلق ابتداءً للأرض لا للجنة، ولذلك لو رجعنا لسورة البقرة، **قال**: إني جاعل في الجنة، أم في الأرض؟ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ثم بعد ذلك من تقدير الله أن يحدث هذا الذي حدث بهذه الطريقة؛ لينزل إلىٰ الأرض، مع أن الله خلقه ليكون للأرض ابتداءً، ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أدخله الجنة، وجعل الشيطان يوسوس له، ويقسم: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢]، انظر الشيطان ماذا صنع؟ يقسم في هذا المكان العلي العظيم، الذي لا يتصور آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن أحدًا يقسم كذبًا بالله، وإبليس كذاب، وكان مع الملائكة في جملتهم يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قبل أن يتكبر علىٰ السجود.

فلما أقسم لآدم، وظهر له في صورة الناصحين صدَّقه آدم، وأكل من الشجرة، فخرج من الجنة، فموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما لام علىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذكَّره، ما ذكَّره بالمعصية، وآدم لما احتجَّ بالقدر ما احتجَّ علىٰ المعصية، وإنما احتجَّ علىٰ المصيبة، ما هي المصيبة؟ الخروج من الجنة مصيبة، فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما احتجَّ احتجَّ علىٰ المصيبة، إذن متىٰ يجوز لك أن تحتج بالقدر؟ علىٰ المصائب، الإنسان إذا أصابته مصيبة **يقول**: هذا أمر مكتوب الحمد لله، فيرضىٰ.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، يقول قتادة: هو المؤمن يعلم أنها -**أي**: المصيبة- من قدر الله فيرضىٰ ويسلم، إذا أصابته مصيبة **يقول**: قدَّر الله وما شاء فعل، إذن متىٰ يجوز لك أن تحتج بالقدر؟ في المصائب، متىٰ لا يجوز لك أن تحتج بالقدر؟ في المعائب، اكتب هذه عندك: يجوز الاحتجاج بالقدر في المصائب لا في المعائب، المعائب التي هي الذنوب والمعاصي، فإذا

أُصبت بمصيبة فاحتجَّ بالقدر، فكل شيء مكتوب، لكن ما يجوز لإنسان أن يكون مقيمًا على معصية، فإذا قيل له: أقصر، **يقول**: قدر الله وما شاء فعل، فهذا ضلال مبين لا يجوز.

لو خرجنا بهذه الفائدة من درس اليوم لكفى، أنه لا يجوز لك أن تحتجَّ بالقدر على المعصية، ولكن احتجَّ به على المصيبة، وعلى البلية.

أحد الطلاب:...

الشيخ: كلٌ مُقدَّر نعم.

أحد الطلاب:...

الشيخ: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما **قلنا**: خلق الجنة، وخلق لها أهلها، وخلق النار، وخلق لها أهلها، وأخفى ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك لا نعلم من أهل الجنة إلا مَنْ أعلمنا إياهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كالعشرة المبشرين بالجنة، ولا نعلم من أهل النار إلا مَنْ أعلمنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم، كعمرو بن لُحي، وأبي جهل، وأبي لهب، وصناديد قريش، وغير ذلك، أما بخلاف ذلك فهذا غيب لا نعلمه، ولكن الذي نعلمه أن كل شيء مقدَّر، فإذا دخل المرء النار فهذا أمر مُقدَّر، ولكن بما كسبت يداه.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، إذن الزيغ حصل منهم، نفوسهم خبيثة، لم تقبل الإيمان ودعوة الرسل، فكانت النتيجة أن أزاغ الله قلوبهم، ما أزاغ الله قلوبهم ابتداءً، لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم الناس شيئًا، إنما أزاغ قلوبهم بسبب ما عندهم من النفوس الخبيثة التي لا تقبل الهداية.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فلما لم يُؤمنوا به قلَّب الله أفئدتهم وأبصارهم، **قال**: ﴿وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠]، والعمه هو عمى البصيرة، وليس عمى البصر، عمى البصر عمى، إنما العمه عمى البصيرة، فكل شيء قدَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المتن

[القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال:

ونؤمن أن القدر السابق لا يمنع من العمل، كما أنه لا يوجب الاتكال. ولذا لما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، فقيل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝﴾ [الليل: ٥ - ٩].

فالمقادير لها أسباب توصل إليها. فكلما أن النكاح سبب الولد، والحرث سبب وجود الزرع، فكذلك العمل الصالح سبب دخول الجنة، والعمل السيء سبب دخول النار].

الشرح

[ونؤمن أن القدر السابق لا يمنع من العمل]، ولذلك في آخر سورة الزمر ماذا قالت الملائكة لما خاطبت الكفار؟ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الزمر: ٧١]، ماذا قال أهل النار؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝﴾ [الزمر: ٧١]، إذن قالوا: بلى، اعترافًا بأن الله أرسل إليهم الرسل، وأنزل لهم كتبًا، وبيَّن لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طريق الصواب، وطريق الهداية، فما ظلمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

حتى أنت في واقع الحياة الدنيا، لما يقع إنسان في أمر ما، **يقول**: أنا قلت له، وبيَّنتُ له، يستحق ما حصل له، هذا في أمور الدنيا، ومع ذلك لو قلت: يستحق ذلك، لا أحد يلومك، لماذا؟ لأنه **يقول**: أنت فعلتَ ما عليك، وأدَّيت ما عليك، ولم تُقصِّر.

قال: [ونؤمن أن القدر السابق لا يمنع من العمل، كما أنه لا يوجب الاتكال. ولذا لما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، فقيل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ

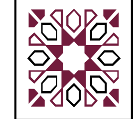
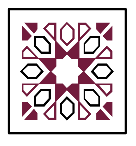
لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ [الليل: ٥ - ٩]، وهذا يُردُّ به علىٰ الإنسان الذي تقول له: تعال صلِّ، يقول لك: لما ربنا يهديني، **نقول**: لماذا أنت قدريٌّ في باب الطاعة؟ لماذا أنت جبري في باب المعصية؟

تقول: أنك مجبور علىٰ هذا الأمر، ولو أراد الله أن يهديك سيهديك، مع أن هذا الإنسان هو نفس الإنسان تجده يستيقظ مبكرًا؛ للذهاب إلىٰ العمل من أجل كسب الرزق، يأخذ بالأسباب، ويتزوج من أجل أن يُرزق بالأولاد، ويقوم من أجل أن يشرب، ويسعىٰ من أجل الطعام، وهي هي فلماذا لم يقل لنفسه: لو أن الله أراد أن يرزقني الولد لفعل، لو أن الله أراد أن يطعمني بلا سعي ولا طعام لفعل، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر علىٰ كل شيء، ومع ذلك يأخذ بالأسباب في أمور الدنيا، ويترك الأسباب في أمور الآخرة، فالقدر السابق لا يعني الاتكال.

قال: **[فالمقادير لها أسباب توصل إليها. فكلما أن النكاح سبب الولد، والحرث سبب وجود الزرع، فكذلك العمل الصالح سبب دخول الجنة، والعمل السيء سبب دخول النار]**، أعاذنا الله وإياكم من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

❁ **أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.**



بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فمرحبًا بحضراتكم في درس جديد من دروس كتاب المعتقد الصحيح، وفي الدرس الماضي كنا قد انتهينا من الكلام علىٰ الركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقضاء والقدر، ثم تلكم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك علىٰ أمر مهم، وهو أنه إذا كان الإيمان يتضمن هذه الأمور الستة التي ذكرناها، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره؛ فهذا الإيمان الذي يكون في القلب ينبغي أن يظهر أثره علىٰ الجوارح.

ولذلك أعقب ذلك بالكلام عن: ما الإيمان؟ وبِمَ يكمل إيمان العبد؟ وهل هو مجرد اعتقاد في القلب فقط، أو أن العبد المؤمن لا بد أن ينطق بهذه الكلمة كلمة التوحيد؟ وهل لو اعتقد بقلبه، ونطق بهذه الكلمة يكفي ذلك، أم لا بد أن يُتبع ذلك بالعمل الذي جاء مرتبطًا دائمًا بالإيمان في كتاب الله، وفي سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

المتن

[المعتقد الصحيح في الإيمان:

ومن جملة اعتقاد أهل السنة: أن الإيمان قول اللسان، بأن ينطق بشهادة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله. واعتقاد بالقلب، بأن يجزم جزمًا قاطعًا بصدق كلمة التوحيد. وعمل بالجوارح].

الشرح

فهذه أركان الإيمان الثلاثة: اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح علىٰ ما سيأتي من تفصيل.

المتن

[قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان: قول، وعمل، ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر. رواه اللالكائي في (السنة)].

الشرح

الشافعي هو الإمام المعروف محمد بن إدريس صاحب المذهب، ماذا يقول؟ **يقول**: [كان الإجماع]، يعني أن أحدًا من القرون الفاضلة لم يخالف في هذا الأمر، فكلهم متفقون علىٰ هذه المسألة، ما هي هذه المسألة؟ أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالجوارح، وكذلك عمل القلب، وقوله، [ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر].

يعني: لو أن إنسانًا اكتفىٰ بالاعتقاد فقط دون أن ينطق قيل له: قل لا إله إلا الله، **فقال**: أنا أعتقد بما تعتقدون في قلبي، ولكن لن أنطق بهذه الكلمة، فهذا ليس بمسلم وكاذب في دعواه؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات: ٣٥]، **يعني**: يستكبرون عن النطق والإقرار بها، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٦]، فبيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن النطق لا بد منه بهذه الكلمة، ولا يكفي مجرد الاعتقاد.

ولو أن إنسانًا لم يعتقد، **يعني**: لم يكن في قلبه إيمان، ولكنه نطق بهذه الكلمة، يعني **قال**: ألا تريدون مني أن أقول لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولم ينعقد قلبه، ولم يؤمن قلبه بذلك، فهذا إيمان المنافقين، فالمنافقون ما كان ينعقد قلبهم علىٰ الإيمان بالله وبرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذن لا بد من هذه الثلاثة: لا بد من اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح، **يعني**: لا بد أن تعمل الجوارح بما جاء في الشرع من عبادات، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، **يعني**: ما جاءهم التكليف من قبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا بعبادة الله، إلا بالتوحيد، ما هو التوحيد؟ قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم أردف ذلك بالعمل، **قال**: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥]، فسمَّىٰ الله تعالىٰ دينه دين القيمة بالقول والعمل معًا، ما سمَّاه بالقول فقط، أو بالاعتقاد فقط، ولكن بالقول والعمل.

هل الإيمان يزيد وينقص، أم أنه ينقص فقط، أم أنه يزيد فقط، أم أنه ثابت؟ لا شك أن الذي نطقت به الأدلة أنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولذلك قال العلماء: إن الإيمان تتضمنه خمسة نونات: أنه اعتقاد بالجنان، ما معنىٰ الجنان؟ القلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان، **يعني**: الجوارح، ويزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، خمسة نونات.

الإيمان قول باللسان: نطق لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا بد منه، واعتقاد بالجنان الذي هو القلب اعتقاداً جازمـًا لا شك فيه، وعمل بالأركان: الصلاة، الصوم، الحج، والعبادات، والصدقة، والذكر، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، فالإيمان يزيد وينقص، ولذلك ترجم الإمام البخاري في صحيحه علىٰ ذلك **وقال**: وهو قول وفعل، ويزيد، وينقص، أي أن الإيمان قول وفعل، قول وعمل، يزيد وينقص، ثم ذكر الآيات الدالة علىٰ ذلك قال الترمذي في جامعه: باب في استكمال الإيمان، والزيادة والنقصان، يعني أن الإيمان

يُستكمل بعد أن لم يكن كاملًا، والزيادة والنقصان، أي أن الإيمان يزيد وينقص، وساق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه **قال**: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ»، هؤلاء أكمل المؤمنين إيمانًا، وأفعل التفضيل تعني أن هناك فاضل وأفضل، فهذا معناه أن هناك إيمانًا وإيمانًا أكمل منه، **فقال**: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ»، وهو حديث صحيح.

وذكر حديث الصحيحين، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ جُزْءًا أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، فدلَّ ذلك علىٰ أن الإيمان درجات، وأنه ليس في مرتبة واحدة.

قال النسائي صاحب السنن رَحِمَهُ اللَّهُ: باب زيادة الإيمان، وذكر حديث الشفاعة، ودلالته واضحة، أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يأمر بإخراج مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، معنىٰ ذلك أن إيمانه ناقص، هناك مَنْ هو إيمانه كامل، أو في ازدياد لا يدخل النار، إلىٰ غير ذلك من تراجم الأئمة.

ولذلك قال صاحب سلم الوصول، وشرح هذا السلم في كتاب معارج القبول، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ اختصر هذا المختصر (المعتقد الصحيح) من معارج القبول، **يعني**: حتىٰ بألفاظه أخذها من المعارج، **يقول صاحب السلم**:

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ... وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ

وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَىٰ تَفَاضُلِ ... هَلْ أَنْتَ كَالْأَمْلَاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

يعني: أهل الإيمان ليسوا سواء، هل أنت كالأنبياء، كالمرسلين، كالملائكة في إيمانهم الزائد؟ فدلَّ ذلك علىٰ أن الإيمان يتفاوت، وأنه يزيد وينقص.

المتن

[زيادة الإيمان ونقصانه:

ويزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية. قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤] -مرَّت هذه الآية-.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظ النساء، وقال لهن: «مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»**، فهذا دليل علىٰ نقصان الإيمان. ومثله قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»**. رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة.**

وإذا كان من اتَّصف بحسن الخلق فهو أكمل المؤمنين إيمانًا، فغيره ممن ساء خلقه أنقص إيمانًا].

الشرح

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، إذن هناك إيمان زاد، فدلَّ ذلك علىٰ أن الإيمان يزيد.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فدلَّ ذلك علىٰ أن الإيمان يزيد حتىٰ يكون كالجبال.

وعلىٰ هذا إجماع الأئمة المعتدِّ بهم. الصحابة ومَنْ بعدهم من أئمة السنة مجمعون علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا يراه المرء في نفسه، **يعني**: يجد أحيانًا لذة الإيمان، وزيادة الإيمان عنده، خاصة في الأوقات الفاضلة في شهر رمضان عندما يعتاد الذهاب إلىٰ المسجد، والوقوف في الصفوف الأولىٰ، وكثرة سماع القرآن، وتلاوته، يشعر بزيادة في الإيمان، فإذا فتر عن الذكر، وهجر قراءة القرآن يشعر بقسوة القلب، ونقصان الإيمان، فهذا يراه المرء في نفسه، وكذلك دلَّت عليه الآيات، كما دلَّت عليه أحاديث نبينا ﷺ.

قال النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري في رؤية رآها، **قال**: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ**»، فكان النبي ﷺ يرىٰ الرؤيا ثم يؤولها، أو يُعبرها لأصحابه، فكان يجلس بعد صلاة الصبح، **ويقول**: هل رأىٰ أحد منكم رؤية، فإذا رأىٰ بعض الصحابة رؤيا قصَّها علىٰ النبي ﷺ، فعبَّرها النبي ﷺ وأوَّلها، قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ**»، والقميص هو هذا الذي نلبسه ويسميه العوام من الآباء والأجداد جلابية. رأىٰ النبي ﷺ الناس علىٰ درجات في طول وقصر هذا القميص.

قال: «**مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدِيَّ**»، **يعني**: رأىٰ بعض الناس يلبس القميص، ولا يتعدىٰ الثدي، «**وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**»، فقميص عمر رضي الله عنه يجرجر خلفه، **قَالُوا**: مَاذَا تَأَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ **قَالَ**: «**الدِّينُ**»، أي أن دين عمر رضي الله عنه كان في الذروة، وأن إيمانه كان في الذروة، فأوَّله النبي ﷺ بالدين، وهذا فيه أن تأويل الرؤيا قد يكون علىٰ خلاف ما هو معلوم شرعًا كالإسبال؛ فقد جاء النهي عنه ومع ذلك يُمدح به عمر رضي الله عنه في الرؤيا.

وقال عمر رضي الله عنه: لو وُزن إيمان أبي بكر بالأمة لرجح، وهذا ثابت عن عمر رضي الله عنه، **يقول**: إن إيمان أبي بكر لو وُزن بهذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر بهذه الأمة، رضي الله عن أصحاب النبي ﷺ.

كذلك مما يدل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه ما جاء في صحيح مسلم، في حديث حنظلة الأسيدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان من كُتَّاب وحي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حنظلة يومًا ما قابل أبا بكر الصديق، فقال له الصديق: ما بك يا حنظلة؟ **فقال**: نافق حنظلة، اتهم نفسه بالنفاق، فلما سأله الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **قال**: إنه عندما يكون عند النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيحدثهم عن الجنة، والنار فكأنها رأي عين، **يعني**: من حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كأنه يرىٰ النار والجنة أمامه، حتىٰ إذا رجعنا إلىٰ أولادنا، فعافسنا الزوجات، والضيعات، لم يجد هذه الأمور، فاتهم نفسه بالنفاق، لما يجده من زيادة في الإيمان، ثم يجد النقصان بعد ذلك.

فما كان من الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلا أنه أبلغه أنه يجد ما يجده، فذهبا إلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فبيَّن لهما النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنهم لو داما علىٰ الحالة التي يكونوا عليها عند رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لصافحتهم الملائكة علىٰ فرشهم، وفي الطرقات، ولكن «**سَاعَةً وَسَاعَةً**»، وبعض الناس للأسف الشديد عندما تقول لهم: لماذا تستمع إلىٰ الأغاني؟ لماذا تفعل المحرمات؟ **يقول**: «**سَاعَةً وَسَاعَةً**»، **نقول**: هذا تأويل وفهم خطأ، لماذا؟

لأن «**سَاعَةً وَسَاعَةً**»، المقصود بها أن المرء لا يدوم علىٰ هذه الطاعة الدائمة، وإنما أحيانًا ينشغل بالمباح، لا ينشغل بالمعصية، فسماع الأغاني، وفعل المحرمات، ومشاهدة التلفاز، والمسلسلات، وما يغضب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يدخل تحت قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**سَاعَةً وَسَاعَةً**»، إنما أراد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يبين أن الإنسان أحيانًا ينشغل بما هو مباح مما قد يؤثر في إيمانه بالزيادة أو بالنقصان، ما أراد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن المرء في الساعة الأخرىٰ يفعل المعاصي التي تُغضب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ومما يدل كذلك علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه تفاوت درجات أهل الجنة، أن أهل الجنة ليسوا سواء، وإنما هناك غرف تُرىٰ كالكوكب الدري في السماء، ويختلف أهل الجنة في مطعمهم، فليس طعام أهل الجنة سواء، في مشربهم، في ملبسهم، في أزواجهم، كل هذا ليس سواء، ما ذاك إلا بسبب تفاوت أهل الجنة في إيمانهم.

مما يدل كذلك علىٰ التفاوت: ما ذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من أقسام أهل الإسلام، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، فليس الناس علىٰ درجة واحدة:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، مقصِّر في الفرائض، فلا يحافظ علىٰ الفرائض، يصلي ويترك، يصوم ويفطر، عنده مال بلغ النصاب، وحال عليه الحول، ولكن لا يؤدي الزكاة، معه مال ويستطيع أن يحج به، ومع ذلك يتوانىٰ ويتكاسل عن الحج، مع أنه مسلم، فهذا ظالم لنفسه.

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾، **يعني**: اقتصر علىٰ أداء الفرائض فقط، وترك النوافل، فلا يصلي إلا الفريضة، ولا يصوم إلا الفريضة، ولا يحج إلا الفريضة، هذا هو المقتصد.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، وهو الذي جمع بين الفرض والنفل، وهو الذي ورد في حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي يرويه عن ربه: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**».

الشاهد أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في هذه الآية قسَّم الناس أقسامًا ثلاثة، وما جعلهم علىٰ درجة واحدة، فدلَّ ذلك كذلك علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعظ النساء، وقال لهن: «**مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، فهذا دليل علىٰ نقصان الإيمان، المرأة لماذا هي ناقصة العقل؟ بسبب غلبة العاطفة عليها، العاطفة تغلبها، ولذلك لا يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة في منصب من المناصب العامة؛ كالولاية العظمىٰ، أو القضاء، أو غير ذلك، نهىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن هذه الأمور، لماذا؟ بسبب غلبة العاطفة.

يعني: لو المرأة صارت قاضية، ودخل المتهم وبكىٰ أمامها، وجاء بلحن القول؛ لأشفقت عليه هذه المرأة، يمكن أن تعطيه براءة، بسبب غلبة العاطفة، ولذلك هي ناقصة في العقل، هذا معنىٰ نقصان العقل.

وأما نقصان الدين، فذلك بسبب ما يعتريها من أمور لا ذنب لها فيه تجعلها حينًا تترك العبادة؛ كالحيض والنفاس، فالمرأة إذا حاضت تركت الصلاة، وتركت الصيام، تبتعد عن عبادة

ربما مدة من الزمان، لا شك أن هذا يؤثر في نقصان الدين، وهذا ليس تنقصًا للمرأة، فهذا أمر جبل الله المرأة عليه.

[ومثله قوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»**. رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة.**

وإذا كان من اتَّصف بحسن الخلق فهو أكمل المؤمنين إيمانًا، فغيره ممن ساء خلقه أنقص إيمانًا]، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحسن أخلاقنا، وأن يرزقنا زيادة في الإيمان.

ذكر العلماء بعض الأمور التي تؤدي إلىٰ زيادة الإيمان؛ لأن المسلم إذا علم أن الإيمان يزيد وينقص، فالواجب عليه أن يسعىٰ لما يكون سببًا في زيادة الإيمان، **فذكروا من أسباب زيادة الإيمان:**

۞ تعلُّم العلم النافع، فالذي يتعلم العلم النافع من كتاب الله، ومن سنة النبي ﷺ، فلا شك أن هذا يؤدي إلىٰ زيادة الإيمان.

۞ وكذلك قراءة القرآن الكريم، وتدبُّره، أن يقرأ المرء كلام ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يتدبر في معانيه.

۞ وكذلك معرفة أسماء الله الحسنىٰ، والصفات العُلا، أن يعرف المرء ربه بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العُلا، ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ عرف الله بأسمائه وصفاته أحبه لا محالة، مَنْ عرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته، ما تتضمنه هذه الأسماء من معانٍ، وما تتطلبه من فعل العبد من أعمال القلوب، واللسان، والجوارح، لا شك أن هذا يجعل المرء يحب ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا هو السرُّ في قول النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، فالذي يحصي هذه الأسماء، ويعرف معناها، ويعمل بمقتضاها، لا شك أنه لا يعصي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،وإن عصاه حملته هذه المعرفة علىٰ التوبة والإنابة، والبعيد عن معصية الله سبيله إلىٰ الجنة، وليس معنىٰ الإحصاء أن تعرفها بمجرد اللفظ، ولكن أن تدرس المعنىٰ، وأن تعمل بالمقتضىٰ، علىٰ ما بيَّنه أهل العلم.

۞ تأمُّل سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المرء عندما يتأمل سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرىٰ كيف كان يصلي، وكيف كان يصوم، وكيف كان يتعامل مع أهله، وكيف كان يتعامل مع المؤمن، ومع الكافر، وكيف كان يدعو غيره، ماذا كان يصنع إذا قرأ آية من كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذه الأمور تزيد إيمان العبد، وإذا كانت مخالطة الصالحين تزيد إيمان العبد، فما بالك بمخالطة المرء نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من خلال سيرته، لا شك أن هذا مما يزيد في إيمان العبد.

۞ تأمُّل محاسن الدين الإسلامي، فالذي يتأمل في محاسن هذا الدين، وفيما تفرد به هذا الدين عن الملل الأخرىٰ، فلا شك أن هذا مما يؤدي إلىٰ زيادة الإيمان.

۞ قراءة سيرة السلف من هذه الأمة، السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، ومَنْ تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

۞ التأمُّل في آيات الله الكونية، **يعني**: النظر في هذه الآيات، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا**»، هذه الآيات التي ذكرناها في المحراب، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠]، **أي**: لأصحاب العقول، هؤلاء الذين يتدبرون في هذا الخلق العجيب، وفي آيات الله الكونية، وذلك مما يؤدي أيضًا لزيادة الإيمان.

ولكن ما هي الأسباب التي تؤدي إلىٰ نقص الإيمان؟ علىٰ النقيض من ذلك:

۞ الجهل، لا شك أن الجهل يؤدي إلىٰ نقص الإيمان، والغفلة، والإعراض، والنسيان، وفعل المعاصي، وارتكاب الذنوب، والنفس الأمارة بالسوء، وكذلك الشيطان، والانشغال بالدنيا، وبفتنتها، الجهل الذي نتج عن تفريط وتقصير. لو أن الإنسان أعرض عن العلم، ولم يلازم العلماء، ولم يقرأ في كتاب الله، ولا في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يتعلم دينه، لا شك أن هذا يؤدي إلىٰ نقص الإيمان، فالإنسان يبذل ما في وسعه في سبيل أن يتعلم دينه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعلمنا.

۞ قرناء السوء، فهؤلاء ممن يؤثر في الإيمان، ويؤدي إلىٰ نقص الإيمان، بل قد يؤدي أحيانًا إلىٰ الخروج عن الإيمان والملة عياذًا بالله، وما حال أبي طالب عم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنَّا ببعيد، **يعني**: معه خير الخلق، وأفضل الدعاة صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول له: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فما زال قرناء السوء يسولون له وعنده ليبقىٰ علىٰ ملة عبد المطلب، ملة الشرك إلىٰ أن كان آخر كلمة قالها: هو علىٰ ملة عبد المطلب.

انظر كيف كان سينتقل؟ سينتقل من كفر لإيمان، إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض، إلىٰ خلود فلا موت بعده، وبسبب قرناء السوء حدث ما حدث، فقرناء السوء كذلك يؤثرون في الإيمان بالنقصان.

قلنا في بداية حديثنا: إن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، فليس هناك إيمان دون اعتقاد، لا بد أن ينعقد القلب، ويجزم بالإقرار، وتوحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والإذعان لما جاء به النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك **قال**:

المتن

[ليس الإيمان دون اعتقاد:

وليس الإيمان قولًا وعملًا دون اعتقاد، لأن هذا إيمان المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]].

الشرح

الشاهد: أنهم لما **قالوا**: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، ولم ينعقد قلبهم علىٰ هذا الإيمان، نفىٰ الله عنهم الإيمان، **قال**: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

وليس الإيمان كذلك مجرد المعرفة، **يعني**: أن تعرف أن هناك إلهًا لهذا الكون، وأن هناك ربًّا لهذا الكون هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، دون اعتقاد القلب، أو القول، أو عمل الجوارح، مجرد المعرفة، فليس هذا هو الإيمان، وهذا القول إن الإيمان مجرد المعرفة هو قول الجهمية، ومقتضىٰ هذا القول إيمان أبي جهل، وإيمان أبي لهب، وإيمان إبليس، مقتضىٰ هذا القول الذي **يقول**: إن الإيمان مجرد المعرفة، هذا يقتضي أن إبليس كان مؤمنًا.

فإبليس قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، فإبليس يعرف أن له ربًّا، ولكن لم يؤمن به، فالذي **يقول:** إن الإيمان مجرد المعرفة، فهذا معناه أن إبليس ليس بكافر، وهذا قول باطل، وهو قول الجهمية كما قلنا، ومقتضاه عدم وجود كافر، هذا القول مقتضاه أنه لا يوجد كافر على وجه الأرض؛ لأنه ما من مخلوق على وجه الأرض إلا وهو يعرف أن لهذا الكون ربًّا وإلهًا، فمقتضى هذا القول الذي يقتصر على المعرفة فقط أنه لا يوجد كافر، وبالتالي هذا القول أبطل رسالات الرسل الذين جاءوا من أجل تعليم الناس أن الإيمان لا بد له من اعتقاد، لا بد له من قول باللسان، لا بد له من عمل بالأركان.

المتن

[ليس الإيمان مجرد المعرفة:

وليس هو مجرد المعرفة، لأن هذا إيمان الكافرين والجاحدين. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]**]**.

الشرح

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾، **أي:** جحدوا بألسنتهم، ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: ١٤]، فهم في قرارة أنفسهم يعلمون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يستحق العبادة، ومع ذلك جحدوا بألسنتهم.

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣]، والجحد لا يكون إلا بعد علم ومعرفة، فهم يجحدون ذلك، فلا بد من الاعتقاد، والنطق، والعمل.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦]، فهم يكتمون الحق، ومعنىٰ ذلك أنهم يعرفونه؛ ولم يصحِّح الله اعتقادهم وإيمانهم.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [البقرة: ٨٩]، يعني: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاء به من الإسلام.

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، ما معنىٰ ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾؟ يعني كانوا عارفين أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يستحق العبادة.

وليس الإيمان كذلك دون العمل، يعني: لا يكفي المرء أن يعتقد، وأن يقول دون أن يعمل، فلا يصلي، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يُزكي، ولا يأمر بالمعروف، ولا ينهىٰ عن المنكر، فهذا ليس بإيمان.

المتن

[ليس الإيمان دون العمل:

وليس هو قولًا واعتقادًا دون عمل، لأن الله سمَّىٰ الأعمال إيمانًا، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلىٰ البيت المقدس.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللهِ، هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغَانِمِ الخُمُسَ».

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ جُزْءًا أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»].

الشرح

[وليس هو قولًا واعتقادًا دون عمل، لأن الله سمَّىٰ الأعمال إيمانًا]، فدلَّ ذلك علىٰ وجوب الأعمال، وأن المرء لا بد أن يأتي بها.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذه الآية نزلت في تحويل القبلة، نزلت في أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذين ماتوا قبل تحويل القبلة، فسأل بعض الأنصار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في بعض الروايات، **فقالوا**: يا رسول الله، إخوان لنا كانوا يصلون قبل تحويل القبلة إلىٰ بيت المقدس، فما حال صلاتهم؟ نحن الآن نصلي قِبل الكعبة، أو تجاه الكعبة، وهؤلاء كانوا يصلون قبل بيت المقدس، فما حال صلاتهم؟ هل ضاعت صلاتهم؟

فأنزل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الذي يسمع السر وأخفىٰ، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، **أي**: وما كان الله ليضيع صلاتكم، فسمَّىٰ الله الصلاة إيمانًا، فدلَّ ذلك علىٰ أن الأعمال تدخل في مسمىٰ الإيمان، وأن المرء لا بد أن يعمل.

قال الفضيل رَحِمَهُٱللَّهُ: يقول أهل البدع: الإيمان الإقرار بلا عمل، والإيمان واحد، وذكرنا قبل ذلك أن أهل السنة يذكرون هذا في معتقدهم؛ لمخالفة بعض أهل القبلة في مثل هذه المسائل، **يعني**: بعض الناس ينتسبون للإسلام، وخالفوا هذا الأصل، فمن الناس مَنْ **قال**: إن الإيمان هو مجرد تصديق القلب، مجرد تصديق، وأن الأعمال لا تدخل في إيمان، ولا تؤثر زيادة، ولا نقصانًا في الإيمان، فماذا قال الفضيل؟

يقول أهل البدع، وهو يعني هؤلاء: الإيمان الإقرار بلا بعمل، والإيمان واحد، وهذا لا شك أنه باطل، إيمانك ليس كإيمان غيرك، ليس كإيمان الصديق، ليس كإيمان الملائكة، ليس كإيمان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهذا يتفاضل فيه الخلق، **قال**: فمَنْ قال ذلك فقد خالف الأثر، وردَّ علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قوله**: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ جُزْءًا أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». **قال**: فمَنْ أخرج العمل عن الإيمان فقد أعظم الفرية، وأخاف أن يكون جاحدًا للفرائض، رادًّا علىٰ الله أمره، لماذا يخاف ذلك؟

لأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يذكر الإيمان في كتابه إلا مقرونًا بالعمل الصالح، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال تعالىٰ كذلك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ

مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧]، فدائمًا يقرن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الإيمان بالعمل الصالح، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، فدائمًا يأتيان مقرونين.

فالذي يقول: إن الإيمان مجرد التصديق، والعمل لا يدخل في الإيمان، يقول الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حقه: وأخاف أن يكون جاحدًا للفرائض، رادًّا علىٰ الله أمره، ولذلك قال هنا: **[وليس هو قولًا واعتقادًا دون عمل، لأن الله سمَّىٰ الأعمال إيمانًا، فقال تعالىٰ:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، **أي: صلاتكم إلىٰ البيت المقدس].**

[وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **أنه قال لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللهِ، هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغَانِمِ الخُمُسَ»**، واستمع كيف فسَّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الإيمان، فسَّره بالإسلام، فسَّره بالعمل، بالأعمال الظاهرة، إذن هناك ترابط بين عمل القلب الذي هو الاعتقاد، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وعمل الجوارح، لا بد أن يظهر أثر هذا الإيمان علىٰ الجوارح، ولذلك قال العلماء: إن الإيمان إذا ذُكر وحده، فيدخل فيه الإسلام والإحسان، وأن الإسلام إذا ذُكر وحده، فيدخل فيه كذلك الإيمان.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ها هنا: **«هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**، والشهادة هذه عمل اللسان، **«وَإِقَامُ الصَّلَاةِ»**، عمل الجوارح، **«وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغَانِمِ الخُمُسَ»**، وهذا في الجهاد في سبيل الله، فدل تفسير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الإيمان بالأعمال علىٰ أن الأعمال لا بد منها، ولا بد أن يأتي المرء منها، ودلَّ علىٰ الخطأ الجسيم الذي يقع فيه بعض الناس، إذا قيل له: صلِ، صم، افعل، **فيقول**: ربك رب قلوب، أو: المهم هذا طالما أنه أبيض فلا يضرني شيء.

نقول: هذا الذي لا يصلي، ولا يصوم، فهذا قلبه أسود شديد السواد، وإن زعم أنه أبيض، هذا كلام باطل، وهو قول أهل الإرجاء. هذا القلب لا يعمر ولا يكون أبيض كالصفا إلا بطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بتقوىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، والتقوىٰ ما هي إلا فعل المأمور، وترك المحظور، إذا كان صاحب إيمان حقًّا فلا بد أن يظهر هذا الإيمان علىٰ جوارحه.

فيقول أهل السنة: جاء الإيمان موصولًا بالعمل في الشرع، دائمًا يأتي العمل معطوفًا علىٰ الإيمان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، والعمل من الإيمان، ولذلك يقول العلماء: إن هذا من باب عطف الخاص علىٰ العام، فالإيمان هو العام، فيدخل فيه العمل، فيعطف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذا الخاص، الذي هو العمل، علىٰ الإيمان؛ لبيان أهمية العمل، **يعني**: أن يُفرده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالذكر؛ ليبين أهميته، يعني لما أقول مثلًا: أكرم الطلاب، وأكرم زيدًا، فهل زيد هذا ليس من الطلاب؟ هو من الطلاب، فلماذا أكدت وأعدت ذكر زيد؟ للاهتمام به، فعندما يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، فهذا فيه توكيد علىٰ أهمية العمل، وأنه يدخل في مسمىٰ الإيمان.

أما أهل البدع فيقولون: بل العمل مقطوع عنه، والله تعالىٰ رد عليهم **بقوله**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧]، فقرن بين الإيمان والعمل الصالح.

ثم **قال**: **[حكم الأعمال]**، **يعني**: تارك العمل، لو أن إنسانًا ترك العمل، فلم يعمل ما حكمه؟ وأفرد مسالة الصلاة بالذات؛ لأهميتها، هذه التي يفصل فيها كثير من الناس.

المتن

[حكم الأعمال:

وليس شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة فمن تركها مطلقًا فقد كفر. أجمع علىٰ ذلك صحابة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال عبدالله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرون من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي].

الشرح

[وليس شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة فمن تركها مطلقًا فقد كفر. أجمع علىٰ ذلك صحابة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، وهذا مذهب أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **يقول**: إن مَنْ ترك الصلاة فهو كافر، **يعني**: مَنْ تركها تكاسلًا وتهاونًا، هو يقرُّ بوجوبها، **يقول**: إن الصلاة واجبة، ولكن لا

يصلي تكاسلًا، لا يدخل المسجد أبدًا، فهذا حكمه أنه كافر، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وقال: «لَيْسَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ»، كأن الصلاة حائط يصدُّ المرء عن الكفر، وعن الشرك عياذًا بالله، فمن تركها فقد ترك الدين، عياذًا بالله.

الإمام أحمد يقول: إن هذا خروج عن الإسلام، ومآل هذا القول: إن مَنْ لم يكن مصليًا ومات، فإنه لا يُغسَّل، ولا يُكفَّن، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُصلىٰ عليه، ولا يرثه أهله، لأنه لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرثه أهله، بل ماله يكون فيئًا للمسلمين، يُوزع بين المسلمين كمال الكفار والمرتدين.

وجمهور أهل العلم يقولون: إن تارك الصلاة تكاسلًا ليس بكافر، بل هو من أفسق الفاسقين مرتكب لكبيرة عظيمة.

أحد الطلاب: تارك الصلاة ملعون.

الشيخ: لا، هذا الحديث لا يصح، إنما فيه ما هو أشد منه، «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، فهذا أمر شديد، جمهور أهل العلم يقولون: إنه ليس بكافر، ومع ذلك يقولون: إن تارك الصلاة شر من الزاني، والسارق، وقاتل النفس بغير الحق، بل شر من الذي يأتي أمه علانية علىٰ الطريق، فتارك الصلاة هذا شر عند الله من هؤلاء، **يعني**: لو أن إنسانًا زنىٰ، أو سرق، أو قتل نفسًا بغير حق، فتارك الصلاة منزلته شر من هؤلاء، لماذا؟

لعلوِّ منزلة الصلاة، هذه العبادة التي لم تُفرض عبادة في السماوات إلا الصلاة، الصلاة فُرضت في السماوات، هذه العبادة، وهذا الركن الذي يأتي مباشرة من أركان الإسلام بعد شهادة التوحيد، فليس معنىٰ قول جمهور أهل العلم أنه ليس بكافر أنهم يكرمونه، أو أنهم يضعونه في منزلة عالية، بل هو عندهم في هذه المنزلة التي ذكرناها.

[قال عبدالله بن شقيق -وهو من صغار التابعين-: لم يكن أصحاب رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يرون من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي]**، ولذلك قال جمهور أهل العلم: إن قول عبد الله بن شقيق محمول علىٰ مَنْ أدركهم من الصحابة، وهو لم يدرك جُلَّ الصحابة، بل أدرك عددًا منهم ليس بكثير، فالذين رآهم قالوا ذلك، ولذلك أولوا هذا الإجماع.

المهم أن ترك الصلاة بين منزلتين أحلاهما مر، إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون فاسقًا حاله كهذه الحال التي ذكرناها.

وأما عن حكم التكفير، وهذه مسألة مهمة جدًّا، يتساهل فيها بعض الناس في هذه الأيام، **يعني**: يحكم علىٰ مَنْ شاء بالكفر، أنه كافر، وأنه لن يرد علىٰ جنة، أو فلان من أهل الجنة؛ لأنه شهيد، ويقطع له بالشهادة، **نقول**: إن الحكم علىٰ معين بجنة أو نار، هذا لا بد فيه من نص. القطع لمعين بجنة أو نار لا بد فيه من نص، هذا أولًا، والأمر الثاني فيما يتعلق بالتكفير: أن هذا ليس للأفراد، ليس للعوام، ليس لطلبة العلم، بل هذا لأئمة العلم، هم الذين يأتون بهذا الشخص الذي يقع في كفر، ويقيمون عليه الحجة.

وإنما نحن، ما نحن إلا دعاة إلىٰ الله تعالىٰ، فإن وجدنا إنسانًا يفعل فعلًا كفريًّا، أو يقول قولًا كفريًّا نحذره، ونقول له: يا فلان، إن متَّ علىٰ ذلك فأنت من أهل النار، إن متَّ علىٰ ذلك، لا نقول له: إنك من أهل النار، وإنك خالد مخلد فيها، ولكن نفتح له الباب، ونوسع له الباب، ونقول له: تب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قبل أن يأتي عليك يوم لا تستطيع أن تتوب، لعلك تريد أن تراجع، فلا تستطيع، يُحال بينك، وبين التوبة، فهذا أمر عظيم، أن يكفِّر المرءُ مسلمًا، ولو كان من أشد العصاة، فهذا أمر شديد عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يطوف حول الكعبة، **ويقول**: والله إنك لعظيمة، فالكعبة بيت الله، حرمتها شديدة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وحرمة المسلم، المسلم الواحد ولو كان عاصيًا أشد عند الله من حرمة الكعبة، المسلم الواحد.

المتن

[حكم التكفير:

والتكفير حق لله، فلا يكفر أحد إلا من كفره الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أجمع المسلمون علىٰ تكفيره.

فمن كفر أحدًا بغير الكفر الذي قام البرهان الجليُّ عليه من نصِّ الكتاب العزيز، أو السنة الصحيحة، أو الإجماع، فهو مستحق لتغليظ العقوبة والتعزير، إذ «مَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»، رواه البخاري عن ثابت بن الضحاك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والكفر يقع بقول كفري ليس فيه خلاف معتبر، وكذا بفعل، وكذا باعتقاد. وليس من شرط الكفر: الاستحلال.

وفرق بين التكفير العام وتكفير الشخص المعين: فالتكفير العام كالوعيد العام، يجب القول بإطلاقه وعمومه. كقول الأئمة: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر.

وكقول ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يقر بأن الله علىٰ عرشه قد استوىٰ فوق سبع سماواته، فهو كافر حلال الدم وكان ماله فيئًا.

وتكفير الشخص المعين: لابد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع. فلا يلزم من التكفير المطلق العام تكفير الشخص المعين حتىٰ تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفي عنه موانعه].

الشرح

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عند البخاري: «مَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»، يعني: انظر إلىٰ الجرم الذي يقترفه الإنسان إذا قتل مسلمًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»، يعني: دم مسلم، لا يحل لك أن تقتله، فالذي يرمي بمجرد الكلمة يرمي المسلم بالكفر، ولو كان عاصيًا، فهذا كَمَنْ قَتَلَهُ، فالمسلم له حرمة، سواء في ماله أو عرضه، أو في نفسه، أو في أهله، لا يجوز للمرء أن يتعرض له.

أحد الطلاب:...

الشيخ: اتهام المسلم بمثل هذه الألفاظ لا يجوز،فإن كان كذلك وإلا رجعت إلىٰ القائل، ولكن ازجره، وقل له: إنك لا بد أن تقف يومًا ما بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **يعني**: أحد الصحابة، ولا أذكر اسمه كان يضرب عبده شديدًا، فرآه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكَّره بالوقوف بين يدي الله، وأن الله سيقتص منه، فكان بعد ذلك يقوم علىٰ شأن عبده كما يقوم علىٰ شأنه، من الاهتمام، والرعاية، والطعام، والمشرب، وغير ذلك، لماذا؟ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكَّره بهذا الظلم الذي يُوقعه علىٰ هذا العبد، فأنا أذكره بالوقوف بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فسب المسلم بأنه يهودي، أو كافر، أو أنه كذا، أو كذا، فهذه الألفاظ لا ينبغي للمرء أن يستعملها.

قال: **[والكفر يقع بقول كفري ليس فيه خلاف معتبر]**، **يعني**: الإنسان ممكن أن يكفر بمجرد القول، بمجرد القول يكفر، كمَنْ سبَّ الدين، الذي يسب دين الله تعالىٰ كافر كفرًا مخرجًا من الملة، وهذا بالإجماع. هذا تجده منتشرًا جدًّا بين الناس، خاصة الشباب والصغار، وخاصة في أصحاب سيارات الأجرة، عياذًا بالله. فالذي يسب الله، أو يسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يسب دين الله عَزَّ وَجَلَّ، أو ينتقص أحدًا من الأنبياء، فهذا كافر كفر ردَّة، يخرجهم من الإسلام، فقد يقع الكفر بمجرد القول.

وقد يقع بالفعل، **يعني**: لا يتكلم، وإنما يفعل، كأن يسجد لصنم غير مكره، والذي يلقي بالمصحف في الحش، أو يمسك المصحف فيقطعه، فهذا يكفر بمجرد الفعل، ولا يُنظر إلىٰ ما في قلبه، **يعني**: **لا يُقال**: لا بد أن ننظر هل هو مستحل أم غير مستحل، لا، هذا لا يُنظر، لأنه لا يفعل ذلك مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، الذي يُمسك المصحف، ويُلقي به هكذا، أو يسجد لصنم دون أن يجبره أحد، أو أن يكرهه أحد، فهذا ليس في قلبه إيمان، فلا يُنظر إلىٰ استحلاله.

وكذلك يقع بالاعتقاد، **يعني**: بالاستحلال؛ كأصحاب الكبائر، هل الزاني كافر؟ ليس بكافر، ارتكب كبيرة، ولكنه ليس بكافر، وإن فعلها أكثر من مرة، هل السارق كافر؟ ليس بكافر،

هل الذي يأكل مال أخيه المسلم كافر؟ لا، ليس بكافر، ولكن إن استحل ذلك، يعني **قال**: الزنا ليس بحرام، بل هو حلال، استحلَّه، السرقة ليست بحرام، بل هي حلال، شرب الخمر ليس بحرام، بل هو حرام، إذن هذا هو الاستحلال، أن يستحل ذلك بقلبه، فهذا يكفر.

إذن متىٰ يكفر صاحب المعصية؟ إن استحلها فقط، وأما مجرد الفعل فلا يكفر به، وإن كان علىٰ خطر كبير.

قال: [وليس من شرط الكفر: الاستحلال]، **قلنا**: فقد يكون بالاستحلال كما في كبائر الذنوب، من سرقة، وشرب خمر، وزنا، فلا يكفر فاعلها إلا بالاستحلال، خلافًا للخوارج الذين يكفرون عصاة المسلمين، وهذا يأتي في الباب الذي بعده، الذي هو حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة.

قال: [وفرق بين التكفير العام وتكفير الشخص المعين]، فتكفير الشخص بعينه هذا لا يجوز إلا بوجود شروط، وانتفاء موانع، لا بد أن توجد الشروط، وتنتفي الموانع التي يحددها أهل العلم، وأما التفكير العام، **يعني**: التكفير المطلق، فهذا ينبغي أن يُطلق، ما معنىٰ هذا الكلام؟ **يعني**: قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المتبرجات: «الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»، فأنا أقول: اللهم العن المتبرجة، هل أنا حدَّدت متبرجة بعينها؟ لا، إنما لا يجوز لي أن آتي أمام متبرجة، وأقول: لعنك الله، إذن يُفرَّق بين اللعن المطلق، ولعن المعين.

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، مَنْ ترك الصلاة فقد كفر، نفس الكلام، أطلق كما أطلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أقول: مَنْ قال القرآن مخلوق فهو كافر، قول عام، لأن القرآن، كلام الله، وكلام صفته، فمَنْ **قال**: إن القرآن مخلوق، فقد **قال**: إن صفة من صفات الله مخلوقة، وهذا يستلزم لوازم باطلة، إنما أن تقول لمعين: إنك كافر لأنك تقول: إن القرآن مخلوق، قد يقول ذلك بسبب شبهة، ولذلك لم يُكفِّر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ المأمون، ولا المعتصم، ولا الواثق، بسبب الشبهة التي دخلت عليهم من المعتزلة.

قال: [**وفرق بين التكفير العام وتكفير الشخص المعين: فالتكفير العام كالوعيد العام، يجب القول بإطلاقه وعمومه**]، **يعني**: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، أقول هكذا: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، أطلق ما أطلقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، أطلق ما أطلقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما إنزال هذه الأحكام علىٰ أفراد بأعيانهم، فهذا لا بد له من وجود شروط، وانتفاء موانع، فقد يكون المرء جاهلًا جهلاً يعذر به، وقد يكون ناسيًا، كما سيأتي بعد قليل.

[**كقول الأئمة: مَنْ قال: القرآن مخلوق فهو كافر، وكقول ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يقر بأن الله علىٰ عرشه قد استوىٰ فوق سبع سماواته، فهو كافر حلال الدم وكان ماله فيئًا**]، لكن عندما تأتي بأحد الأشاعرة الذين يقولون: إن الله لم يستوِ علىٰ عرشه، بل هو مستولٍ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لماذا تقول هذا الكلام؟ يقولون: لأننا لو **قلنا**: إن الله مستوٍ علىٰ عرشه، فهذا يعني أنه في جهة، وجهة يعني حيز، وأنه يشبه...، إذن هذا نفىٰ من باب تنزيه الله فتأوَّل، وإن كان التأويل باطلًا، ولذلك لم يكفره أهل العلم.

يعني: لم يكفروا أعيانهم، إنما هذا الذي قاله ابن خزيمة قول مطلق، **قال**: [من لم يقر بأن الله علىٰ عرشه قد استوىٰ فوق سبع سماواته، فهو كافر حلال الدم وكان ماله فيئًا]، ولا شك أن إطلاق هذه الأمور من باب الزجر، وهذا يؤدي إلىٰ أن يُقلع المرء عن مثل هذه الأمور.

[**وتكفير الشخص المعين: لابد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع. فلا يلزم من التكفير المطلق العام تكفير الشخص المعين حتىٰ تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفي عنه موانعه**]، ما هي موانع التكفير؟ **يعني**: ما الأمور التي تمنع المرء من أن يُكفِّر المسلم؟

❁ الجهل المعتبر:

ما معنىٰ الجهل المعتبر؟ قلنا: يعني أن صاحبه بذل وسعه في سبيل الوصول للحق، ومع ذلك لم يصل إليه، فهذا عذر يُعذر به عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فبذل وسعه في سبيل الوصول للحق، ولم يصل إلا إلىٰ ذلك، فإن فعل فعلًا، أو ارتكب أمرًا كفريًّا، فإنه لا يدخل في ذلك، شخص

يطوف حول القبور عند البدوي، أو الحسين، أو كذا، وكل علماء بلده على هذا الأمر السيء، يقولون: إن هذا هو الدين، وهذا هو الذي يقربك إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولم يسمع من أحد من العلماء قال له: إن هذا باطل، بل هذا شرك، وظل يفعل ذلك حتى مات، فهذا يُعذر عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حاله كحال أهل الفترة.

إنسان آخر قيل له: إن بعض العلماء **يقول**: إن هذا شرك، وهذا لا يجوز، ودلَّت الأدلة على أن هذا من الشرك بالله، فلم يسمع له، فهذا لا يُعذر بجهله، لماذا؟ لأنه هو الذي قصَّر، ولذلك **قلنا**: الجهل المعتبر.

والدليل على أن الجهل عذر في التكفير، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [التوبة: ١١٥].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، والرسول يُبعث معلمًا، ماحيًا للجهل الذي عند الناس.

وكذلك ما جاء في غزوة حنين، الصحابة خرجوا مع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وكان بعضهم حديث عهد بكفر، **يعني**: ما أسلم إلا منذ عهد قريب، فكان للمشركين شجرة يسمونها، بذات أنواط، لأنهم يعلقون عليها أسيافهم، ويتبركون بها، فلما مرَّ هؤلاء النفر من الصحابة، وليس فيهم أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي؛ ولا غيرهم من كبار الصحابة، قال هؤلاء النفر: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، نحن نريد شجرة، ونفعل فعل المشركين، ولكن المشركين يتبركون بها.

فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ**: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»، فعذرهم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بكفر، **يعني**: كانوا حديثي الإسلام، فدلَّ ذلك على أن الجهل المعتبر يمنع صاحبه من التكفير.

❁ الخطأ:

أن الإنسان قد يخطئ، وهو أحدٌ معصومًا من الخطأ، وقد قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لما قال أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: «**قَدْ فَعَلْتُ**»، **يعني**: رفع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن هذه الأمة المؤاخذة بالخطأ، أن الإنسان يخطئ عن غير عمد.

وكذلك ما جاء في حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الرجل الذي كانت معه راحلته، وفقدها في الصحراء، فنام تحت الشجرة ينتظر الموت، فلما استيقظ وجد الراحلة أمامه، فمن شدة فرحه ماذا قال؟ اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»، فمن شدة الفرح نسب عبودية الله له، ومع ذلك لم يؤاخذ بهذا الخطأ.

❁ التأويل:

يعني: الإنسان قد يكون له تأويل في أمر ما، يتأوّل أمرًا ما، ويكون هذا التأويل له وجه في العربية لكنه خطأ، كما قلنا في أهل البدع، من الأشاعرة، والمعتزلة، لماذا لم يكفرهم أهل السنة؟ لأنهم يتأولون هذه الأمور، يظنون ويزعمون أنهم ينزهون ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وكذلك ما جاء في التأويل في سجود معاذ للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **يعني**: معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما ذهب إلىٰ الشام، وجد النصارىٰ يسجدون لمعظميهم من القساوسة، والبطارقة، فلما رجع **قال**: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحق بهذا السجود، فما أن رأىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا وسجد أمامه، **فقال**: ما هذا يا معاذ؟ **قال**: رأيت النصارىٰ يفعلون كذا وكذا، وأنت أحق بالسجود يا رسول الله، **فقال**: «**لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، وَلَوْ كُنْتُ آمُرُ أَحَدًا بِالسُّجُودِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»، فمعاذ سجد لمخلوق، ومع ذلك لما كان متأولًا عذره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأرشده.

وكذلك الرجل الذي كان يسرف علىٰ نفسه في الأمم السابقة، **فقال**: والله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، ماذا صنع؟ أوصىٰ وصية قال فيها لأولاده: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم ذروني، **يعني**: اجعلوني في مهب الريح، واجعلوا نصف الرماد في البر، ونصفه في البحر، فلئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا ما عذَّبه أحدًا من العالمين.

فظن وتأول الأمر أنه بذلك لا يستطيع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يجمعه مرة ثانية، فبمجرد هذا الفعل أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ البحر والبر أن يجمعا ما فيهما، ثم قام أمام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وسأله: «مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ، فقد يكون المرء متأولًا، فيكون هذا التأويل سببًا في عذره، وعدم تكفيره.

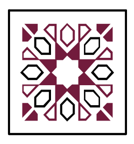
وأما الروافض الشيعة فليس لهم تأويل، لماذا؟ ماذا يفعل الرافضة؟ يقولون: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، يقولون: الجبت والطاغوت هما أبو بكر وعمر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧]، يقولون: عائشة هي البقرة، ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، **يقولون**: الحسن والحسين، ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾ [الرحمن: ٢٠]، **يقولون**: عليٌّ وفاطمة.

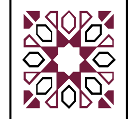
هل هذا تأويل معتبر؟ لا، بل هذا لعب بالدين، ولذلك كان هذا غير معتبر، فكل مانع من هذه الموانع، ونذكرها مرة ثانية: الجهل المعتبر، والخطأ، والنسيان، والتأويل، كل منها عليه أدلة كثيرة، لا دليل واحد، لا فرق في ذلك بين العلميات والعمليات، **يعني**: مَنْ أخطأ في العبادة، في الأمور العملية، الصلاة والصوم، عذره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي، وكما في حديث المسيء، وكذلك في الأمور الاعتقادية كما بيَّنا.

المهم: نخرج من هذا الأمر أنه لا يجوز لإنسان أن يُقدِم علىٰ تكفير معين، وإنما إن رأىٰ منه أمرًا منكرًا فإنما يدعوه إلىٰ التوبة، وإلىٰ الإنابة إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالحسنىٰ، كما بيَّن لنا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكما بيَّن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **فقال**: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

❁ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.







الدرس الرابع عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المعتقد الصحيح بعد أن ذكر مسألة الإيمان، وأركانها، وأن الإيمان قول وعمل، قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وكان علىٰ ذلك إجماع الناس من أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَنْ تبعهم بإحسان، تكلم بعد ذلك عن مسألة مهمة نحتاج إليها في هذه الأيام، وهي حكم مَنْ وقع في الكبيرة، وعنون لها **بقوله**: [المعتقد الصحيح في حكم من وقع في الكبائر]، ثم قال:



المتن

[من جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة:

أن جميع الذنوب -سوىٰ الإشراك بالله تعالىٰ- لا تخرج المسلم من دين الإسلام، إلا إن استحلها: سواء فعلها مُستحلًا، أو اعتقد حلها دون أن يفعلها، لأنه عندئذ يكون مكذبًا بالكتاب ومكذبًا بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع.

وكل ما دون الشرك من الذنوب لا يخلد صاحبها في نار جهنم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فنصَّت الآية علىٰ أن صاحب الذنوب إلىٰ مشيئة الله جل علا، إن شاء تعالىٰ عفا عنه بمنه وكرمه، وإن شاء أدخله النار بقدر ذنوبه، ليطهره بها، ثم يخرجه منها بتوحيده فيدخل الجنة].

الشرح

[من جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة:

أن جميع الذنوب -سوىٰ الإشراك بالله تعالىٰ- لا تخرج المسلم من دين الإسلام]، إذن هذا معتقد أهل السنة والجماعة، أن الذي يخرج المرء من الإسلام هو الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أما ما سوىٰ ذلك من الذنوب، فإن المرء لا يكفر به إلا إذا استحلَّ فعل هذه المعصية، **يعني**: اعتقد بقلبه أنها حلال، أو قال بلسانه: إنها حلال، مع أن الأدلة قد بيَّنت حرمتها.

ولذلك **قال**: [أن جميع الذنوب -سوىٰ الإشراك بالله تعالىٰ- لا تخرج المسلم من دين الإسلام، إلا إن استحلها: سواء فعلها مُستحلًا، أو اعتقد حلها دون أن يفعلها]، فمَنْ قيل له: إن الزنا حرام، **فقال**: لا، بل هو حلال، ولو لم يزنِ؛ فهذا كافر بالله العظيم؛ لأنه استحلَّ ما حرمه الله، ولو قيل له: إن أكل الربا حرام، **فقال**: لا، بل هو حلال، فهذا كافر بالله العظيم؛ لأن هذا مما هو معلوم من دين الله بالضرورة، إلا إذا كان حديث عهد بإسلام، أو نشأ في بادية بعيدة عن ديار المسلمين،أو درس العلم كما يكون في آخر الزمان نسأل الله العافية، فهذا يُعلَّم؛ لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

فلذلك **قال**: [**إلا إن استحلها: سواء فعلها مُستحلًا، أو اعتقد حلها دون أن يفعلها، لأنه عندئذ يكون مكذبًا بالكتاب ومكذبًا بالرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع**]، إذن هذا سبب كفره، أنه لو فعل الذنب مستحلًا إياه، أو **قال**: هو حلال فقد كذَّب كتاب الله، وكذَّب سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: [**وكل ما دون الشرك من الذنوب لا يخلد صاحبها في نار جهنم، كما قال الله تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]]، فكل ما دون الشرك من الذنوب صاحبها، وإن دخل النار، وإن لم يعفُ الله عنه، فإنه لا بد أن يخرج من النار يومًا ما، لا يُخلَّد فيها، ولذلك النار ناران: نار الكفار ودخولها دخول أبدي، ونار الموحدين ودخولها دخول أمدي أي إلىٰ مدة، فنار الموحدين أهلها لا بد أن يخرجوا منها يومًا ما، وإن طال مكثهم في النار، فلا بد أن يخرجوا منها.

أما النار التي قال الله فيها: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، فهذه هي نار الكفار، ولذلك **قال**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، **أي**: لا يغفر شركًا به، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، و**قلنا**: إن هذه الآية إنما هي في الآخرة، أما في الدنيا فكل ذنب يغفره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك **قال**: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، ولذلك قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، **قال**: **أي**: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، فمعنىٰ ذلك أن هذه الآية في الآخرة.

وهناك أحاديث كثيرة فيها بيان أن الله يغفر كل شيء، وأن كل شيء تحت المشيئة، إن شاء عذَّب صاحبه، وإن شاء غفر له، إلا الشرك، ومن ذلك ما جاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا عند أحمد، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ: فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾. [المائدة: ٧٢]، **وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا: فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ اللهَ**

عَزَّوَجَلَّ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا: فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ»، وهذا عند أحمد.

إذن الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان لا يغفره الله أبدًا وهو الشرك، وديوان صاحبه في مشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إن شاء عذَّبه بقدر ذنبه، وإن شاء غفر له، وديوان آخر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يترك منه شيئًا، **أي**: لا بد أن يقتص من صاحبه، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فهذا فيه دليل كذلك علىٰ أن الذي لا يُغفر هو الشرك.

وفي الصحيحين أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بشَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن مَنْ مات من أمته لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وكذلك صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قال**: «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»، فعلَّق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المغفرة علىٰ عدم الشرك.

فأهل السنة والجماعة يقولون: إن صاحب الكبيرة في مشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك كما سيأتي يسمونه في الدنيا فاسقًا مِلِّيًّا، **يعني**: معه أصل الإيمان، ولكن إيمانه ليس مكتملًا، عنده نقص في الإيمان الواجب، ويقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، فلا يخرجونه عن الإسلام، وعن الدين، هذا في الدنيا، لا يقولون كما تقول المرجئة: لا يضر ذنب مع الإيمان، **يعني**: طالما أن المرء صدَّق، وقال الكلمة، فمهما فعل من الذنوب والمعاصي، فإيمانه كإيمان جبريل، وميكائيل، وإيمان الصديقين؛ كأبي بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لماذا تقول المرجئة ذلك؟

لأن الإيمان عندهم هو التصديق، شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، المرجئة يقولون بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، يقولون: فلو نقص هذا التصديق خرج العبد من الدين، ولذلك عندهم الأعمال ليست داخلة في مسمىٰ الإيمان، وإنما هي خارجة عن الإيمان، وقد تعرضنا لذلك فيما مضىٰ.

ولا شك أن مذهب المرجئة مذهب خبيث، لماذا؟ لأنه يحمل الناس علىٰ الزندقة، وعلىٰ ترك الدين، وترك عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويقابله مذهب آخر في الغلو، ودائمًا ما يحارب كثير من

الناس البدعة ببدعة تقابلها، **يعني**: لما ظهرت الخوارج ظهرت المرجئة، لما ظهرت المعتزلة ظهرت الأشعرية، فتجد دائمًا البدعة التي فيها غلو، كثير من الناس إذا أراد أن يردها ردَّها ببدعة، وذلك بسبب الخلل في مصادر التلقي.

فعلىٰ النقيض من مذهب المرجئة، هناك مذهب آخر هو مذهب الخوارج الذين قال عنهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنهم شر الخلق والخليقة، الخوارج كذلك يقولون: إن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، إذن قولهم كقول أهل السنة، لكنهم لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، كما يقول أهل السنة، ويقولون: إن أفراد الأعمال تؤثر في إيمان المرء بالنقض، فإن ترك فرضًا من الفرائض، أو ارتكب كبيرة من الكبائر خرج من دائرة الإسلام، ولذلك يحكمون علىٰ مرتكب الكبيرة بأنه كافر بالله العظيم.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون بكتاب الله، وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَرْفَعُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للإيمان أصلًا وفرعًا.

ولذلك أهل السنة كما يقول ابن تيمية، يقولون: إن الإيمان كالشجرة، وهذه الشجرة لها أصل وفروع، وقد تُقطع فروع الشجرة، ومع ذلك لا تموت الشجرة، لا تموت الشجرة إلا إذا قطعت الأصل، كجذعها، أو نستطيع أن **نقول**: إن الإيمان كجسد الإنسان، هل لو قُطع ذراع الإنسان يموت؟ لا يموت، رجله يموت؟ لا يموت، أما إذا قُطعت رأسه، فإنه يموت.

فهناك أعمال تقدح في أصل الإيمان؛ كالإتيان بناقض من نواقض الإسلام، بما يخالف كلمة التوحيد، فهذا يقدح في أصل الإيمان، ويخرج العبد من الإيمان إلىٰ الكفر، وهناك أعمال لا تقدح في أصل الإيمان، أعني أنها لا تخرج المرء من الإسلام إلىٰ الكفر، ولكنها تقدح في كمال الإيمان الواجب، فإذا فعلها المرء فلا **يُقال**: إن إيمانه واجب، وإنما ي**قال**: إن عنده إيمانًا،

ولكن الإيمان الواجب ليس كاملًا، لماذا؟ بسبب تفريطه في فعل الفرائض، أو بسبب إتيانه لبعض المعاصي، فإذا ركب المرء كبيرة من الكبائر، فهذا لا يعود علىٰ أصل الإيمان بالنقض، أعني أنه لا يُخرج المرء من الإسلام، ولكن يقدح في كمال الإيمان الواجب.

فأهل السنة لا يسمون هذا المرء كما تسميه المرجئة كامل الإيمان، ولا يسمونه كذلك كما يسميه الخوارج، يقولون: إنه كافر، وإنه حلال الدم، وأن ماله فيء للمسلمين، ولهذا ترون ما يفعله الخوارج في هذه الأيام من استباحة دماء المسلمين بسبب مثل هذه الأمور، فإنهم يُكفرون المسلمين العصاة، وغير العصاة، ويستحلون نساءهم، وأموالهم، وأعراضهم، وأراضيهم، واليهود والنصارىٰ منهم في مأمن، كما يفعل الدواعش، وجبهة النصرة، وكذلك القاعدة، وكما يفعل كثير من الخوارج.

أحد الطلاب:...

الشيخ: **قلنا**: الخوارج كذلك يقولون كالمرجئة بأن الإيمان شيء واحد، لا يتجزأ، أما أهل السنة فيقولون: الإيمان أبعاض وأجزاء، فإذا ذهب بعضه، لا يعني ذلك أنه يذهب كلية، وضربنا مثالًا لذلك بالجسد، وكذلك بالشجرة. أما المرجئة ف**قلنا**: إنهم يقولون: إيمان أفجر الفجار كإيمان جبريل، وأبي بكر، وكذلك سائر الصالحين.

قال رجل لابن المبارك: ما تقول فيمن يزني، ويشرب الخمر، أمؤمن هو؟ **قال**: لا أخرجه من الإيمان، فقال الرجل: علىٰ كبر السنِّ صرت مرجئًا، فقال له ابن المبارك: إن المرجئة لا تقبلني، فأنا أقول: الإيمان يزيد وينقص، والمرجئة لا تقول ذلك، والمرجئة تقول: حسناتنا متقبلة، وأنا لا أعلم تُقبلت مني حسنة، وما أحوجك أن تأخذ سبورة فتجالس العلماء، وهذا رواه ابن راهويه في مسنده.

فدائمًا الغلاة يرمون أهل السنة بأنهم من المرجئة، فسائر الطوائف تتهم أهل السنة بأنهم مرجئة، ولكن أهل السنة يخالفون كل فرقة من هذه الفرق في أصل من أصولها، أهل السنة يقولون: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، الخوارج **يقولون**: إنه لا يزيد،

ولا ينقص، والمرجئة كذلك يقولون: لا يزيد، ولا ينقص، أهل السنة يختلفون معهم في الأسماء والأحكام.

ففي الدنيا، الخوارج يقولون علىٰ مرتكب الكبيرة أنه ليس بمسلم، وأنه كافر، المعتزلة **يقولون**: إنه في منزلة بين المنزلتين، **يعني**: لا هو بالكافر، ولا هو بالمسلم، المرجئة يقولون: إنه كامل الإيمان، أهل السنة ماذا يقولون؟ إنه فاسق مِلِّيٌّ، ما سبب فسقه؟ هذه المعصية التي فعلها، ولهم علىٰ كل قول يقولونه دليل من كتاب الله، أو من سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودائمًا ما يُوفَّق أهل السنة في الاعتقاد الصحيح؛ لأن عندهم قاعدة بيَّنها العلماء، وهي أنهم يستدلون أولًا، ثم بعد ذلك يعتقدون، يجمعون الأدلة في الباب الواحد، ثم بعد ذلك يعتقدون علىٰ مقتضىٰ هذه القاعدة.

فإن كان في باب الوعد جمعوا الآيات والأحاديث، وإن كان في باب الوعيد جمعوا الآيات والأحاديث، ماذا فعل الوعيدية من الخوارج والمعتزلة؟ أخذوا بأحاديث الوعيد، وتركوا أحاديث الوعد، ماذا فعلت المرجئة؟ أخذوا بأحاديث الوعد؛ «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، «**أَنَّ اللهَ حَرَّمَ النَّارَ عَلَىٰ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»، إلىٰ غير ذلك من أحاديث الوعد، وتركوا أحاديث الوعيد.

ولذلك قال ها هنا: [**وكل ما دون الشرك من الذنوب لا يخلد صاحبها في نار جهنم، كما قال الله تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فنصَّت الآية علىٰ أن صاحب الذنوب إلىٰ مشيئة الله جل علا، إن شاء تعالىٰ عفا عنه بمنه وكرمه -وهذا من جوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس ضعفًا منه، فإن الكريم هو الذي إذا قدر عفا، فهذا من كرمه-، **وإن شاء أدخله النار بقدر ذنوبه، ليطهره بها، ثم يخرجه منها بتوحيده فيدخل الجنة**]، **يعني**: يخرج هذا المسلم الموحد من النار بفضل توحيده، «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**».

ولذلك كان معتقد أهل السنة والجماعة في صاحب الكبائر أنه ناقص الإيمان، ولذلك **قال**:

المتن

[صاحب الكبائر ناقص الإيمان:

وقد سمَّىٰ الله في كتابه بعض الكبائر كالقتل والبغي، وأثبت الإيمان لأصحابها، فهم مؤمنون بإيمانهم، فاسقون بمعصيتهم. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]، **فأثبت تعالىٰ الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين، وأثبت لهم أخوة الإيمان].**

الشرح

فانظر مع أنه قتل أخاه، ومع ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾، أثبت الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ له الأخوة في الإسلام، مع ارتكابه هذه الكبيرة من الكبائر، وفي صدر الآية **قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فخاطبهم بخطاب المؤمنين، ولو كان قتل النفس كفرًا يُخرج المرء من الإسلام ما قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، **ما قال لهم**: يا مَنِ اتَّصفتم بهذه الصفة التي هي الإيمان.

قال: [**فأثبت تعالىٰ الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين**]، أين إثبات الإيمان للمقتول؟ أنه **قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾، وأين إثبات الإيمان للقاتل؟ أنه **قال:** ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ﴾، فسمَّاه أخًا له، والمقصود بالأخوة هنا الأخوة في الإسلام.

وكذلك **قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]، **قال:** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾، فسمَّاهم مع اقتتالهم مؤمنين، وهذا يرد علىٰ الخوارج الذين كفَّروا أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، زعمًا منهم أنهم لما قاتل بعضهم بعضًا فقد كفروا بذلك.

وكذلك قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، وإذا علمنا سبب نزول هذه الآية عرفنا أن ارتكاب المرء لكبيرة من الكبائر لا يخرجه من الإسلام، وسبب ذلك أن أحد أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في فتح مكة أرسل برسالة إلىٰ أهل مكة يخبرهم أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قادم إليهم.

فلما جاء الوحي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخبر، وأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا، والزبير بن العوام، فجاءا بهذه الرسالة إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سأل هذا الصحابي، وهو حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: «يَا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟»، فبيَّن حاطب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ما فعل ذلك حبًّا لدين المشركين، وإنما يريد أن تكون له يد ليُحمىٰ أهله إذا دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الشاهد أنه لما فعل ذلك، ماذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، فخاطبهم بالإيمان.

المتن

[ولا منافاة بين تسمية المرء فاسقًا وتسميته مسلمًا:

ولا منافاة بين إطلاق الفسق علىٰ العمل أو عامله، وتسمية العامل مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه. وقصة الصحابي عبدالله حمار -التي رواها البخاري في صحيحه- غاية في توضيح ذلك، حيث إن عبد الله حمارًا شرب الخمر، فجيء به إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أحد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: لعنه الله ما أكثر ما يُؤتَىٰ به. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَلْعَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

فلم يخرج من الإسلام بمجرد هذه الكبيرة، بل قد أثبت له الإيمان، مع وقوعه في هذه الكبيرة].

الشرح

[ولا منافاة بين إطلاق الفسق علىٰ العمل أو عامله، وتسمية العامل مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه]، **يعني**: الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يريد أن **يقول**: إن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وكفر، طاعة ومعصية، إيمان ونفاق، هذا قد يجتمع في المرء، ونعني بالنفاق النفاق الذي لا يخرجه من الإسلام.

ثم ذكر مثالًا علىٰ ذلك: في قصة عبد الله الذي كان يُلقب بحمار، فهذا فيه أنه كان شاربًا للخمر، وأن الشرب كان صفة ملازمة له؛ لأن الصحابي **قال**: ما أكثر ما يُؤتىٰ به، ومع ذلك حكم له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان، فدلَّ ذلك علىٰ أن المصرَّ علىٰ الكبيرة ليس بكافر، **يعني**:

لو أن المرء فعل الكبيرة أكثر من مرة، وأصرَّ علىٰ فعل الكبيرة، **يعني**: فعلها أكثر من مرة، فهذا لا يعني كفره، كما يقول بعض الناس، وإنما لا يكفر كما قلنا إلا بالاستحلال، **يعني**: أن **يقول**: هي حلال، أو أن يعتقد حلَّها بقلبه، أما بخلاف ذلك، فإن شرب الخمر ما شربها، وإن أكل الربا ما أكله، وإن زنا ما زنا، **فنقول**: هذا علىٰ خطر شديد، ولكن أن **نقول**: إنه قد كفر، فذلك مما يخالف ما جاء في الكتاب، وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلتُ: ومما يدل كذلك علىٰ أن مرتكب الكبيرة غير كافر، أن الحدود كفارات كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحدود كفارات، ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ في الزاني والزانية، **قال**: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا﴾ [النور: ٢]، **وقال في القاذف كذلك**: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ [النور: ٤]، وقال في السارق: ﴿ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، ولو كان مرتكب الكبيرة كافرًا لما طُهروا بهذه الحدود؟**!**

كما قال ابن أبي العز في شرحه للطحاوية، مما ردَّ به علىٰ الخوارج أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شرع الحدود تكفيرًا، وتطهيرًا لصاحب الكبيرة، فلو **قيل**: إن الزنا كفر، فلماذا شُرعت الحدود وهي كفارات، وطهرة، ولو **قيل**: إن السرقة كفر، فلماذا شُرعت الحدود؟ ولو **قيل**: إن القذف كفر، ولو **قيل**: إن شرب الخمر كفر، فلماذا شُرعت الحدود؟ وهذا من أقوىٰ ما يرد به علىٰ الخوارج، فدلَّ ذلك علىٰ وهاء هذا المذهب، وأنه ليس عليه دليل لا من كتاب الله، ولا من سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **[أقسام الكفر، والشرك، والظلم، والفسوق، والنفاق]**، **يعني**: أن هذه الألفاظ وردت في الشرع، فمنها ما هو أكبر، ومنها ما هو أصغر، ولذلك تجد العلماء يقولون: الكفر كفران، والشرك شركان، والظلم ظلمان، والفسق فسقان، والنفاق نفاقان، منه ما أصغر، ومنه ما هو أكبر، وضابط ذلك: أنه إن نافىٰ أصل الإيمان بالكلية فهو أكبر، وإن لم ينافِ أصل الإيمان بالكلية، وإنما نافىٰ كماله الواجب فهو أصغر.

المتن

[أقسام الكفر والشرك:

وبيان ذلك: أن كلا من الكفر والشرك والظلم والفسوق والنفاق جاءت في نصوص الشرع علىٰ قسمين:

١- أكبر: يخرج من الملة؛ لمنافاته أصل الدين بالكلية.

٢- وأصغر: ينافي كمال الإيمان، ولا يخرج صاحبه منه.

وهذا تقسيم للسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد أثبت حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن هناك كفرًا دون كفر، وظلما دون ظلم، وفسوقا دون فسوق، ونفاقا دون نفاق].

الشرح

قال: [وهذا تقسيم للسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]، **يعني:** أن الإجماع قام عليه.

[فقد أثبت حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن هناك كفرًا دون كفر، وظلما دون ظلم، وفسوقا دون فسوق، ونفاقا دون نفاق]، وعلىٰ هذا إجماع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأما النفاق الذي هو الأكبر فدليله ما جاء في كتاب الله تبارك من **قوله:** ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤]، **فقال:** ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، وهذه نزلت فيمَنْ؟ في المنافقين الذين كانوا يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر، في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، فأي نوع من أنواع النفاق هاهنا؟ النفاق الأكبر.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ»، فأي نوع هذا من أنواع النفاق؟ هذا النفاق الأصغر، وهذا لا ينافي أصل الدين بالكلية، **يعني:** لا يخرج صاحبه من الدين بالكلية، وإنما ينافي كمال الإيمان الواجب، الذي جاء الشرع بنفيه هو الكمال الواجب، لم يأتِ الشرع بنفي الكمال المستحب.

يعني: إذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»، فالمقصود بالنفي هنا كمال الإيمان الواجب، **أي**: الذي لا يأمن جاره شروره، فهذا يقدح في كمال الإيمان عنده، الكمال الواجب، **يعني**: إيمانه ليس كاملًا، ولا **يُقال**: إنه يقدح في كمال الإيمان المستحب، فلو **قلنا**: إنه يقدح في كمال الإيمان المستحب فليس بذنب، وإنما لما كان ذنبًا، وكبيرة من الكبائر قدح في كمال الإيمان الواجب.

المتن

[الكفر الأكبر:

فالله تعالىٰ سمَّىٰ من دعا غيره كافرًا ومشركًا وظالمًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

فهذا في الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، الذي لا يجتمع معه إيمان].

الشرح

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]. قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في العذب النمير عند هذه الآية:

الظلم في لغة العرب معناه: وضع الشيء في غير موضعه، فاعلموا أن أعظم أنواع وضع الشيء في غير موضعه: وضع العبادة في غير موضعها، فمَنْ أكَلَ رِزْقَ اللهِ الذي خلقَهُ ورزقه وعبد غيره فقد وَضَعَ العبادة في غير موضعها فهو ظالم، ولذا كثر في القرآن إطلاق الظلم علىٰ الشرك بالله، كما **قال تعالىٰ**: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: آية ٢٥٤]، **وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ

﴿ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: آية ١٣]، وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه فسر قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: آية ٨٢]، فبيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن الظلم ها هنا هو الشرك، **يعني**: الظلم الأكبر.

ثم قال الشنقيطي بعدما سبق: ومن هنا كان الظلم ظلمين: ظلم بالكفر المُخرِج عن الإسلام، وظلم دون ظلم، وهو ظلم النفس بارتكاب المعاصي. ا هـ.

وقال تعالىٰ في الفسق: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: ٥٠]، والفسق هو الخروج عن طاعة الله، وقد يكون أكبر كما في هذه الآية، وقد يكون أصغر بارتكاب المعاصي، كما قال الله في القاذفين: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور: ٤]، والقذف لا يخرج صاحبه من الملة، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات: ١١].

المتن

[الكفر الأصغر:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**.

فهذا في الكفر الأصغر، والشرك الأصغر، والظلم الأصغر، والفسق الأصغر، وهذا يجتمع معه الإيمان، كما نص علىٰ ذلك الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف، وهو ينقص الأيمان، وينافي كماله].

الشرح

[قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]، وإذا علمتَ سبب نزول هذه الآية عرفت ضلال الخوارج الذين يُنزلون هذه الآيات دون أن ينظروا إلىٰ تفاسير السلف، وإلىٰ سبب النزول، فإن سبب نزول هذه الآية في اليهوديين اللذين زنيا، ثم ما كان من اليهود بعد ذلك إلا أن بدَّلوا كتاب الله بأيديهم، وحرَّفوه، فجعلوا في كتاب الله أن عقوبة الزنا الجلد والتحميم، **يعني**: أن يُسوَّد الزاني والزانية، ويُجلد، ولا يُرجم، وإن كانا سيبين، وأخبروا النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذا هو حكم الله.

فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بيانًا لضلال اليهود وتحريفهم، وأنهم بدَّلوا كتاب الله، فلو **قلنا**: إن الكفر، والظلم، والفسق في هذه الآية هو الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، فهذا إنما يصدق علىٰ مَنْ؟ علىٰ مَنْ فَعَلَ فِعْلَ اليهود، ما الذي فعله اليهود؟ جاءوا بحكم مُحرَّف ونسبوه إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، و**قالوا**: هذا هو الوحي، فمَنْ جاء بحكم يخالف حكم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، و**قال**: هذا حكم الله، **فيُقال**: إنك فعلتَ فعل اليهود، فكفرك كفر أكبر.

وإذا نظرت في القوانين الوضعية، وهي من الضلالات التي أسأل الله أن يخلص الأمة منها، ومن كبائر الذنوب، وجدتَ أن أصحابها لا يقولون لا بلسان حالهم، ولا بمقالهم هذا الكلام، **يعني**: لا تجد الواحد منهم ينسب هذه القوانين إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا **يقول**: إن هذا هو الشرع، وإنما يعترف أن شرع الله بخلاف ذلك، وذلك لا يصدق علىٰ هؤلاء فعل ما فعله اليهود، فالذي يريد أن يكفرهم، نقول له: لماذا تكفرهم؟

يقول: بسبب هذه الآية، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، **نقول**: هذه الآية فيمن نزلت؟ نزلت في اليهود، فلها سبب، إذن هناك أصل، هذا الأصل هو فعل اليهود، وهناك فرع، هذا الفرع هو فعل هذا الذي تريد أن تكفره، حكمه مجهول، أما حكم الأصل فهو معلوم، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]، ومن شروط صحة القياس ماذا؟ أن يستوي الأصل مع الفرع في العلة.

فما علة تكفير اليهود؟ أنهم بدَّلوا وحرَّفوا ثم نسبوا إلىٰ الله، و**قالوا**: هذا حكم الله، فهذا الفرع الذي تريد أن تحكم عليه بهذا الحكم، هل يفعل هذا الفعل تمامًا، أم أنه مجرد تحكيم، يعني كفر عملي، الثانية: هو كفر عملي، ولذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سُئل عن هذه الآية **قال**: ليس الكفر الذي تذهبون إليه، إنما هي كفر دون كفر، والمعاصي كلها كفر دون كفر، كل المعاصي كفر دون كفر؛ لأن الكفر بنعمة الله كفر دون كفر، فالذي يرتكب المعصية ما شكر نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل المعاصي شعبة من شعب الكفر، ولكنه ليس الكفر الذي تذهبون إليه كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمَنِ احتجَّ علينا بهذه الآية قلنا له هذه الأمور، أين تفسير السلف لهذه الآية؟ لو **قال**: من السلف مَنْ **قال**: إنه الكفر الأكبر، **نقول**: فلماذا كفر الذين نزلت فيهم الآية؟ كفروا لأنهم فعلوا كذا وكذا وكذا، أنت تريد أن تُنزلها فيمن؟ في فلان، فلان هذا هو الفرع الذي تريد أن تعرف حكمه، فمن شروط صحة القياس أن يستوي الأصل والفرع في العلة، فهل العلة واحدة؟ ليست العلة واحدة.

ولذلك من جميل فعل السلف، وكأن هذه القضية كانت تشغلهم، لا تشغلنا نحن وحدنا، وإنما كانت تشغلهم كذلك، أن كل مَنْ صنَّف في الاعتقاد المصنفات الكبيرة وضع هذه الآيات، وهذه الآيات هي أول الآيات التي يضعها في باب يُسميه: باب الذنوب التي لا يخرج صاحبها من الإسلام، أو: باب الذنوب التي هي كفر دون كفر، تجد ذلك عند الآجري في الشريعة، تجد ذلك في الإبانة لابن بطة، كتاب عظيم جدًّا، من أكبر كتب الاعتقاد، إن لم يكن هو أكبرها، ومع ذلك تجد بابًا **يقول**: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، يدخل هذه الآية في الذنوب التي لا يخرج صاحبها من الملة.

متىٰ يخرج كما بيَّن أهل السنة في عصرنا الحاضر؛ كالشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ العثيمين، وكذلك الشيخ الفوزان حفظه الله، ورحم الله الأموات منهم؟

قالوا: إن الحاكم بغير ما أنزل الله يكفر إذا **قال**: إن حكمه يساوي حكم الله، أو أنه أفضل من حكم الله، أو أنه يجوز له أن يحكم، يجوِّز ذلك، **يقول**: إنه جائز، أو أنه استحلَّ ذلك، يعني **قال**: هو حلال، أو أنه بدَّله، ونسبه إلىٰ الله، كما فعل اليهود، أما مجرد الحكم فهذا كفر عملي، والشيخ الألباني كما سمعنا في فتنة التكفير، في شرح رسالة فتنة التكفير، ردَّ شبهة يدندن عليها الخوارج، ما هذه الشبهة؟

يقولون: إن قول ابن عباس إنما هو في القضية الواحدة، **يعني**: إنسان حكم في قضية واحدة بغير ما أنزل الله، فهذا كفر دون كفر، بسبب رشوة، أما مَنْ جعل قانونًا عامًّا يسير الناس عليه، فهذا لا يدخل في هذه الآية.

فالشيخ قال لهم: ائتوني بذنب واحد في الشرع التدرج في فعله يجعله كفرًا، **يعني**: مَنْ فعله مرة واحدة يكفر، مرتين لا يكفر، ثلاثة لا يكفر، أربعة خمسة ستة سبعة يكفر، هذا لا يوجد في الشرع، وإنما هذا من تحسين عقولهم، والشرع لم يأتِ بذلك، الذنوب منها ما هو كفر يُخرج صاحبها من الملة، إن كان مستحلًّا جاحدًا مكذبًا معرضًا، ومنها ما لا يكفر صاحبها، وهي سائر الذنوب خلا الشرك، كما بيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

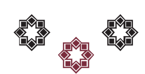
وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠]، من أي أنواع الظلم؟ الظلم الأصغر؛ لأن أكل مال اليتيم ليس كفرًا يُخرج من الإسلام إلا إن استحلَّه المرء.

[وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»]، وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم مؤمنين مع قتالهم، فدلَّ ذلك علىٰ أن الكفر ها هنا ليس الكفر الذي يُخرج من الإسلام.

[وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»]، وهذا من الكفر الأصغر، وكذلك من الشرك الأصغر.

قال: [**فهذا في الكفر الأصغر، والشرك الأصغر، والظلم الأصغر، والفسق الأصغر، وهذا يجتمع معه الإيمان، كما نص على ذلك الكتاب والسنة**]، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد أصحابه: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، فاجتمعت الجاهلية مع الإسلام، [**وأجمع عليه السلف، وهو ينقص الأيمان، وينافي كماله**]، أي كمال ينافيه؟ الكمال الواجب لا المستحب.

❁ **وبهذا نكون قد انتهينا من هذا الفصل المهم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.**





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الخامس عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. **إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ النبي الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.**

أما بعد:

فحديثنا ما زال موصولًا في قراءة هذا الكتاب المبارك، والتعليق عليه، وهو كتاب (**المعتقد الصحيح**)، واليوم إن شاء الله نتكلم عن المعتقد الصحيح في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثير من المباحث التي أُدخلت في كتب الاعتقاد إنما أُدخلت لمخالفة بعض الفرق أهل السنة والجماعة، فلما خالفوا أدخل أهل السنة والجماعة هذه المباحث في كتبهم من باب التنبيه علىٰ غلط هؤلاء، وعلىٰ ما يجب أن يعتقده المرء.

فقال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: [المعتقد الصحيح في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، الصحابي هو مَنْ لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمن به، ومات علىٰ ذلك، طالت المدة أم قصرت، وإن تخلَّل ذلك ردَّة، فهذا هو تعريف الصحابي، بمَ نعرف الصحابي؟ أنه مَنْ لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد ذلك آمن به، ومات علىٰ الإيمان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن تخلل ذلك ردَّة، **يعني**: هب أن هذا الصحابي ارتدَّ في زمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد ذلك عاد وآمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا أيضًا في عداد الصحابة. سواء طالت هذه المدة أو قصرت، **يعني**: لا يُشترط في صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تطول المدة، بل مجرد اللقيا والإيمان يجعل صاحب ذلك من الصحابة.

المتن

[ومن عقائد أهل السنة والجماعة:

محبة أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، موالاتهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، والثناء عليهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، **فرضىٰ الله تعالىٰ عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان.**

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

ومن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يسخط عليه أبدًا. وثبت في الحديث الصحيح أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»].

الشرح

[ومن عقائد أهل السنة والجماعة:

محبة أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، موالاتهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، والثناء عليهم]، فهذا مما يجب علىٰ المرء المسلم، أن يحب أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يواليهم، وأن يترضىٰ عنهم، **فيقول**: رضي الله عن سائر أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يستغفر لهم كما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والدفاع عن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجهاد في سبيل الله، **يعني**: أن تدافع عن الصحابة، وأن تنشر فضلهم، وأن تواليهم، وأن تذب عن عرضهم، فهذا من الجهاد في سبيل الله، لماذا؟

لأنهم هم الحفاظ علىٰ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأنهم هم الذين نقلوا لنا هذا الدين، فلو تعرض أحد لأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بانتقاص، أو سب، أو لعن، أو اتهام فسيلج من هذا الباب

لدين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فمَنِ الذي نقل لنا حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ الصحابة، ومَنِ الذي نقل لنا القرآن؟ الصحابة، فلو فُتح هذا الباب، ولم يوجد مَنْ يردُّ، ويذبُّ عن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يترتب علىٰ ذلك ضياع الدين.

ولذلك قلَّما يخلو كتاب من كتب السنة، ككتاب الإمام البخاري، صحيح البخاري، أو مسلم، أو الترمذي، أو أبي داود، أو غير ذلك من كتب السنة، إلا وتجد فيه كتابًا يتكلم عن مناقب الصحابة إجمالًا وتفصيلًا، فضائل الصحابة إجمالًا وتفصيلًا، **يعني**: يذكر فضائل أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فضائل المهاجرين، فضائل الأنصار، فضائل أبي بكر، وعمر، وعثمان، علي، ويذكر سائر أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ممن لهم فضل في سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما ذاك إلا من أجل الذب عن عرض أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذين هم نقلة هذا الدين. فهذا مما يجب عليك عبد الله.

ثم ذكر الآيات التي في كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وكما وفَّىٰ القرآن فيما مضىٰ بالردِّ علىٰ كل مَنْ شاقَّ الله ورسوله من الوثنيين، ومن المنافقين، ومن الكتابيين من اليهود والنصارىٰ، كما ردَّ علىٰ هؤلاء وغيرهم، كذلك القرآن يرد علىٰ مَنِ انتقص أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ يوم القيامة، فكل شبهة ردَّ عليها القرآن، وكل معتقد صحيح بيَّنه القرآن، ولذلك أنزله الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تبيانًا لكل شيء.

من الآيات التي جاءت في كتاب الله قوله تعالىٰ في شأن الصحابة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

يقول الشيخ السعدي في تفسيره: السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلىٰ الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله، من المهاجرين، ومن الأنصار، ثم ذكر بعد ذلك مَنِ اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، **قال:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾، بالاعتقادات، أن يكون معتقدك كمعتقد المهاجرين والأنصار، والأقوال، والأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ ورضاه تعالىٰ أكبر من نعيم الجنة، **يعني**: أن يرضىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عنك فهذا أكبر من أن يرزقك الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ مجرد الجنة، ولذلك أعظم نعيم أهل الجنة أن يرضىٰ الله عنهم، فلا يسخط عليهم أبدًا، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، وهذا كذلك من الجزاء الذي أعده الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ للمهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان إلىٰ أن يرث الله الأرض

ومن عليها.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾، وذلك للدلالة علىٰ شرف هذا الفوز، وعلىٰ مكانته الرفيعة، فهو فوز عظيم؛ لأنه حصل به كل محبوب للنفوس، بأن ينظر المرء إلىٰ ربه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، بألا يهرم، بألا يمرض، بألا يموت، بألا ينام، ولا يفتر، لا نصب، ولا وصب في الجنة، وإنما هو نعيم أبدي، خالدين فيها أبدًا، نزع الله من قلوب أهل الجنة الغل، والحسد، والحقد.

كما الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ [الحجر: ٤٧]، فهذا فوز ما بعده فوز، ولذلك سمَّاه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالفوز العظيم؛ لأنه حصل به كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع به كل محظور عن العبد، فنسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يرزقنا الجنة، وما قرَّب إليها من قول أو عمل.

فهذا جزاء أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار، وكذلك جزاء مَنِ اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين؛ لأن الله زكىٰ طريقة الصحابة، ولم يُزكِ طريقة غيرهم، فطالما أن الله رضي عنهم فهذا دليل علىٰ أن الصراط المستقيم إنما هو في متابعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾

[البقرة: ١٣٧]، **يعني**: أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وخير دليل علىٰ ذلك ما نراه في واقعنا المعاصر من كثرة الجماعات، والفرق، والنزاع، والفُرقة بين الناس، لماذا؟ لأن كثيرًا من الناس خالفوا طريق أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فوقع ما ذكره الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في هذه الآية، ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾.

وقال تعالىٰ كذلك في بيان فضل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، والمؤمنون ها هنا هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين بايعوه في صلح الحديبية تحت الشجرة، شجرة السمرة، وكان ألفًا وأربعمائة من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بايعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الجهاد في سبيل الله لما أرسل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ مكة، وغاب ولم يرجع، فبايع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه علىٰ دخول مكة، وعلىٰ الجهاد في سبيل الله، ثم ما كان مما هو معروف من بنود صلح الحديبية التي تمت بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش.

المهم أن هؤلاء الذين استجابوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيعة الرضوان هؤلاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولا يدخل واحد منهم النار، هكذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهؤلاء من المبشرين بالجنة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»، ولذلك **قال**: [﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]، **ومن** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **لم يسخط عليه أبدًا**].

وأما قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، كما استشكل بعض الصحابة علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر أن أحدًا ممن بايع تحت الشجرة لن يدخل النار، فسألت أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية، الله عَزَّ وَجَلَّ **يقول**: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، **يعني**: ما منكم إلا وارد النار، فبيَّن لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما بيَّن علماء أهل السنة، أن الورود علىٰ النار ورودان: ورود دخول، وورد مرور، وهو الذي يكون علىٰ الصراط الذي يُضرب فوق النار، فما من أحد إلا ويمرُّ فوق الصراط، والصراط فوق النار، ولا يلزم من مروره فوق النار أن يقع فيها، فمَنْ الناس مَنْ يمرُّ كالبرق الخاطف، ومنهم مَنْ يمرُّ كالجواد المضمر، ومنهم مَنْ يمرُّ كالريح المرسلة، كما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين بايعوه تحت الشجرة فهم في الجنة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ بأنه رضي عنهم، وكما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من وحي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن أحدًا منهم لن يدخل النار.

ثم تكلم بعد ذلك عن فضل المهاجرين الذين تركوا ديارهم، وأموالهم، وتركوا ملذات الدنيا، هجرةً لله إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة.

المتن

[فضل المهاجرين:

وذكر الله المهاجرين ووصفهم بأنهم الصادقون، قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⁽٨⁾﴾ [الحشر: ٨]**]**.

الشرح

قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، **أي**: يعلمون أن الفضل والرضوان ليس في هذه الدنيا، وإنما هو فضل الله ورضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، فهذا هو الرضوان الذي ينبغي أن يسعىٰ المرء إليه، وكذلك سعىٰ المهاجرون من أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⁽٨⁾﴾، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: هذا دليل علىٰ علوِّ مكانتهم، وشأنهم، وأنه جاء باسم الإشارة أولئك؛ ليدل علىٰ رفعتهم، ثم **قال**: ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ ⁽١٥⁾﴾، فجاء بضمير الفصل الذي يؤكد صدقهم، وإلا فأصل الجملة: أولئك الصادقون، مبتدأ وخبر، فلما جاء بهم التي تُسمىٰ بضمير الفصل، دلَّ ذلك علىٰ أن الصدق قد اكتمل في المهاجرين الذين هاجروا لله نصرةً لله ولرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم بعد المهاجرين يأتي فضل الأنصار، فالمهاجرون أعلىٰ منزلة من الأنصار، ثم ذكر الأنصار:

المتن

[فضل الأنصار:

ثم ذكر الأنصار، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

ثم ذكر تعالىٰ حال المؤمنين من بعدهم من الذين اتبعوا صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بإحسان، فقال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]].

الشرح

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، والمقصود بالدار هنا المدينة، أنهم كانوا أهل المدينة، تبوؤا هذه الدار، فلما جاءهم المهاجرون ما أبغضوهم، وإنما قال الله في وصفهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾، والذي يريد أن يعلم ما كان في الأنصار من حب للمهاجرين ينظر إلىٰ حب سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف، **يعني:** له زوجتان يؤثره بأي الزوجتين يشاء عبد الرحمن فيطلقها، ثم بعد ذلك يتزوجها عبد الرحمن إن شاء.

فهذا دليل علىٰ أن الله نزع ما في قلوبهم من الحقد، والغل، والحسد، ولم يكن في قلوبهم إلا المحبة للمهاجرين، ولكل ناصر لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لذلك **قال:** ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾، **أي:** ولو كان من أخصِّ الأمور التي اختصوا بها، ولا يستطيع المرء في أموره العادية أن يفرط فيها، ومع ذلك يؤثرون علىٰ أنفسهم، **قال:** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، وصدق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقد كانوا مفلحين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فانظر وصف المهاجرين بأنهم الصادقون، ووصف الأنصار بأنهم المفلحون، **قال في المهاجرين**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، **وقال في الأنصار**: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، وهذا يدل علىٰ رفعتهم، وعلوِّ منزلتهم، **قال**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾، **وقال هنا**: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾، فهذا يبين لنا شرف المهاجرين والأنصار.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صحَّ عنه: «**حُبُّ الْأَنْصَارِ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ نِفَاقٌ**»، وكذلك سائر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حبهم إيمان، وبغضهم نفاق، ولذلك قال الإمام الطحاوي في العقيدة الطحاوية: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ)، **يعني**: لا نغلو في أحد منهم، فنرفعه منزلة فوق منزلته، كما يفعل الرافضة مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ)، نبغض كل مَنْ يبغض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل نبغض مَنْ أبغض صحابيًّا واحدًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ)، لماذا حب الصحابة دين؟ لأنه واجب أوجبه الله، فهذا إذن من شعب الإيمان، فحبُّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دين، وهم نقلة الدين، وصفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالصدق، والفلاح، فدلَّ ذلك علىٰ عدم تفريطهم في هذا الدين، وأنهم نقلوه كما أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، (وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ)، فالذي يبغض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافر، ومنافق، طاغٍ.

قال العلماء: وإنما كان بغض الصحابة نفاق، الذي يكره الصحابة منافق لماذا؟ **قالوا**: وإنما كان بغض الصحابة نفاق؛ لأن آية النفاق أن تبغض مَنْ نقل لنا هذا الدين، وحفظ الإسلام في الناس، وجاهد في الله حق جهاده، وهذا هو شأن المنافق، أنه يُظهر الإسلام، ويبطن الكفر، ويبطن بغض دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ الذي نقل لنا هذا الدين؟ الصحابة، كذلك مَنْ أبغض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان منافقًا، ولذلك لا يجوز لإنسان أن يتكلم فيهم بسوء.

قال الطحاوي كذلك: (وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ)، وهذا يشمل قول القلب، وقول اللسان، لأن بعض الناس قد تكون عنده تقية، يعني **يقول**: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يترضىٰ بلسانه، وأما في قلبه، كما يفعل كثير من الشيعة، فهو

يبغض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا يشمل إحسان القول القلبي، كذلك القول الكلامي، فلا نتكلم عنهم إلا بكل جميل، ومَنْ خالف ذلك فهو علىٰ غير السبيل، (فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ).

قال: **[ثم ذكر تعالىٰ حال المؤمنين من بعدهم من الذين اتبعوا صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحسان]**، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا منهم، من المتابعين لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحسان، **[فقال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

إذن أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ طبقات ثلاث ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في **هذه الآيات:**

۞ **أما الطبقة الأولىٰ:** فهم المهاجرون.

۞ **وأما الطبقة الثانية:** فهم الأنصار.

۞ **وأما الطبقة الثالثة:** فهم سائر الناس ممن جاء بعدهم، وقد مضت الطبقة الأولىٰ والثانية، ولم تبقَ إلا الطبقة الثالثة، فما هو حال الطبقة الثالثة؟ ما هو الذي يجب علىٰ الطبقة الثالثة؟ يجب عليهم أن يتبعوهم بإحسان، كما يجب عليهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، فأُمرنا أن نستغفر لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن عباس: (لا تسبوا أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون)، هذا رواه أحمد، **يعني:** ما حدث بين أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اقتتال، أو غير ذلك فهذا يعلمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الأزل، يعلم أنهم سيقع منهم ذلك، وكانوا مجتهدين، فمنهم من كان له أجران، ومنهم مَنْ كان له أجر، وما قاتلوا من أجل الدنيا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن ظن كل واحد منهم أن هذا فيه النصرة للدين، فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، وكانوا أهل اجتهاد، فالله يعلم ذلك من الأزل، ومع ذلك أمرنا أن نستغفر لهم، وأن نكف ألسنتنا عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك ابن عباس **يقول:** (لا تسبوا أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون)، رضي الله عن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فحال المؤمنين ممن جاء بعد الصحابة يقول بلسانه، **وبقلبه**: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، فلا يصح أن تقول مثلًا: والله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لكن فلانًا من الصحابة أجد في قلبي ما أجد تجاهه، أو فعل كذا، أو فعل كذا.

أقول لك: أمرك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تُمسك عمَّا وقع من الصحابة، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»، لا يجوز لك أن تخوض في عرض الصحابة، ولكن **قل**: رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لهم، وقد رضي عنهم أجمعين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالىٰ في بيان منزلة أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولتعلموا أن الصحبة اصطفاء، **يعني**: الله عَزَّ وَجَلَّ له شؤون عجيبة في هذا الكون، ما أوجدك في هذا الزمان عبثًا، ولا سدىٰ، وإنما أوجدك في هذا الزمان، ولم يوجدك في الزمان الذي قبله، قبل مائة عام، ولن يوجدك في الزمان الذي بعده، بعد مائة عام لحكمة، يضع كل شيء في موضعه، وهذا مقتضىٰ الحكمة.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اصطفىٰ الصحابة لصحبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يعني**: ليس الصحابة مجموعة من الناس جاءوا هكذا صدفة، اعتباطًا هكذا، وجاءوا في هذا الوقت فوجدهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصحبهم، لا، قال ابن مسعود: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبٍ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ**»، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي جعل الصحابة وزراء النبي.

وأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يطعن في الصحابة يطعن في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟ لأنك إذا طعنت في أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت: أصحاب سوء، إذن محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحسن تربيتهم، وحاشاهم وكلا، وهذا طعن في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فخير الخلق بعد الأنبياء خير الناس بعد الأنبياء أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما من أصحاب نبي؛ كموسىٰ، وعيسىٰ إلا وخذلوه في موقف إلا أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أصحاب موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ماذا **قالوا**: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

أصحاب عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ماذا **قالوا**: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢].

أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **دائمًا يقولون**: سمعنا وأطعنا، لو خضت بنا البحر لخضناه، ولذلك كانوا خير الناس بعد الأنبياء، ولذلك قال مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إمام دار الهجرة، **يقول**: بلغنا أن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتحوا الشام ورآهم النصارىٰ **قالوا**: هؤلاء والله أهدىٰ من حواري عيسىٰ فيما نعلم، **يعني**: هم يسمعون عن الحوارين، فلما رأوا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قالوا**: هؤلاء والله أهدىٰ من حواري عيسىٰ فيما نعلم.

[**وقال تعالىٰ**: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، من الذي كان معه؟ الصحابة. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾، هذا المثل كان موجودًا في التوراة، كانت صفة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجودة في التوراة كوصف محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان موجودًا باسمه، ووصفه في التوراة، ولكنهم حرَّفوها، وكان أصحابه موجودين كذلك بصفاتهم في التوراة.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾، الكفار أصل الكفر في اللغة كما قلنا فيما مضىٰ يعني التغطية، ولذلك الفلاح في لغة العرب يُقال عنه أنه كافر، هذا في اللغة، لماذا؟ لأنه يغطي البذر، حين يزرع يغطي البزر، ولذلك **قال**: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾، هذا مجرد مثل ذكر فيه الزارع والكافر، ما المقصود بالكافر هنا؟ الفلاح، المقصود بالكافر هنا الفلاح، ومع ذلك مالك إمام دار الهجرة رَحِمَهُ اللَّهُ، قال في هذه الآية: مَنْ أصبح من الناس في قلبه غيظ؛ لأنه **قال**: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ﴾، علىٰ أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أصابته الآية.

فالذي يغتاظ عند ذكر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس من المسلمين، ولذلك مالك رَحِمَهُ اللَّهُ قال في هذه الآية، والآية التي قبلها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

﴿وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، قال في هذه الآيات أنها خير دليل علىٰ أن مَنْ سبَّ أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس له في الفيء شيء، لأن هذه الآية الثلاث التي مضت ذُكرت في سورة ماذا؟ في سورة الحشر، التي ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها الفيء.

والفيء هو ما يأخذه المسلمون في حروبهم ضد الكفار بلا حرب، يتركه المشركون، أو يتركه العدو من اليهود والنصارىٰ ليفرَّ، فهذا يُسمىٰ بالفيء، فمَنْ يأخذ من الفيء؟ المسلمون، وما صفة هؤلاء المسلمون؟ الذين يستغفرون لأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ سبَّ الصحابة فليس له نصيب في الفيء، ولذلك الرافضة والشيعة، لو أن هناك بيت مال، وفي مال للمسلمين، وفيه فيء للمسلمين يُقسَّم علىٰ الناس، فسابُّ الصحابة ليس له من هذا الفيء.

قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، الرافضة يستدلون بهذه الآية علىٰ أنه ليس كل الصحابة كانوا علىٰ الصراط المستقيم، وأن كثيرًا منهم ارتدَّ، أو كان يُظهر الإيمان، ويُبطن الكفر، لماذا؟ **قالوا**: لأن الله **قال**: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، فردَّ العلماء، و**قالوا**: إنما أُتيتم من جهلكم بلغة العرب، فإن مِنْ ها هنا لبيان الجنس، وليست للتبعيض، فكل واحد من جنس الصحابة آمن وعمل صالحًا، فكان له هذا الأجر.

كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، فلو **قلنا**: إن مِنْ ها هنا تبعيضية لقلنا إن بعض الأوثان لا ينبغي أن تُجتنب، وإنما مِنْ هنا لبيان الجنس، **أي**: فاجتنوا كل رجس من جنس الأوثان، كذلك كل واحد من جنس الصحابة كان مؤمنًا وعاملًا للصالحات، ولذلك له هذا الأجر العظيم.

ثم بيَّن حكم مَنْ أبغض أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أحد الطلاب:...

الشيخ: السياق هو الذي يبين، وكذلك قد تكون هناك قرينة خارجية، القرينة الخارجية هي أن الله رضي عن كل أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك أثنىٰ عليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إن أحدًا من أهل السنة لم يقل هذا القول، أن مِنْ ها هنا تبعيضية، وإنما هو قول أهل البدع من الرافضة.

المتن

[حكم من أبغض الصحابة:

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أصابته الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤]].

الشرح

وهذه الآية أكد من التي قبلها.

كذلك نهىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سبِّ الصحابة، فلا يجوز لإنسان أن يسب أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يجوز له أن يتنقص كما هو شائع عند بعض الناس، أن يتنقص عمرو بن العاص؛ لقصة مكذوبة عليه، هذه القصة التي فيها أنه قال لأبي موسىٰ: أنا أخلع خاتمي، وأنت تخلع خاتمك، فلما خلعه أبو موسىٰ الأشعري في قصة التحكيم، قال عمرو بن العاص، وكان نائبًا عن معاوية: وأنا أثبت خاتمي، ثم انصرف، فهذا كذب، ولا يصح، وأصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا أكثر الناس ديانة، وأمانة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فلا يجوز أن يُتنقص عمرو بن العاص.

ولا يجوز أن يُنتقص معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فمعاوية، وأبوه، وأمه هند ممن أسلموا وحسن إسلامهم، حتىٰ قال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وما أدراك ما عبد الله بن عمر، كان من أفاضل الصحابة، وكان من زُهَّاد وعبَّاد الصحابة، ولم يشارك في أي فتنة، بل كان دائمًا يحذر من الفتن، **قال**: كان معاوية أسود الناس، من السيادة، **أي**: لما صار ملكًا علىٰ المسلمين، وخليفة علىٰ المسلمين.

ولو أردنا أن **نقول**: إن هناك خليفة خامس، بعض الناس يقولون: خامس الخلفاء عمر بن عبد العزيز، وهذا خطأ، وإنما لو أردنا أن نقول إن هناك خليفة خامسًا **نقول**: معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، اجتمع عليه الناس، وحكم الناس أربعين سنة، عشرين سنة في عهد عمر، وعشرين سنة لما

استقل بالخلافة فما اشتكىٰ منه أحد، ولذلك ابن عمر **يقول**: كان معاوية أسود الناس، قيل له: فأبو بكر وعمر، **قال**: كانا خيرًا منه، ولكنه كان أسود الناس، رضي الله عن معاوية.

عبد الله بن المبارك ذات يوم سمع رجلًا يفضل عمر بن عبد العزيز علىٰ معاوية، **فقال**: يا هذا، لتراب في منخر معاوية خير من ملء الأرض بعمر بن عبد العزيز، الصحبة لا يدانيها شيء، الصحبة صحبة النبي، أن تجلس مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معاوية كان من كُتَّاب وحي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان أمينًا ائتمنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الوحي.

فكيف يأتي رجل عفا الله عنه، كسيد قطب مثلًا، ويطعن في معاوية، ويطعن في عثمان، ويطعن في عمرو بن العاص، ويقول عن عمرو بن العاص، وعن معاوية: أنهما لم ينتصرا بسبب ديانة، لا تقوىٰ، ولكن بشيء من الخسة، والمكر، والخداع، مما لا يستطيع عليٌّ ومَنْ كان معه أن يفعله، وهذا موجود في كتابه **(معالم في الطريق)**، قال هذا عن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا لا يجوز.

لا يجوز لإنسان أن يتكلم عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان هذا الصحابي لم يصحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا يومًا واحدًا، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ آذىٰ أصحابي فقد آذاني، فلا يجوز لإنسان أن يتكلم عنه، وقد تكلم عن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عفا الله عنه، يقول عن عثمان: إن خلافة عثمان كانت فجوة، **أي**: أن الخلافة لم تكن إلا لأبي بكر، وعمر، وعلي، أما خلافة عثمان، فكانت فجوة.

عثمان كان في خلافته كل يوم يمرُّ المارُّ علىٰ المسلمين في طرقات المسلمين، **يقول**: يا أهل الإسلام، هلمُّوا إلىٰ سمنكم، هلمُّوا إلىٰ عسلكم، هلمُّوا إلىٰ أموالكم، **أي**: اذهبوا إلىٰ بيت المال فخذوا ما لكم من العطايا، الدولة الإسلامية لم تتسع كما اتسعت في عهد عثمان، أفريقيا كلها كانت في عهد عثمان علىٰ يد عبد الله بن أبي السرح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أطول خلافة للمسلمين كانت خلافة عثمان، كان أطول الخلفاء زمنًا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولكن الذي حدث من عبد الله بن سبأ، وما حدث من الخوارج، وكذلك ما حدث من الخوارج، أنهم تآمروا عليه، وأنهم أشاعوا الفتن في المسلمين.

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو **قيل**: إنه كان يقرِّب أقرباءه، فعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقرِّب أقرباءه أكثر منه،...

أحد الطلاب:...

الشيخ: كُسر الباب...

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما كان يقرِّب أقرباءه، ولذلك الإمام ابن العربي في كتاب ماتع له، حبذا لو اشتريتموه وقرأتموه؛ لتعلموا فضل الصحابة، وحقيقة ما وقع بينهم، **يقول**:...

أحد الطلاب:...

الشيخ: (العواصم من القواصم)، وهناك العواصم والقواصم لابن الوزير، والعواصم من القواصم موجود، وهو مجلد واحد، بتحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، يبيِّن بالدليل القاطع الصحيح أن هذا من الكذب، أن عثمان كان ضعيفًا، أنه كان يولِّي أقرباءه، أنه ضرب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتىٰ أخرج أمعاءه، أنه نفىٰ أبا ذر إلىٰ الربذة، كل هذا لا يصح عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا من الافتراء الذي تم، ومن الكذب علىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عثما رجل كانت تستحي منه الملائكة، عثمان قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا**»، رجل جهَّز جيشًا بأكمله، هو الرجل الوحيد الذي تزوج من ابنتي نبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **يعني**: أن عطي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته لعثمان ويقول إن صح عنه: والله لو كانت ثالثة لأعطيتها لك، فهذا يدل علىٰ مكانة عثمان، عثمان الوحيد الذي كانت قريش لا ترفض له طلبًا، ولذلك هو الوحيد الذي اختير من بين الصحابة لكي يذهب لقريش في صلح الحديبية، وكان هناك أبو بكر، وعمر، وعلي، ليس لواحد من هؤلاء من الوجاهة والمكانة عند قريش كما هي لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فله مكانة عظيمة، فكيف **يُقال**: إن عثمان كان ضعيفًا، أو إن خلافته كانت فجوة، أو غير ذلك، فهذا من الطعن في أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك الشيخ محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، لمن يعلم منكم، الشيخ محمود شاكر، وأحمد شاكر، وهم من أئمة الحديث في هذا الزمان، كتبوا مقالات كثيرة بيَّنوا فيها هذا الذي قاله سيد قطب، وردوا عليه، وكانت بينهم مراسلات، وبيَّنوا له مكانة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ها هنا: [**النهي عن سبِّ الصحابة**]، **وسبُّ الصحابة يشمل أمورًا:**

۞ أن تتبرأ منهم، فهذا من سب الصحابة، أن يتبرأ المرء منهم؛ لأن حقيقة السب عدم الرضا، الذي يسب الصحابة دليل علىٰ عدم رضاه عن الصحابة، فإن الراضي كما قال العلماء يحمد ويثني، ولذلك نهىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السب، **فقال**: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»، **وقوله**: «**أَصْحَابِي**»، هذا جمع مضاف إلىٰ الضمير، فيعم كل صحابي، ولو صحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليوم واحد، لساعة واحدة، لا يجوز لإنسان أن يعرض له بنقيصة.

وفي لفظ لمسلم **قال**: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»، والمد ربع الصاع، والنصيف نصف المد، والمعنىٰ: ما بلغ هذا القدر اليسير من قدرهم، ولا نصيفه، **أي**: ولا نصفه.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»، عياذًا بالله.

فمَنْ سبَّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فقد آذىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدخل تحت **قول الله تعالىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، أول الناس دخولًا في المؤمنين والمؤمنات الصحابة، الرجال والنساء، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، والمنقول عن السلف أن مَنْ سبَّهم كافر، ومَنْ سبَّ الشيخين أبا بكر وعمر كافر.

قيل للإمام أحمد في عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فلانًا يشتم عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قال**: ذاك زنديق، فشتم الصحابة تكذيب للقرآن والسنة، لأن القرآن والسنة جاءا بالخبر عن الترضي، وبالثناء علىٰ أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يسب الصحابة هذا يخالف القرآن والسنة، يكذب القرآن والسنة.

لذلك قال أبو زرعة رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يريدون،

يعني: لماذا يسب هؤلاء الصحابة، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة، وهذا رواه الخطيب في الكفاية، **قلنا**: فمعنىٰ السب: أن يتبرأ من الصحابة، أو يشتمهم بلعن، أو ينتقصهم، أو يطعن في عدالتهم، أو في دينهم، هذا كله يدخل في السب.

أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليسوا علىٰ درجة واحدة، فكما **قلنا**: أفضلهم المهاجرون، فالأنصار، فكذلك أهل بدر، علىٰ ترتيب ذكره أهل العلم، ولذلك قال ها هنا:

المتن

[تفاضل الصحابة:

وقال تعالىٰ في الصحابة مُبينًا فضيلة مَنْ أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل علىٰ مَنْ أنفق من بعد وقاتل، وكلًّا من المُنفِقين -قبل الفتح وبعده- وعد الله الجنة.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]].

الشرح

فالصحابة لا يتساوون، شهد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة بالخيرية، فقال كما في الصحيحين من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال**: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وهي القرون الخيرية، وهم سلف الأمة الذي ينبغي علىٰ المرء أن ينهج نهجهم، قال عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً، ثم قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»، **يعني**: البدانة، هذا دليل علىٰ محبة الدنيا، والركون إليها، وليس ذلك دليلًا علىٰ أن كل بدين يشمله هذا الذم، وإنما هذه صفة تبين لنا حال مَنْ جاء بعد القرون الخيرية، أن كثيرًا منهم شُغل بالدنيا عن الآخرة.

وأما عن فضل الأنصار فقد قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»، وفيهما عن البراء بن

عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال في الأنصار: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**».

إما أن يكون هذا إخبار من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أن مَنْ يحب الأنصار الله يحبه، وإما أن يكون دعاء من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مَنْ أحبهم أحبه الله، يدعو النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويسأل ربه أن يحب مَنْ أحب الأنصار، وكذلك مَنْ أبغضهم أبغضه الله، يدعو عليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، ومن حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال**: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**».

وأما عن فضل أهل بدر، فقال في الصحيحين حديث علىٰ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وقد ذكرناها في الدرس الماضي، كان أحد أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ممن شهدوا بدرًا، ولكن كان له أهل في مكة، فلما كان في فتح مكة، فخشي علىٰ أهله، وأرسل إليهم يخبرهم أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قادم إليهم، لعله يجد بذلك يدًا له عندهم، فضلًا له عندهم، فيحفظ هذا الفضل في أهله، فجاء الوحي وأخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم أرسل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فجاء بهذا الكتاب.

فلما وقف حاطب أمام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سأله عن سبب ذلك، لأن هذا كبيرة من الكبائر، فلما **قال**: إنه لم يفعل ذلك بغضًا للإسلام، ومحبة في الكفر، قال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ؟**» **فَقَالَ**: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، وليس هذا إذنًا من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لأهل بدر أن يفعلوا ما شاءوا من المعاصي، ولكن هذا إخبار من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الله لا يُزيغ قلب أحد من أهل بدر حتىٰ يموت، إلىٰ أن يموت، وأن الواحد منهم إن فعل المعصية فلا بد أن يبادر إلىٰ التوبة، وهذا حال كل أهل بدر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد وجدنا صدق ذلك في أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل بدر، فلما يرتد واحد منهم بعد موت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل كانوا كلهم علىٰ الاستقامة إلىٰ أن ماتوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: أخبرتني أم مُبَشِّر أنها سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند حفصة: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، نحن قلنا قبل ذلك أن أم سلمة هي التي استشكلت علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن هي حفصة، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، وكان عددهم أكثر من ألف وأربعمائة، من جملتهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعن سائر أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المتن

[ترتيب الصحابة في الفضل:

ويعتقد أهل السنة أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصدِّيق، ثم عمر الفاروق، وهذا إجماع من الصحابة والتابعين، ولم يختلف فيه أحد منهم.

وقد تواتر النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

ويثلِّث أهل السنة بعثمان بن عفان، ويربِّعون بعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ].

الشرح

ترتيب هؤلاء الأربعة في الفضل هو ترتيبهم في الخلافة، فأولهم خلافة أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي، وأفضلهم أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ)، **يعني**: الأربعة، (فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)، وقال أبو أيوب السختياني: مَنْ قدَّم عليًّا علىٰ عثمان فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار، الذي يقدِّم عليًّا في الفضل والخلافة علىٰ عثمان فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار، لماذا؟ لأن الصحابة اجتمعوا علىٰ خلافة عثمان، وعلىٰ صحة خلافة

عثمان، فالذي يقدِّم عليًّا في الخلافة وكذلك في الفضل علىٰ عثمان فهذا أزرىٰ، وانتقص من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أحد الطلاب:...

الشيخ: ما من فرقة من الفِرق، من الخوارج، والمعتزلة، والرافضة إلا وهم ينتقصون أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إما بالتكفير، وإما بالتفسيق، التكفير؛ كالرافضة، وكذلك الخوارج، والتفسيق؛ كالمعتزلة، يُفسقون أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نسأل الله العافية، أما أهل السنة والجماعة فلا يذكرونهم إلا بكل جميل.

خلافة الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أجمع عليها أهل السنة والجماعة، بل وغيرهم من الخوارج، والمعتزلة، والأشاعرة، **يعني**: خلافة الصديق لا يخالف فيها أحد من أهل الملة، وأهل القبلة، وسائر الفرق كذلك، ما عدا الرافضة، ومَنْ نحا نحوهم، وخلافة عمر كذلك بالإجماع ثبتت بالعهد من أبي بكر، هو الذي عهد إلىٰ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي عهد عمر انتشر الإسلام وكثر الداخلون فيه، وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولي الخلافة بالاختيار، بعد أن طُعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، جعل الأمر شورىٰ في ستة، وهؤلاء الستة هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم أفضل الصحابة الذين كانوا موجودين في هذا الوقت، فعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جعل الخلافة شورىٰ، والأمر شورىٰ بينهم، فاختاروا أفضلهم، وأعظمهم صحبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي بالاتفاق كذلك، ثم الخلافة لعلي ببيعة أهل الحل والعقد، فكلهم لهم خلافة صحيحة، أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وكذلك أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فترتيبهم في الفضل كما قلنا كترتيبهم في الخلافة.

قال: **[وقد تواتر النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر]**، ما معنىٰ تواتر؟ **أي**: كثر النقل جدًّا، ما قاله مرة، ولا مرتين، إنما كان يقوله كثيرًا، هذا كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والرافضة ماذا يقولون؟ يقولون: لعن الله أبا بكر وعمر.

بل الخميني هذا الهالك له دعاء جعله في كتابه الحكومة الإسلامية، الخميني هذا هو مؤسس دولة الرافضة في إيران حاليًا، يعظمونه جدًّا، له دعاء في كتاب له يسمىٰ بالحكومة الإسلامية، هذا الدعاء يُقال في الصباح والمساء، هذا الدعاء يُقال فيه: اللهم عليك بجبتي قريش، وطاغوتيهما، وصنميهما، أبي بكر وعمر، والعن ابنتيهما عائشة وحفصة، هذه أذكار عندهم تُقال في الصباح والمساء. لعنة الله علىٰ الرافضة.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي يألهونه، ويقولون: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل الوصية له، ولكن الصحابة خانوا وكتموا، وهذا من الكذب، هذا مما تعم به البلوىٰ، كيف يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا في مجمع الناس، وينتشر الأمر بين الناس، ثم بعد ذلك يكتمه الصحابة، ثم لو كان الأمر كذلك، لماذا لم يتكلم علي لما كان في سقيفة بني ساعدة بعد موت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول خلاف وقع في هذه الأمة، هو الخلاف علىٰ مَنْ يكون الخلفية بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاجتمع الصحابة في سقيفة بني ساعدة، واختاروا أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالإجماع، لو كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصىٰ لعلي، وهذا دين، لماذا سكت علي؟

يقولون: حتىٰ لا تتفرق الأمة، طيب مات الصديق، وهو في سكرات الموت، لماذا لم يذهب إليه، ويطلب منه أن يوصي إليه، وأن يرشحه، وهذا دين، لماذا سكت في خلافة عمر؟ لماذا سكت لما اجتمعوا ليختاروا الخلفية؟ اجتمع ستة نفر من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كانوا أهل الشورىٰ، وكان فيهم علي، فالفرصة صارت سانحة، يخرج ما معه من الوصية من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا تتشاورون؟ أوصىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أكون هذا الخليفة، ولن يرده أحد، فلماذا سكت حتىٰ تمَّ اختيار عثمان؟ لماذا سكت؟ لماذا لم يقل عليٌّ يومًا ما أنه كان الوصي؟ هل كان ضعفًا؟

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، ومنهم فرقة تُسمىٰ بالغرابية، يقولون: كان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يشبه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبه الغراب بالغراب، عياذًا بالله، حتىٰ ما اختاروا طائرًا حسنًا، يقولون: شبه الغراب بالغراب، ولذلك يقولون: أخطأ جبريل في الرسالة، كانت الرسالة لعلي فنزل بها علىٰ

محمد، وأين ربُّ جبريل؟ وأين رب محمد؟ لو أخطأ جبريل، فهذا من الكذب الصحيح، الإنسان يتعجب أن هذا يخرج من أجسام بها عقول، والله بها عجول وليست عقول، نسأل الله السلامة والعافية.

ولذلك الشافعي **يقول**: إنهم أكذب الخلق، هؤلاء الرافضة، لا يتحرزون من الكذب مطلقًا، بل الكذب عندهم دين، ممكن وهو جالس يألف حديثًا، حدثنا أبو عبد الله، وهو أبو جعفر الصادق، ويذكر حديثًا في المتعة، أو يذكر حديثًا في سب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يذكر حديثًا في الشفاعة في أن الواحد يتوسل في آل البيت، أو بذكر فاطمة، أو بكذا، أو بكذا، أو بكذا، يكذبون.

يعني: أنا سمعتُ واحدًا منهم ذات مرة يُسأل في فتوىٰ: امرأة لا تنجب الأولاد ماذا تصنع؟ وذهبت لكثير من الأطباء، **قال**: يا هذا، تأتي بمادة معينة، ذكر اسمها، وتكتب علىٰ بطنها يا حسين، يا حسين، يا حسين تسع مرات تُرزق بالولد، ولكن واجب عليها إن رُزقت بهذا الولد أن تسميه بالحسين، وإلا كانت عاصية، فهذا من الكذب عياذًا بالله، هذا من تسويل الشياطين.

[وقد تواتر النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلِّث أهل السنة بعثمان بن عفان، ويربِّعون بعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ]، فأصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم مكانة في قلوبنا لا نقدم عليهم قول أي أحد، ولا شخص أي أحد، أي واحد من الناس يخالف قوله قول أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان من أحب الناس إلينا، يُردُّ قوله فورًا، لماذا؟ لأن هؤلاء الصحابة، نهجهم معصوم، عصمهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الخطأ، وزكاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسبيلهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، فمَنْ أراد النجاة من كل فتنة مهما عظمت، فعليه بسبيل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحشرنا معهم، وأن يثبتنا علىٰ هذا المعتقد إلىٰ أن نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.





بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السادس عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ النبي الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

۞ أما بعد:

فمرحبًا بحضراتكم في درس جديد من دروس هذا الكتاب الطيب، وهو كتاب (**المعتقد الصحيح**)، وعلمنا فيما مضىٰ أن المسلم يجب عليه أن يتعلم أمور دينه، فلا يكفي بمجرد بلوغه أن ينطق بهذه الكلمة فقط، **أي**: أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقط، ثم بعد ذلك قد يقع في أمور إما أن تقدح في كمال التوحيد، **يعني**: أن يأثم بها، وإما أن تخرجه من الإسلام عياذًا بالله كالشرك، وغير ذلك.

ولا خلاص للمرء من هذه الأمور إلا إذا تعلم أمر دينه، وأهم ما ينبغي أن يتعلمه المرء المعتقد، فإن الخلل في أمر الصلاة مثلًا قد يفسدها، ولكن هذا لا يخرج المرء من دين الإسلام، خلل في الصيام، في الزكاة، في الحج، قد يفسد هذه العبادات، ولكن لا يخرج المرء من دين الإسلام، وأما الخلل في المعتقد، **أي**: في الإسلام، وفي الإيمان، فهذا قد يخرج المرء من الإسلام، ولذلك واجب عليه أن يتعلم دينه.

وفي أعظم الأحاديث، وهو حديث الدين، حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاء وسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، في نهاية هذا الحديث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»، فأرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلىٰ النبي ﷺ في صورة هذا الرجل، وسأله هذه الأسئلة بهذه الطريقة ليتنبه أصحاب النبي ﷺ من أجل أن يتعلموا أمور دينهم، ما هي الأمور التي تكلم فيها؟ تكلم في أمور عظيمة، في الإسلام، في الإيمان، في الإحسان، هذه الأمور التي عليها مدار الدين.

فبدأنا هذا الكتاب بالكلام علىٰ هذه الأمور، علىٰ توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، علىٰ أركان الإيمان، علىٰ المعتقد الصحيح في أصحاب النبي ﷺ، إلىٰ أن وقفنا في آخر درس عند المعتقد الصحيح في أهل بيت النبي ﷺ، كان الدرس الذي قبل ذلك، كان المعتقد الصحيح في أصحاب النبي ﷺ.

ذلك أن أقوامًا ممن ينتسبون إلىٰ أهل القبلة يقعون في أصحاب النبي ﷺ؛ كالروافض، فإنهم يطعنون في الصحابة، بل ويكفرون أصحاب النبي ﷺ، إلا النفر القليل، إلا أعدادًا معلومة، بعضهم **يقول**: ثلاثة، بعضهم **يقول**: خمسة، هؤلاء هم الذين لم يرتدوا بعد موت النبي ﷺ، وعلىٰ الجانب الآخر تجد هؤلاء يغلون جدًّا في آل بيت النبي ﷺ، فيرفعونهم إلىٰ مقام قد يصل إلىٰ مقام الألوهية، كما يفعلون مع علي رضي الله عنه.

فالسنيُّ الحق هو الذي ينبغي عليه أن يعلم المعتقد الصحيح في الصحابة، حتىٰ لا يقع في واحد من أصحاب النبي ﷺ، وإنما نذكرهم دائمًا بكل جميل، وبالخصال التي وردت في الكتاب، وفي السنة، وفي الفضائل التي جعلها سلف هذه الأمة لأصحاب النبي ﷺ، فلا نغلو فيهم، ولا نفرط كذلك في حقهم، وكذلك في آل بيت النبي ﷺ، كيف يكون المعتقد الصحيح؟

بلا إفراط، ولا تفريط، بلا تجاوز للحد، فنرفعهم فوق مرتبة النبوة، أو إلىٰ أن يكادوا يقاربون مرتبة الألوهية، وكذلك لا نبخسهم حقهم، كما يفعل النواصب، وهي طائفة تعادي أهل بيت النبي ﷺ، فلسنا كالروافض الشيعة، ولسنا كالنواصب الذين يطعنون في أهل بيت النبي ﷺ، وإنما دائمًا أهل السنة والجماعة وسط، وسط في العبادات، ووسط في المعتقدات، كما أن الإسلام وسط بين الملل، فأهل السنة كذلك وسط بين الفِرق، فلا نكفر أصحاب النبي ﷺ، وكذلك لا نغلو في أهل بيت النبي ﷺ.

فمَنْ هم أهل بيت النبي ﷺ؟ نقول: كلمة الآل، أو الأهل في لغة العرب إنما تُطلق علىٰ الزوجة والذرية، والعيال، الآل في لغة العرب، يعني: يُقال: آل فلان، يعنون بذلك أهل بيته، يعنون بذلك زوجته، وذريته، وأولاده، فهذا هو معنىٰ الآل في لغة العرب، نقل ذلك الخليل بن أحمد، والجوهري، وابن فارس، وابن منظور في لسان العرب، كلهم متفقون علىٰ أن الأزواج يدخلون في آل الرجل، لماذا نقول هذا الكلام؟

لأننا سنعلم بعد قليل أن الرافضة يقولون: إن أزواج النبي ﷺ ليسوا من أهله، وإنما المقصود بالآل الذرية؛ كعلي، وفاطمة، ومَنْ كان في نسلهم، أما أزواج النبي ﷺ فهؤلاء لا يدخلون في أهل بيت النبي ﷺ، ولذلك يسبون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويسبون حفصة، بل ويكفرون عائشة، وحفصة، وأزواج النبي ﷺ. أما بالنسبة للغة فزواجات النبي ﷺ يدخلن في معنىٰ الآل، وكذلك بالنسبة للشرع، كما سيأتي في الأحاديث والآيات.

المتن

[ومن عقائد أهل السنة والجماعة:

محبة أهل بيت النبي ﷺ، ومعرفة فضلهم وشرفهم، عملًا بوصية النبي ﷺ يوم غدير خُم، حيث حمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد علىٰ وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعبَّاس، وبنيه، وعليٍّ وأهل بيته وذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين].

الشرح

[ومن عقائد أهل السنة والجماعة: محبة أهل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، إذن أنت تحب أهل البيت فهذا دين تتقرب به إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولكن يشترط في هذه المحبة أن تكون محبة شرعية بلا غلو، بلا شد للرحال إلىٰ مقابرهم، بلا نذر، ولا ذبح، ولا دعاء من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كل هذا لا يجوز؛ لأن هذا من الغلو في هؤلاء، وإنما نحبهم محبة شرعية.

فقال: [ومن عقائد أهل السنة والجماعة: محبة أهل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعرفة فضلهم وشرفهم]، فإنه قد ورد في شرفهم وفضلهم في الكتاب والسنة ما هو فضل عام، وما هو فضل خاص، فضل عام **يعني**: في سائر أهل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهم من الفضائل العظيمة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فهذا فضل عام، وفضل خاص تجده كثيرًا في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مناقب عليٍّ، مناقب فاطمة، مناقب عائشة، مناقب خديجة، مناقب حفصة، مناقب عبد الله بن عباس، مناقب العباس بن عبد المطلب، تجد أبوابًا في كتب السنة تتحدث عن هذه الفضائل الخاصة لأهل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والواحد إنما يثبت أنه من آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمرين:

- **الأمر الأول**: الإسلام، فالإسلام شرط في ثبوت الدخول في آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك أبو لهب عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يُقال إنه من آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين لهم هذا الشرف والفضل، لماذا؟ لأنه مات كافرًا، فالأمر الأول: يثبت هذا الشرف بماذا؟ بالإسلام.

- **الأمر الثاني**: بالنسب، أن يصح النسب، **يعني**: لا يجوز لي، أو لغيري أن **أقول**: أنا من الأشراف، أو أنا من آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون صحة هذا النسب، فإذا صح هذا النسب، وإن نزلت هذه السلسلة فهذا الرجل الذي ثبت أنه من آل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكرم، ويُحترم عبادةً لله تعالىٰ، وإن نزل نسبه إلىٰ الآن، **يعني**: لو علمنا أن إنسانًا الآن في بلدتنا ينتهي نسبه إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو إلىٰ ذرية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا الرجل لا يُعامل كغيره، إنما له فضل، ومكانة، وشرف، لماذا؟ لصلته بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال مدلِّلًا علىٰ أن آل البيت لهم فضل وشرف، **قال: [عملًا بوصية النبي ﷺ يوم غدير خُم]**، هذه الوصية قالها النبي ﷺ أثناء عودته من حجة الوداع، وقف عند مكان يُسمىٰ بغدير خُم، والحديث عند مسلم من حديث زيد بن أرقم، وخطب النبي ﷺ في أصحابه، ونحن نعلم أن النبي ﷺ مات بعد حجة الوداع بثمانين يومًا، أو يجاوز ذلك بيومين أو ثلاثة، فماذا قال النبي ﷺ؟

[حيث حمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ»]، **يعني**: أحس النبي ﷺ بدنو أجله، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٣ - ٦].

فالنبي ﷺ قال له الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]، فكان يعلم أنه لا بد أن يأتي اليوم الذي يموت فيه ﷺ، فأراد أن يوصي أصحابه، وكان كثيرًا ما يوصي أصحابه ﷺ بوصايا جامعة. «يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ»، أي: ملك الموت.

قال: [«وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ]، ولم يذكر النبي ﷺ ها هنا سنته، لماذا؟ لأمرين:

الأمر الأول: أن الكتاب دلَّ علىٰ حجية السنة، **فقال تعالىٰ**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، فليس معنىٰ أنه ذكر الكتاب وحده أن السنة لا حجة فيها، وإنما ذكر النبي ﷺ الكتاب؛ لأنه هو الأصل، وهذا الأصل دلَّ كذلك علىٰ حجية السنة، ولا يُفهم الكتاب إلا باجتماع السنة معه، ولذلك قال في الحديث الآخر: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»، فنصَّ علىٰ الكتاب والسنة، فلا فهم للكتاب إلا بسنة النبي ﷺ.

[ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم]، وتكرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التذكير يدل علىٰ شرف منزلة هؤلاء، أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه ما ينبغي أن يُنال، وما ينبغي أن يُقصَّر في حقهم، ولكن علىٰ الوجه الشرعي الذي ذكرناه، فمَنْ هم أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

في بقية هذا الحديث الذي يرويه زيد بن أرقم أنه سُئل: أَلَيْسَتْ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: بَلَىٰ! نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ. قَالَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عُقَيْلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ الْعَبَّاسِ. قَالَ حَصِينٌ: وَكُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. إذن آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ حرم عليه الصدقة، فلا يأخذوا الصدقة، ولا يأخذوا من الزكاة؛ لأنه في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال أن آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأخذون من الصدقة، **يعني**: من الزكاة؛ لأن هذه الصدقة تطهر الناس، كأنها أوساخ الناس، يتطهر الناس من ذنوبهم، ومن تقصيرهم بهذه الصدقة، وأهل البيت لا يأكلون إلا الطيب، فأهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأكلون الصدقة، ومن جانب آخر فآل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم ذريته وأولاده.

ولذلك اختلف العلماء فيمن هم آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أربعة أقوال أشهرهم قولان:

۞ **القول الأول**: وهو قول الجمهور قول أبي حنيفة، وأحمد، والشافعي، أن آل البيت هم مَنْ وردوا في حديث زيد، وهم: آل علي، وآل عقيل الذين هم آل بني هاشم، وبنو عبد المطلب.

۞ **القول الثاني**: أنهم أزواجه وذريته، أن آل البيت هم أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذريته، ولا تنافي بين القولين، لماذا؟ لأن مَنْ نصَّ علىٰ بني المطلب، وبني هاشم إنما قصد أن هؤلاء تحرم عليهم الصدقة، ومَنْ نصَّ علىٰ أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذريته أخرجهم ممن يحرم عليهم الصدقة، فكل هؤلاء يدخلون في آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك [قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد علىٰ وجه الأرض

فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولاسيما إذا كانوا مُتَّبِعِينَ للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعبَّاس، وبنيه، وعليٍّ وأهل بيته وذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين].

وأما أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم من أهل بيته كما قلنا، **ولذلك قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ:

المتن

[أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل بيته:

ومن أهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزواجه. قال تعالىٰ في سياق مخاطبتهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: هذه الآية نص في دخول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل البيت ههنا، لأنهن سبب نزول الآية، وسبب نزول الآية داخل فيه قولًا واحدًا، إما وحده علىٰ قول، أو مع غيره علىٰ الصحيح.

فدخل في هذه الآية أمير المؤمنين علىٰ بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحسن والحسين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداةً وعليه مِرطٌ مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علىٰ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علىٰ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾. **رواه مسلم].**

الشرح

[ومن أهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزواجه]، قلنا: إن الرافضة يُكفِّرون أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل ويتقربون إلىٰ الله بلعن عائشة وحفصة بالذات.

[قال تعالىٰ -وهذا هو الدليل علىٰ أن زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل البيت- **في سياق مخاطبتهن:** ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾]، أول هذه الآيات قال الله فيها

في سورة الأحزاب: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ثم بعد ذلك استمر الخطاب بنون الإناث هذه ينتقل من آية إلىٰ أخرىٰ، إلىٰ أن قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾.

إذن لما ذُكر كل ذلك قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بعدها: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾، فكيف يُقال كما تقول الرافضة أن زوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لسن من أهل البيت، والخطاب كله لزوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولذلك بعد أن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك **قال**: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾، عاد مرة ثانية ليخاطب نساء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾، فهذه الآية نصٌّ علىٰ أن زوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من آل بيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ولذلك **[قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسيره: هذه الآية نص في دخول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أهل البيت ههنا]**، ما معنىٰ النص في أصول الفقه؟ النص هو ما لا يحتمل إلا معنىٰ واحدًا، هذا معنىٰ النص، ما لا يحتمل إلا معنىٰ واحدًا بخلاف الظاهر، الظاهر يحتمل معنيين هو في أحدهما أرجح من الآخر، **يعني**: عندما أقول: رأيت أسدًا بالأمس، فالظاهر أنك رأيت الأسد، الحيوان المفترس، وقد تكون رأيتَ رجلًا شجاعًا، والأسد يُطلق علىٰ الرجل الشجاع، ولكنه أظهر في معنىٰ الحيوان المفترس، إنما في هذه الآية، هذه الآية نصٌّ، **يعني**: لا تحتمل إلا معنىٰ واحدًا، ما هو هذا المعنىٰ؟ دخول أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في آل بيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

لماذا قال ابن كثير إنها نص؟ **قال**: **[لأنهن سبب نزول الآية]**، لأن زوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سبب نزول الآية، لأننا نعلم أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خيَّر زوجاته بين متاع الدنيا، وبين ما عند الله في الآخرة، فبدأ بعائشة فاختارت ما عند الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فما كان من باقي الزوجات إلا أن اخترْنَ ما اختارته عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فبيَّن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لهنَّ الأجر العظيم، وأنزل هذه الآيات، إذن مَنْ سبب نزول هذه الآيات؟ زوجات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، **قال**: لأنهن سبب نزول الآية، وهناك قاعدة في التفسير تقول ماذا؟

[وسبب نزول الآية داخل فيه قولًا واحدًا]، **يعني**: سبب النزول يدخل قطعًا في معنىٰ الآية، **يعني**: زوجة أوس بن الصامت لما جاءت للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالت: يا رسول الله، ظاهر مني، وجلست عند النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزلت صدر سورة المجادلة، إذن سبب نزول صدر سورة المجادلة هو ما كان من زوجة أوس بن الصامت مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل زوجة أوس بن الصامت وما وقع لها مع زوجها يدخل في هذه الآية أم لا يدخل؟ يدخل دخولًا أوليًّا، قطعًا يدخل؛ لأنها هي سبب النزول.

فزوجات النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنَّ سبب نزول هذه الآية، فإن **قلنا**: إن هذه الآية تدل علىٰ فضل آل البيت؛ كعلي، وفاطمة، **نقول**: إن احتججت بهذه الآية فتقول: هؤلاء يدخلون في هذه الآية تبعًا، وأما الذي يدخل فيها أصلًا أصيلًا فهم زوجات النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قال**: **[وسبب نزول الآية داخل فيه قولًا واحدًا، إما وحده علىٰ قول، أو مع غيره علىٰ الصحيح]**، **يعني**: سواء **قلنا**: إن العبرة بسبب النزول، وبخصوص اللفظ، فهن يدخلن في ذلك، سواء **قلنا**: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهنَّ يدخلن في ذلك، **يعني**: إما علىٰ هذا القول فيدخل فيه أزواج النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ القول الثاني كذلك يدخل فيه أزواج النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **[فدخل في هذه الآية أمير المؤمنين علىٰ بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحسن والحسين، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: خرج رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداةً وعليه مِرطٌ مُرَحَّل من شعر أسود** -عليه ثياب واسعة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **فجاء الحسن بن علىٰ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾. رواه مسلم]**.

فبهذه الآية يدخل، أو تدخل ذرية النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبسبب نزول الآية يدخل زوجات النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَنْ هم أهل بيت النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **نقول**: أزواجه، وذريته، ومن حرُم عليه الصدقة، ومَنْ يثبت له هذا الشرف؟ مَنْ كان مسلمًا، والأمر الثاني: إن كان نسبه صحيحًا إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم بعد ذلك ذكر أمرًا يتعلق بهذه المسألة، لأننا **نقول**: إن بعض الناس يتجاوز الولاية في آل بيت النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هل أهل بيت النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أولياء الله الصالحين؟ لا شك أنهم من أولياء الله الصالحين، ولكن الولي له منزلة لا ينبغي أن نتعداها، فلا ينبغي أن **نقول**: إن الولي يتصرف في الكون، وأنه ينفع ويضر، وأنه يعلم ما في الغيب، إلىٰ غير ذلك مما يقع فيه بعض الغلاة.

هل الأولياء لهم كرامات؟ نعم، لهم كرامات، يُظهر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ أيديهم الكثير من الكرامات، ولذلك أردف الباب السابق بهذا الباب، وهو المعتقد الصحيح في كرامات الأولياء، **قال:**

المتن

[ويعتقد أهل السنة والجماعة:

ما تواترت به النصوص من وقوع كرامات الله تعالىٰ لأوليائه.

تعريف الولي:

والولي عندهم: من فعل المأمورات الشرعية، واجتنب ما جاءت الشريعة بالنهي عنه. قال تعالىٰ عن الأولياء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. **فبالإيمان والتقوىٰ تكون الولاية].**

فمن هو الولي؟ نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا من أوليائه الصالحين. **قال: [والولي عندهم: من فعل المأمورات الشرعية، واجتنب ما جاءت الشريعة بالنهي عنه]**، هذا هو الولي، إن أردت أن تكون وليًّا لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فاعمل المأمور، اترك المحظور، افعل ما أمرك الله به، واجتنب ما نهاك الله عنه، هذا هو الولي، ولذلك قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عن الأولياء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، مَنْ هم الأولياء؟ الذين آمنوا وكانوا يتقون.

فمن هو الولي؟ نقول كما عرَّفه العلماء: كل مؤمن تقي غير نبي، هذا هو الولي عند علماء الاعتقاد، يقولون: إن الولي أخذوا هذا الحد من هذه الآية، كل مؤمن تقي، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، غير نبي، وليس معنىٰ هذا أن النبي ليس وليًّا، بل الأنبياء سادة الأولياء، ولكن الأنبياء لهم مكانة أعلىٰ من مكانة الولي، فمَنْ هو الولي؟ كل مؤمن تقي غير نبي.

ما الشرط في الولاية؟ أن يكون مؤمنًا، وأن يكون تقيًّا، فبالإيمان والتقوىٰ تكون الولاية، إنما إنسان لا يصلي، إنسان معتوه، لا عقل له، بعض الناس يظن فيه الولاية، **يعني**: بعض الناس ممكن يكون لا عقل له، يمشي هكذا مجنون، أو عقله خفيف، ومع ذلك يقول لك: لا تتعرض له فهو ولي من أولياء الله الصالحين، لا، الولي لا يكون وليًّا إلا إذا كان عاقلًا، بالغًا، تقيًّا، مؤمنًا، فإذا فقد شرطًا من هذه الشروط فليس بولي.

قال: **[فبالإيمان والتقوىٰ تكون الولاية]**، ثم إن الأولياء ليسوا علىٰ درجة واحدة، فلا شك أن كل مسلم معه قدر من التقوىٰ، وقد يكون معه أصل الإيمان، فكلما زادت التقوىٰ، وزاد الإيمان زادت الولاية عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❁ ولكن ما هي كرامات الأولياء؟ قال:

المتن

[تعريف الكرامة:

والكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالىٰ علىٰ يد وليٍّ من أوليائه، معونةً له علىٰ أمر دينيٍّ أو دنيويٍّ. لكن لاتصل كرامة الولي إلىٰ مثل معجزات الأنبياء والمرسلين].

الشرح

إذن هو: **[أمر خارق للعادة]**، **يعني**: الأسد مثلًا إذا رأىٰ إنسانًا ما الذي يصنعه معه؟ يأكله، ولكن قد تجد إنسانًا في البرية في الصحراء يأتيه أسد، فيقول له: انصرف، فينصرف الأسد، وهذا حدث مع بعض أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سفينة مولىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا جاءه أسد فأمره أن ينصرف، فما كان من الأسد إلا أن زأر ثم انصرف، ولم يتعرض له.

بعض أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له نور في أصبعه، في أصبع يده، كان إذا مشىٰ في الظلام أضاء له بين يديه، الكرامات كثيرة جدًّا، فأصحاب الكهف لم يكونوا أنبياء، وإنما كانوا أولياء، كم ناموا في الكهف؟ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ۝٢٥﴾ [الكهف: ٢٥]، ناموا ثم استيقظوا بعد ذلك، فهذه كرامة من كرامات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كذلك مريم لم تكن من الأنبياء، ومع ذلك لما أمرها الله أن تهز جذع النخلة، امرأة ضعيفة في هذه الحالة، ومع ذلك لما هزَّت جذع النخلة تساقط الرطب عليها، وهذا من كرامات الأولياء، وكانت تُرزق بفاكهة الشتاء في الصيف، والصيف في الشتاء، وهذا ليس لآحاد الناس، ولذلك قال في التعريف: أمر خارق للعادة، الناس كلها ليس عندهم تفاح، وهي التي عندها تفاح، الناس كلها لا عنب عندهم، وهي مَنْ عندها العنب، أمر خارق للعادة، لم يكن عنده صوب، ولا فاكهة الصيف تخرج في الشتاء، ولا فاكهة الشتاء تخرج في الصيف، إنما كان هذا في زمانهم كان أمرًا خارقًا للعادة.

[يجريه الله تعالىٰ علىٰ يد وليٍّ من أوليائه]، إذن لا بد في حدِّ الكرامة أن تقع علىٰ يد ولي، **[معونةً له علىٰ أمر دينيٍّ]**، إما أن تكون إعانة له علىٰ أمر ديني، **[أو دنيويٍّ. لكن لاتصل كرامة الولي إلىٰ مثل معجزات الأنبياء والمرسلين]**، لماذا؟ لأن كرامة الأولياء قد تكون في الزمن الذي بعده ليست بكرامة، وأما معجزة النبي فهي معجزة أبدًا، عيسىٰ بأمر الله كان يحيي الموتىٰ، هل هناك الآن مَنْ يحيي الموتىٰ؟ لكن هل نجد فاكهة الصيف في الشتاء، والشتاء في الصيف؟ الآن، نعم الفاكهة لا تنقطع، إذن الفرق بين الكرامة والمعجزة من هذه الجهة.

ثم إن الكرامة تقع علىٰ يد ولي، فإذا وقعت علىٰ يد نبي لا تُسمىٰ كرامة، وإنما تُسمىٰ معجزة.

ومما ينبغي أن يُعلم أن الكرامة كالعورة، إذا كانت العورة تُستر فالكرامة كذلك ينبغي أن تُستر، ما ينبغي لإنسان أن يتباهىٰ **ويقول**: أنا صاحب كرامات، أنا دعائي مستجاب، أنا كذا، أنا كذا، أنا كذا، لماذا؟ لأن هذه الكرامة إنما أعطاها الله لهذا المرء تثبيتًا له، وإعانة له، له هو، فما ينبغي أن يشيعها بين الناس، حتىٰ يقبل الناس مثلًا يده، أو حتىٰ يصرف الناس له من أمور الألوهية، أو النبوة، أو غير ذلك، كل هذا لا يجوز، وهذا من الضلال، إنما هذا الأمر ينبغي أن يُستر.

ولذلك كان بعض السلف، وكان من أصحاب الكرامات، إذا علم أن الناس علمت أنه صاحب كرامة، كانوا يستترون من الناس، كما هو منقول عن إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان يتخفىٰ من الناس حتىٰ لا يصل الناس إليه، وكذلك أويس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان أويس صاحب كرامات، ومع ذلك كان يتخفىٰ من الناس، وأما بعض الناس في هذه الأيام، فإن رزقه الله كرامة من الكرامات.

والكرامة ليست دليلًا علوِّ منزلة الرجل، أو عدم ذلك، الكرامة ليست دليلًا علىٰ ذلك، وإلا فإننا لم نسمع عن كرامة لأبي بكر الصديق، وهو أفضل الخلق بعد الأنبياء، لم نسمع عن كثير من الكرامات لأبي بكر الصديق، وهو أفضل الخلق، وسمعنا عمن جاء بعده أنه رُزق بالكرامات الكثيرة، فالكرامة قد تكون لجبر نقص في إنسان، فالكرامة قد تكون لجبر نقص؛ كأن يحتاج إلىٰ تثبيت، فرزقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هذه الكرامة، أما الصديق فكان صادقًا مصدِّقًا صدِّيقًا.

أحد الطلاب:...

الشيخ: نعم، يكله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلىٰ ما معه من قوة الإيمان في قلبه.

إنسان في هذه الأزمان، يعني مما يُذكر كطرفة، بعض الناس أرادوا أن يفتحوا باب بيت، وعجزوا عن فتحه، فما كان من أحدهم إلا أن **قال**: أنا صاحب كرامة، أعطوني المفتاح، فما كان منه إلا أنه بمجرد أن وضع المفتاح وأداره انكسر المفتاح، فبدلًا من أن يُفتح الباب كُسر المفتاح، لماذا؟ لأن الكرامة ينبغي أن تُستر، ما ينبغي أن يتباهىٰ بها المرء أمام الناس.

أحد الطلاب:...

الشيخ: أنا أتكلم الآن ممن يدعي الكرامة الآن، سيأتي ضابط لهذا الباب، لا أتكلم عمن سبق، ونُقل عنه الكثير من الكرامات من حيث التفريط وعدم التفريط، ثم ذكر بعض الكرامات عن الأولياء التي ذكرناها، كقصة أصحاب الكهف، وغيرهم، **قال**: **[وقصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وقصة جريج الراهب]**، هذا الذي طعن الطفل الصغير في خاصرته، وقال له: مَنْ أبوك؟ **قال**: أبي الراعي، مع أنه طفل صغير، ومع ذلك كرامة لجريج نطق.

المتن

[وقصة النفر الثلاثة من بني إسرائيل الذين أووا إلىٰ غار فانطبقت عليهم الصخرة. إلىٰ غير ذلك مما هو مشتهر عند أهل العلم ثابت بالقرآن أو بالسنة الصحيحة، أو بما صح عن السلف ومن جاء بعدهم.

والكرامة موجودة في هذه الأمة إلىٰ قيام الساعة؛ لأن سببها الولاية، والولاية موجودة إلىٰ قيام الساعة.

ومَنْ جاء بخارق من خوارق العادات لم يكن ذلك مُزكِّيًا له دالًّا علىٰ ولايته، حتىٰ يعرض عمله كله علىٰ الكتاب والسنة، فيعرف بالموافقة لهما واتباعهما ظاهرًا وباطنًا].

الشرح

قال: [والكرامة موجودة في هذه الأمة إلىٰ قيام الساعة]، لا تنقطع، الذين أنكروا الكرامة هم المعتزلة، أنكروها **قالوا**: لأن وجود الكرامة وإثبات الكرامة يجعلها تختلط بمعجزة النبي، فلا نفرق بين نبي، وغير نبي، فيُردُّ عليهم أولًا بالنظر، أو بالدليل، أن هذا ثابت بالقرآن، وفي سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمر الثاني: أن صدق النبي لا يتوقف علىٰ المعجزة، وإنما أوقفه علىٰ المعجزة الأشاعرة، ومَنْ نحا نحوهم من أهل الكلام، وإنما صدق النبي يبرهنه صدقه بين قومه، وصدقه فيما يدعيه، وفيما جاء به، وأمانته، وعدم كذبه، وانتشار أمره، ونصر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له، إلىٰ غير ذلك من أمور عظيمة.

قال: [ومَنْ جاء بخارق من خوارق العادات لم يكن ذلك مُزكِّيًا له دالًّا علىٰ ولايته، حتىٰ يعرض عمله كله علىٰ الكتاب والسنة، فيعرف بالموافقة لهما واتباعهما ظاهرًا وباطنًا]، ولذلك الليث بن سعد والشافعي، لما كان يُنقل له كرامة أحد من الناس، **يقول**: ولو مشىٰ علىٰ الماء، ولو طار في السماء، فلا تصدقوه حتىٰ تعرضوا عمله علىٰ الكتاب والسنة، **يعني**: هب أن إنسانًا **قال**: أنا صاحب كرامات، وأنا أفعل كذا وكذا، انظر، ويفعل أشياء أمامك، فهذا لا يُصدَّق إلا إذا عُرض عمله علىٰ الكتاب، وهل هو مستقيم علىٰ سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وعلىٰ أداء الفرائض، وعلىٰ اجتناب المحرمات، أم غير ذلك؟ فهذا أمر ينبغي أن نعلمه.

ثم ختم هذا الباب بقوله:

المتن

[في فضل الولي:

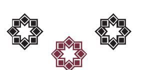
ومن فضائل الأولياء ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»].

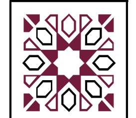
الشرح

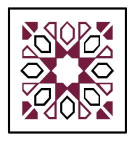
فالذي يعادي أولياء الله الصالحين ممن ثبتت لهم الولاية، **يعني**: كان تقيًّا مؤمنًا، مجانبًا للمحرمات، فاعلًا للمأمورات، الذي يعادي هؤلاء، فهذا قد آذن، وبارز الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالحرب، **يعني**: كأنه نقل حربه مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا شك أن هذا مخذول، فإذا ثبت لإنسان الولاية، وهذه الولاية ليست صكًّا، أو شهادة يعطيها أحد لأحد، وإنما هذا فيما تراه من هذا الرجل، من استقامة علىٰ دين الله، من بعد عن الفواحش، من محبة لسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من دعوة إلىٰ هذه السنة، وإلىٰ التزام الفرائض.

فلا شك أن هذا من الأولياء، وإن لم تظهر علىٰ يده الكرامة، ولكن هذا ولي من أولياء الله الصالحين، فما ينبغي أن تتعرض له بسوء فيما يؤذيه، لا في نفسه، ولا في أهله، ولا في ذاته، أو غير ذلك من الأمور، ولكن إذا كانت الأذية في حق لك، فليست هنا معاداة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **يعني**: هب أنك اختلفت مع هذا الولي في حق من الحقوق، في أرض، أو في ميراث، أو في جيرة، أو في غير ذلك، وشكوته مثلًا، أو أخذتَ حقك منه، فلا **يُقال**: إنك عاديتَه، وأنك عاديتَ وليًّا من الأولياء، أما المعاداة متىٰ تكون؟ إن كانت في أمر لا حق لك فيه، فهذا هو الذي ينغي تجاه الولي.

❁ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا.







الدرس السابع عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فلعل هذا المجلس يكون المجلس الأخير في التعليق علىٰ هذا الكتاب الطيب، ألا وهو كتاب (**المعتقد الصحيح**)، واليوم إن شاء الله نتكلم عن المعتقد الصحيح فيما يجب لولاة أمر المسلمين، أو لمن ولَّاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر المسلمين، فولاة أمر المسلمين هم مَنْ تولوا علىٰ المسلمين برضاهم، ببيعة، أو باختيار من شورىٰ ونحوه، وكذلك مَنْ تغلَّب عليهم بالسيف، وقهرهم، وكان له السلطان، كما كان من حال الدولة العباسية، وكذلك دولة المماليك، وغيرها من دول الإسلام التي أقرَّ لها علماء المسلمين بالسمع والطاعة.

فهذا الأصل يُذكر من قديم في كتب الاعتقاد، ما من كتاب من كتب الاعتقاد إلا ويُذكر فيه هذا الأصل، لماذا؟ لأن المخالفة فيه خطيرة، يترتب عليها الكثير من الفتن، كما نراه في كثير من بلاد المسلمين الآن، ولذلك ما من إمام من أئمة السنة إلا وهو يسطر ذلك في كتب الاعتقاد التي أجمع عليها المسلمون، والذي لا يخالف في هذا الأصل هم أهل السنة والجماعة، لماذا؟

❁ **لأن أهل السنة والجماعة وفقهم الله لأمور ثلاثة:**

۞ **الأول**: وفقهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمعرفة الدليل، فتراهم أقرب الناس لكتاب الله، ولسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ **الثاني**: وفقهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للفهم الصحيح لهذا الدليل، فكثير من الناس قد يستدل بآية، أو بحديث من أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك يكون الاستدلال باطلًا، لماذا؟ لأن فهم الآية أو الحديث ليس علىٰ نهج أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ **الثالث**: فهو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رزقهم حسن القصد، فأهل السنة والجماعة هم أقرب الناس للدليل، وعندهم حسن الفهم، وعندهم حسن القصد، لأن بعض الناس من المبتدعة مثلًا كالصوفية قد يكون عالمًا بالكتاب والسنة، يحفظ كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما أُنزل، وعالمًا بسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يستطيع أن يسرد لك كتب السنة، وأن يذكرها بأسانيدها، وعنده آلة الفهم، من علم بلغة العرب، وكذلك بأصول الفقه، وغير ذلك، ولكن عنده سوء قصد لهوىٰ في نفسه، فيطوع هذا الفهم لما عنده من سوء القصد.

أما أهل السنة والجماعة فعندهم هذه الأمور الثلاثة: عندهم علم بكتاب الله، وبسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندهم فهم صحيح لهذا الأصل، عندهم حسن قصد، وابتغاء لمرضاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

المتن

[ويعتقد أهل السنة والجماعة:

بأن الله تعالىٰ أوجب علىٰ المؤمنين طاعة ولاة أمرهم في غير معصية الله].

الشرح

إذن الطاعة لولي الأمر، لمن ولَّاه الله تعالىٰ أمر المسلمين ليست طاعة مطلقة، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ما **قال**: وأطيعوا أولي الأمر منكم، وإنما **قال**: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾، فعطف طاعة أولي الأمر علىٰ طاعة الله وطاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطاعة الله مطلقة، وطاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلقة؛ لأنه لا ينطق عن الهوىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما طاعة أولىٰ الأمر من العلماء والأمراء، وهذا هو المقصود بأولىٰ الأمر في

الآية، العلماء، والأمراء، فطاعة هؤلاء ليست مطلقة، إن قالوا قولًا، أو أمروا بأمر يوافق الدليل **قلنا**: سمعنا وأطعنا، وإن قالوا قولًا، أو أمروا بأمر يخالف الدليل فلا سمع ولا طاعة كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المتن

[ويعتقدون معنىٰ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ معصية». أخرجه أبن حبان في صحيحيه بإسناد حسن. واصله في الصحيحين].

الشرح

[ويعتقدون معنىٰ قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ]، ماذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث؟ **[قال: «اسْمَعْ وَأَطِعْ»]**، **يعني**: للأمير، لمن ولَّاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر المسلمين، وهذا الأمر لم يكن موجودًا في الجاهلية، **يعني**: أهل الجاهلية لم يكن لهم أمير يجمعهم علىٰ كلمة واحدة، وإنما كانوا قبائل متفرقين متنازعين، يأكل القوي منهم الضعيف دائمًا، وبالتالي لم تكن لهم دولة، ولم يكن لهم شأن، ولم تأبه فارس ولا الروم بهم، **يعني**: أهل جزيرة العرب قبل مبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن لهم شأن عند فارس والروم، لماذا؟ لأنهم لم تكن لهم دولة.

فجاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخىٰ بينهم، وجمعهم علىٰ كلمة واحدة، علىٰ كلمة التوحيد، ثم كان مما سنَّه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون هناك أمير للمسلمين يرتب أمرهم، ويدير شؤونهم، وواجب عليهم أن يسمعوا له في غير معصية الله، فإن أمرهم بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما إن أمرك بطاعة، إن أمرك بمباح، أمرك بصلاة، بزكاة، بحج، أمرك بطاعة إشارات المرور التي تنظم الطرق في الشارع، وغير ذلك مما لا يخالف شرع الله، فاسمع وأطع.

«**فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**»، **يعني**: حتىٰ لو استأثر هو هذا الأمير ببعض المال، أو ببعض الدنيا فاسمع وأطع، واعلم أن حقك لن يضيع عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سيأتي في الحديث: «أَدُّوا الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَسَلُوا اللهَ الَّذِي لَكُمْ»، أدِّ الذي عليك، لماذا؟ لكي تسير الأمور، ولكي يُحفظ الأمن في بلاد المسلمين، حتىٰ وإن كان هناك ظلم، وإن كان هناك استئثار ببعض المال، ولكن هذه المفسدة إن لم تصبر عليها سيترتب عليها مفسدة أعلىٰ وأعظم، فلن تكون المفسدة خاصة بالنسبة لك، أو لي، أو لزيد، أو لعمرو، وإنما ستتحول المفسدة إلىٰ مفسدة عامة تضرُّ الأمة جميعًا.

ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»، **يعني**: واستئثار بالمال، وهذه ليست سلبية من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنك إن خاطبت بعض الناس بمثل هذه الأحاديث، يقولون: هذه سلبية، الذي يفعل ذلك كالنساء، فالنساء يجلسن في البيوت، أما نحن فلن نجلس في البيوت، **نقول**: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»، **يعني**: وإن استأثروا بأمر من أمور الدنيا عليك، فعليك أن تصبر، لماذا؟ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شرعه لا يراعي مصلحة شخص، وإنما يراعي مصلحة أمة، يراعي مصلحة جيل، بقاء النسل الإسلامي، بقاء هذا الدين، وإن ترتب علىٰ هذا الصبر بعض المفاسد.

قال: «وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ معصية»، هذا كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يعني**: لو أمرك بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ولكن قل: مالي دون ديني، ودمي دون ديني، **يعني**: أقدم ديني علىٰ كل شيء.

وعند مسلم من حديث عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، **قَالَ**: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ**: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، هذا الصحابي الجليل يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيت لو كان علينا أمراء بعدك، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان سيد العادلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك الخلفاء الراشدون، إن جاء بعدك أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، يريدون حقوقهم، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فإذا **قلنا**: فأين حقوقنا منعوها، فماذا نصنع يا رسول الله؟

فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، **وَقَالَ**: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»، **أي**: فلتعلم أن حقك لن يضيع، وإن ضاع في الدنيا فلن يضيع عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

بعض الناس عندما يسمع مثل هذه الأحاديث **يقول**: هذه سلبية، هؤلاء يقدسون الحاكم، يقولون: إنه معصوم، مع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردَّ علىٰ ذلك، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في الحديث الذي ذكره: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ»، **يعني**: خيار مَنْ ولَّاه الله أمركم مَنْ هم؟ «الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»، **يعني**: يدعون لكم، وتدعون لهم، **يعني**: العدول، «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ»، إذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن من الأئمة مَنْ يكون عدلًا خيِّرًا، مَنْ هو؟ الذي يحبنا، ونحبه، يدعو لنا، وندعو له.

وهناك صنف آخر كذلك: «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ»، **أي**: سيتولىٰ عليكم أئمة شرار، مَنْ هم؟ **قال**: «الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، هذا الحديث فيه دليل أنه لا يجب عليك أن تحب ولي الأمر، قد يكون هذا الرجل ولَّاه الله عليك وأنت تبغضه، **ولكن تصبر، لماذا تصبر؟**

۞ **أولًا**: تنفيذًا لأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتنكر بقلبك، لا تحبه، ولكن تنكر بقلبك، فأولًا: تنفيذًا لأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ **ثانيًا**: لكي لا تكون ممن ينزع يده من طاعة، فهو ولي أمرك شئت أم أبيتَ بنصِّ حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طالما أنه مسلم.

۞ **ثالثًا**: لأنك تقدم المفسدة الصغرىٰ دفعًا للمفسدة الكبرىٰ، فأنت يصيبك في بدنك، أو في مالك، أو في نفسك من الظلم، ولكن هذا لا يتعدىٰ المفسدة الخاصة، أنت تدفع بهذه المفسدة الخاصة مفسدة عامة، ولذلك قال السلف لما كان الناس يذهبون إليهم، يشكون الحجاج بن يوسف، ويشكون الولاة الظلمة، ماذا كان السلف يقولون؟ يقولون: اصبروا حتىٰ يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر، يقولون هكذا: اصبروا كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل لك اصبر خمس سنوات، عشر سنوات، عشرين سنة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ»، **أي**: ادفعوا المفسدة الكبرىٰ بالصبر علىٰ هذه المفسدة الصغرىٰ.

الشاهد من هذا الحديث: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ **يعني**: هؤلاء الأئمة الأشرار الذين نبغضهم ويبغضوننا، ونلعنهم ويلعنوننا، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ ألا نخرج عليهم يا رسول الله؟ فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ»، **أي**: ما داموا مسلمين، طالما أنه لم يمنعك من صلاة، لم يمنعك من حج، لم يمنعك من زكاة، طالما أنه تركك لتؤدي شعائر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فاصبر، **قال**: «وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَالِيكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»، **أي**: لا تخرجوا عليه؛ لأن هذا سيترتب عليه ضرر عظيم جدًّا.

بل العلماء **قالوا**: حتىٰ ولو كان ولي الأمر هذا كافرًا كفرًا أكبر، يعني مثلًا: في بعض بلاد الإسلام كان هناك قوة معينة لليهود أو النصارىٰ، فماذا صنع هؤلاء؟ تغلبوا، وأمسكوا بذمام الحكم، فصار رئيس الجمهورية نصرانيًّا، أو يهوديًّا، ومَنْ معه من الوزراء، قال العلماء: إنه لا يجب أن تخرج عليه إن لم تكن معك القوة، لا يصلح أن يكون معه دبابات، وأسلحة، وطائرات، وأنت تقول: لا، أنا لا بد أن أزيح هذا الكافر، وأخرج عليه بسكينة المطبخ، أو بمكنسة المطبخ، لماذا؟ لأن هذا سيترتب عليه فساد عظيم جدًّا من إهلاك الثلة المؤمنة، كما هو حادث الآن في سوريا.

يعني: بشار هذا من العلويين، ممن يؤلهون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقولون بأمور هي كفر بواح، ومع ذلك ما المفسدة التي ترتبت علىٰ الخروج عليه؟ تشرد الشعب السوري، ورأينا النساء يقفن أمام المساجد يسألن الحاجة، بعد أن كانوا في عزة، ومنعة، وكرامة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما يقول لك هذه الأمور، فهذا ليس من السلبية، ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن ينظر إلىٰ المصلحة العامة، ليست إلىٰ مصلحة شخص من الأشخاص، هذا مُنع من وظيفته، هذا أُخذ ماله، هل هذه المفاسد مفاسد خاصة أم عامة؟

هذه مفاسد خاصة، **يعني**: تتعلق بشخص، أو بشخصين، بثلاثة، بألف، بألفين، ولكن هناك الملايين من الناس، مَنْ ينعم بحياة كريمة، مَنْ يأمن سفك الدماء، مَنْ يأمن هتك الأعراض، وهذا الرجل الذي لن يُخلَّد، **يعني**: هذا الرجل الذي يظلم المسلمين، بسبب هذه الولاية الظالمة لن يُخلَّد، ولذلك كما **قلنا**: من فقه السلف أنهم كانوا يقولون: اصبروا حتىٰ

يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر، وليس معنىٰ كلام السلف أنهم يحبون هذا الولي، وإنما ينظرون إلىٰ فقه حديث رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يعني: الحجاج بن يوسف كان سفَّاكًا للدماء، وكان الحسن البصري يبغضه جدًّا، ومع ذلك كان الناس إذا ذهبوا إلىٰ الحسن البصري يقول لهم: اصبروا حتىٰ يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر، الدماءَ الدماءَ؛ لأنه كان يعلم أنه كان رجلًا محبًا للدماء، فكان يأمرهم بالصبر، لكن لما مات الحجاج بن يوسف هل ترحم عليه الحسن البصري؟ الذي كان يقول للناس: اصبروا، وكان يزجر مَنْ يريد الخروج ويقاطعه، هل كان الحسن البصري يحب الحجاج بن يوسف؟

لا يحبه، لدرجة أنه حُكي له يومًا ما رؤية ما، كان الذي يقوم بالحجاج بن يوسف في رمضان، الإمام الذي يصلي به في المحراب، رأىٰ رؤيا، هذه الرؤيا خلاصتها أنه رأىٰ الحجاج بن يوسف، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال له: قُتلت بكل نفس قتلتُها قِتلة، قُتلتُ وعُذبت بكل نفس قتلتها، فقال له هذا الرجل الذي يصلي في المحراب: فماذا ترجو؟ **قال**: أرجو ما يرجوه أهل لا إله إلا الله، **يعني**: أرجو المغفرة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مَنِ الذي كان مشهورًا بتأويل الرؤىٰ في هذا الوقت؟ محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان من سادات التابعين.

فلما قُصَّت عليه الرؤيا، **قال**: هي رؤيا خير، ونرجو له ما يرجوه أهل لا إله إلا الله، خلاص قد مضىٰ إلىٰ سبيله، لعل الله أن يعفو عنه، ذهبوا إلىٰ الحسن البصري الذي كان ينهىٰ الناس عن الخروج علىٰ الحجاج بن يوسف، وكان يزجرهم جدًّا، فذهبوا إليه، وقصُّوا عليه ما قال محمد بن سيرين، فماذا قال الحسن البصري؟ **قال**: والله إني لا أرجو له ما يرجوه أهل لا إله إلا الله.

فانظر؛ فرقٌ بين أن تحب الشخص، وأن تبقىٰ في طاعته، تصبر حتىٰ يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر، فهذا هدي نبوي، هذا هدي النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك تجد دائمًا الذين يسلمون من الفتن هم المتابعون لهدي النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا غيرهم، أما الذي تأخذه العاطفة، ويأخذه حشد الناس، ثم بعد ذلك يرىٰ ما يرىٰ من سفك الدماء، وهتك الأعراض، ثم يخرج من كل هذه الأمور صفر اليدين، ما قدَّم، بل أخَّر، إن كان هناك دعوة أُخِّرت هذه الدعوة، بل ماتت الدعوة، إن كان هناك حفظ للأعراض هُتكت هذه الأعراض، لماذا؟ هذا جزاء مَنْ خالف هدي النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: [وفي لفظ، أي: عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ». أخرجه مسلم عن عوف بن مالك]، هناك أكثر من مائة حديث عن رسول الله ﷺ تنهىٰ عن الخروج علىٰ ولاة الأمر الظلمة، لماذا؟ ليس حبًّا لهذا الظالم، وليس حفظًا لجنابه، ولكن حفظًا لكيان الأمة، ودفعًا لهذه الفتنة العظيمة التي قد تموج في البلاد.

فما جزاء الذي يخالف هدي النبي ﷺ؟ جاء في الأحاديث أن الذي يخالف هدي النبي ﷺ وإن كان مظلومًا، جاءت عقوبات شديدة منها كما يقول المصنف:

المتن

[عقوبات الخارج عليهم:

والخارج من الجماعة ألحق به الشارع عقوبات غليظة في الدنيا والآخرة تتناسب مع عظم جريمته:

من ذلك أن من مات وهو خارج عن الطاعة مفارق للجماعة مات ميتة جاهلية.

ومن فارق الجماعة فإنه لا يسأل عنه، كناية عن عظيم ذنبه.

ومن فارق الجماعة فلا حجة له عند الله يوم القيامة.

ومن فارق الجماعة فإن الشيطان معه يرتكض. ومن فارق الجماعة حلَّ دمه].

الشرح

[عقوبات الخارج عليهم:

والخارج من الجماعة ألحق به الشارع عقوبات غليظة في الدنيا والآخرة تتناسب مع عظم جريمته:

من ذلك أن من مات وهو خارج عن الطاعة مفارق للجماعة مات ميتة جاهلية]، أهل الجاهلية كانوا لا يعتقدون ببيعة أحد، ولا بولاية أحد عليهم، فالذي ينزع يدًا من طاعة، ويخرج علىٰ ولاة الأمور ميتته تكون كميتة أهل الجاهلية، فهذا يدل علىٰ أنه مات علىٰ كبيرة من الكبائر.

[ومن فارق الجماعة فلا حجة له عند الله يوم القيامة]، لا حجة له، ولا برهان؛ لأنه خالف النصوص، [ومن فارق الجماعة فإن الشيطان معه يرتكض. ومن فارق الجماعة حلَّ دمه]، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعند ابن أبي شيبة في المصنف عن سويد بن غفلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من سادات التابعين، **قال**: أَخَذَ عُمَرُ بِيَدِي **فَقَالَ**: (يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّنَا لَا نَلْتَقِي بَعْدَ يَوْمِنَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَاهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)، هذه أول وصية من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لسويد، (وَأَطِعِ الْإِمَامَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا)، **يعني**: وإن كان قبيحًا لا يلتفت إليه أحد، (إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَهَانَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ يَنْقُصُ دِينَكَ، فَقُلْ: طَاعَةٌ مِنِّي دَمِي دُونَ دِينِي وَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ)، فالشريعة لم ترتب السمع والطاعة علىٰ عدل الأئمة.

يعني: ما وجدنا في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه **قال**: اسمعوا إن كان عادلًا فقط، وإنما رتبت السمع والطاعة علىٰ الإسلام، طالما أنه مسلم، طالما أنه لم يأمرك بمعصية الله فقل: سمعنا وأطعنا، إن أمرك بما يخالف شرع الله، فقل: مالي دون ديني.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن محمد بن المكدر لما بُويع لزيد بن معاوية، ونحن نعلم زيد بن معاوية، وهو الذي في عهده قُتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما بُويع لزيد بن معاوية، وكان في الناس من خيار الصحابة الكثير، يكفي أن فيهم ابن عمر، فلما بُويع ليزيد ذُكر ذلك لابن عمر، **يعني**: قيل لابن عمر: بُويعَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فماذا قال ابن عمر، **فَقَالَ**: (إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا وَإِنْ كَانَ

شَرًّا صَبَرْنَا)، هو هو نفس كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن كان خيرًا رضينا فالحمد لله، وإن كان شرًّا فهو من ذنوبنا صبرنا، فلنصبر.

والإمام أحمد كذلك، كلنا يعمل قصة الإمام مع المأمون، ومع المعتصم، ومع الواثق، مع ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية، ظلموه، وضربوه، حتىٰ غُشي عليه، وعُذِّب شديدًا، فكان لأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما للناس اليوم عند كثير من الولاة الظلمة، كان له عند هؤلاء الولاة من الدولة العباسية ما لكثير من الناس عند الولاة الظلمة، ومع ذلك ماذا كان يقول أحمد إذا جاءه الناس يريدون الخروج؟ **يقول**: الدماءَ الدماءَ، هذا خلاف الآثار.

ما هي الآثار؟ **يعني**: خلاف سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقدِّم دفع المفسدة الكبرىٰ بارتكاب المفسدة الصغرىٰ، وهو أن يصبر علىٰ هذا الضرب والأذىٰ، فماذا كانت النتيجة؟ مات المأمون، ومات المعتصم، ومات الواثق، ثم جاء المتوكل فأظهر الله به السنة، ونشر العدل، وأعز أهل السنة، فهذا يدل علىٰ أن أهل السنة دائمًا هدفهم هو حماية هذا الوطن كما قلنا، وأوطان المسلمين من هذه الفتن التي تموج في ديار المسلمين، وبلاد اليهود والنصارىٰ في مأمن، يتنعمون، ويتقدمون، وهم الذي صدَّروا إلينا هذه الفتن، وسياستهم الحالية ليست كالسياسة السابقة.

سياسة الاستعمار السابقة أنهم يدخلون بجنودهم بجيوشهم؛ ليخربوا، ليقتلوا، ليفككوا، لا، هذه ليست سياسة لهم الآن، ولكن سياستهم الآن: فكِّك نفسك بنفسك، دمِّر نفسك بنفسك، وهو في مأمن، فما الذي دمَّر ليبيا؟ وما الذي دمَّر سوريا؟ وما الذي دمَّر العراق؟ وما الذي دمَّر اليمن؟ ما الذي دمَّر هذه البلاد؟ أهلها هم الذين دمروها لما بثَّ فيهم هؤلاء الغرب الصليبي هذه الشعارات، حرية، ديموقراطية، نريد ما لنا عند الولاة، لم يصبروا علىٰ كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ماجت الفتن.

المتن

[ويعتقد أهل السنة والجماعة:

أن الدعاء لولي الأمر بالصلاح والمعافاة مما يُحمد ويتأكد، وهو علامة الرجل من أهل السنة، كما قال الإمام البربهاري في كتاب السنة:

إذا رأيتَ الرجل يدعو علىٰ السلطان فاعلم أنه صاحب هوىٰ، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة أن شاء الله].

الشرح

يعني: لو رأيت رجلًا يدعو للسلطان، لولي الأمر، يدعو له **يقول**: الله هيئ له البطانة الصالحة، اللهم وفِّقه للعمل بكتابك، وسنة نبيك، اللهم ردَّه إلىٰ الحق ردًّا جميلًا، اللهم انصر به الإسلام والمسلمين. القلوب بيد مَنْ؟ بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلو وافق هذا الدعاء ساعة إجابة لكان أمرًا عظيمًا، ولذلك مما يبين أهمية هذا الأمر حديث نحفظه كلنا، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، مَنْ أول هؤلاء السبعة؟ «إِمَامٌ عَادِلٌ».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقول الكلام هكذا دون قصد، وإنما ترتيب الحديث لا بد أن يكون عن قصد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال العلماء: وإنما بدأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإمام العادل لأن بصلاحه يصلح كل مَنْ جاء بعده من هذه الأصناف، فلو كان الإمام عادلًا لوجدتَ شابًّا قلبه معلق بالمساجد، لوجدتَ رجلًا يتصدق بصدقة فيخفيها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، لوجدت رجلًا دعته امرأة ذات منصب وجمال، **فقال**: إني أخاف الله، لوجدت رجلًا ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، إلىٰ غير ذلك من هذه الأصناف.

فالسلف كانوا يقولون: إن من علامة السنة أن يدعو الرجل لولي أمره بالصلاح، لا يكون الدعاء هكذا مطلقًا، اللهم سدِّده فيما يفعل، فقد يكون ظالمًا، ولكن كانوا يدعون لهم بالصلاح، وأن يهيئ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم البطانة الصالحة، لأننا لا يهمنا في هذا الكرسي، وفي هذا

المقام أن يتولاه زيد أو عمرو، وإنما الذي يهم السني أن يتولاه مَنْ يصلح الله به أمر المسلمين، سواء تولاه زيد، أو تولاه عمر، فهذا السني لا يهتم به، تولاه رجل من جماعة فلان، تولاه رجل من المكان الفلاني، هذا كله لا يهم، الذي يهتم به السني، ويدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفق مَنْ ولَّاه الله تعالىٰ هذا المكان لما فيه الخير والصلاح لبلاد المسلمين.

ولذلك يقول السلف، أنتم تعلمون الفضيل بن عياض، وتسمعون عن الفضيل بن عياض، وهذا كان من أئمة السنة، وكان من الزُّهَّاد العُبَّاد، ماذا كان يقول؟ **يقول**: لو كان لي دعوة، **يعني**: لو كان لي دعوة مستجابة، لو علمتُ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستجيب لي في دعائي ما جعلتُها إلا للسلطان، سبحان الله! انظر إلىٰ السني ينظر إلىٰ المصلحة العامة، ويهتم بأمر المسلمين، المتبادر من الشخص أن **يقول**: لو كانت لي دعوة لدعوتُ الله أن يرزقني الفردوس الأعلىٰ، لدعوت الله أن يجنبني الفتن، لدعوتُ الله أن يرزقني المال الوفير، وأن يبارك لي فيه، إلىٰ غير ذلك مما قد يدور بذهن المرء.

ولكن ماذا قال الفضيل بن عياض؟ لو كانت لي دعوة ما جعلتُها إلا للسلطان، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نُؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا وظلموا، ولذلك الحسن البصري الذي ذكرنا قصته قبل قليل مع الحجاج بن يوسف، كان يكره الحجاج جدًّا، ومع ذلك ينهىٰ الناس عن الخروج، الحسن البصري سمع رجلًا ذات يوم يدعو علىٰ الحجاج، **يعني**: كأنه **يقول**: اللهم أهلك الحجاج، اللهم العن الحجاج، فماذا قال الحسن البصري؟

قال: لا تدعو عليه بالهلكة، إني أخشىٰ أن يهلكه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فتخلفه القردة والخنازير، **يعني**: أن يستبدله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بمَنْ هو شر منه، فهذا ليس نهج السلف، ولذلك الشاعر القديم ماذا يقول؟ **يقول**:

عتبت علىٰ عمرو فلما افتقدتُه وعاينت أقوامًا بكيت علىٰ عمرو

يعني: لما ذهب عمرو هذا، وجاء آخرون وعاينتُهم بكيت علىٰ عمرو، قلت: أين أيام عمرو، يا ليت أيام عمرو ترجع مرة أخرىٰ، ولذلك كان من فقههم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أنهم كانوا يدعون بالصلاح ليس محبة في ذات هؤلاء.

وقال الإمام الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث: ويرون الدعاء لهم بالإصلاح، والتوفيق، والصلاح، ويرون أن سبَّهم مما نُهي عنه شرعًا باتفاق أكابر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟ لأن سبَّ هؤلاء على المنابر وغيرها يترتب عليه فتن عظيمة، لأن ما في النفوس من كبت، ومن إحساس بظلم وغير ذلك بسبب هذا التهييج، لا بد أن يظهر في الخارج، ولا بد أن تحدث ثورات، وسفك الدماء، وغير ذلك، ولكن المشروع أن تدعو لهم بالصلاح؛ لأنهم بصلاحهم ينصلح حال الناس.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في هذا المهدي الذي يأتي في آخر الزمان، يأتي في آخر الزمان مهدي أهل السنة، ماذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفه؟ مما جاء في وصفه **قال**: «**يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**»، هل تعرف معنى ذلك مما قاله العلماء؟ **يعني**: يكون على حال لا يرضي الله، فيصير من أئمة المسلمين في التقوى والورع؛ لأن القلوب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعل دعوة صادقة من قلب خالص إن دعاها المرء لولي أمر يظلم أو غير ذلك أن يقلب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قلبه، والقلوب بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذا له دليل من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغِشُّوهُمْ**»، **يعني**: إن استطعت أن تصل للأمير، وأن تكون بين يديه، فلا ينبغي لك أن تغشه، أن تراه على ظلم، على جور، على فساد، ثم تقول له بعد ذلك: أنت على الصراط المستقيم، تقدم ونحن وراءك، فهذا من الغش، **قال**: «**وَلَا تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ**».

ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يُغَيِّر الله من حال إلى حال

سبحان الله! يعني: بعد دقيقة أو دقيقتين لا نعلم ما الذي سيكون بالنسبة لنا نحن، فالأمور كلها بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بقي بابان نقرؤهم سريعًا.

المتن

[النهي عن الجدال في الدين:

وينهىٰ أهل السنة والجماعة عن الجدال والخصومات في الدين:

إذ قد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، ففي الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ».

وفي المسند وسنن ابن ماجه، وأصله في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج وهم يختصمون في القدر فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ، حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ».

بل جاء الخبر بأن الجدال عقوبة من عقوبات الله في الأمة. ففي سنن الترمذي وابن ماجه من حديث أبي إمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف:٥٨]].

الشرح

يعني: الجدال المذموم بغير علم، أن يتكلم المرء في دين الله بغير علم، أو ابتغاء نصرة الباطل، فهذا هو الجدال المذموم.

ففي الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه **قال**: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»، **يعني**: إن اختلفتم في آية ما، وتجادلتم فيها، ولم يكن هذا الجدال مبنيًّا علىٰ قواعد شرعية، فاتركوا هذا الجدال، وانصروا عنه.

وفي المسند وسنن ابن ماجه، وأصله في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج وهم يختصمون في القدر فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ، حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ، **يعني**: لما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأىٰ أصحابه يتجادلون، ويختصمون في القدر، يتكلمون في بعض الدقائق في باب القدر، والقضاء والقدر، سرُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في خلقه، والإيمان به واجب، لأن كل ما في هذا الكون يجري علىٰ حكمة الله، وعلىٰ علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك،

فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد غضب: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ».

بل جاء الخبر بأن الجدال عقوبة من عقوبات الله في الأمة. ففي سنن الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]، فإن كان الجدل منتشرًا في أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلم أن هذا من عقوبات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المتن

[قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أصول السنة عندنا:

١- التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء بهم.

٢- وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة.

٣- وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء. -أي: وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء-.

٤- وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

الجدل المذموم:

وكل ذلك في الجدال بالباطل، أو الجدال في الحق بعدما تبيَّن، أو الجدال فيما لا يعلم المحاج، أو الجدال في المتشابه من القرآن، أو الجدال بغير نية صالحة... ونحو ذلك].

الشرح

[وكل ذلك في الجدال بالباطل، أو الجدال في الحق بعدما تبيَّن]، **يعني**: إنسان ظهر له الحق واضحًا، ومع ذلك ما زال يجادل ويرد ذلك الحق، فهذا الجدال المذموم، **[أو الجدال فيما لا يعلم المحاج]**، **يعني**: يجادل بغير علم، **[أو الجدال في المتشابه من القرآن]**، **يعني**: مما استأثر الله بعلمه؛ ككيفية الصفات، وما أخفاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنا من أمور الآخرة، **[أو الجدال بغير نية صالحة، وغير ذلك]**.

المتن

[الجدل المحمود:

أما إذا كان الجدال لإظهار الحق وبيانه، من عالم، له نية صالحة، وملتزم بالأدب، فذلك مما يُحْمَد، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود: ٣٢]].

الشرح

فنوح جادل قومه، ولكنه كان يجادلهم بالحق، يأتي لهم بالآيات والبراهين علىٰ صدق دعوته، فهذا من الجدال المحمود.

المتن

[بعض المجادلات الشرعية:

وأخبر تعالىٰ عن محاجة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **مع قومه، وموسىٰ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **مع فرعون.**

وفي السنة ذكر محاجة آدم وموسىٰ عليهما الصلاة والسلام. ونقل عن السلف الصالح مناظرات كثيرة، وكلها من الجدال المحمود الذي توفر فيه:

١- العلم.

٢- النية.

٣- المتابعة.

٤- أدب المناظرة].

الشرح

[وأخبر تعالىٰ عن محاجة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع قومه]، فهذا جدال، إبراهيم حاجَّ قومه، نظر إلىٰ الكوكب **قال**: هذا ربي، ونظر إلىٰ القمر **قال**: هذا ربي، نظر إلىٰ الشمس **قال**: هذا ربي، كل ذلك حتىٰ إذا أفل الكوكب، أو أفل القمر، أو أفلت الشمس أقام عليهم الحجة، هل هناك ربٌّ يغيب؟ ليس هناك ربٌّ يغيب، ولذلك اعتزلهم، وقال لهم كما في سورة مريم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ [مريم: ٤٨]، فاعتزل عبدة الأصنام، واعتزل كذلك عبدة الكواكب.

وجادل النمرود بن كنعان، لما قال له: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فالجدال إن كان بآية، وبحديث؛ ابتغاء الوصول إلىٰ الحق، فهذا جدال محمود.

[وفي السنة ذكر محاجة آدم وموسىٰ عليهما الصلاة والسلام. ونقل عن السلف الصالح مناظرات كثيرة]، ولكن إن نظرت في مناظرات السلف الصالح تجدها مناظرات فقهية، **يعني**: تجدها وقعت بين علماء يتناظرون في بعض الأمور الفقهية، **يعني**: يتناظرون مثلًا في العودة في الهبة بعد أن وهبها المرء لشخص آخر، **يعني**: أنا أعطيتُك هدية، هل يجوز لي أن أعود فيها، فيُنقل عن الشافعي أنه ناظر أحمد في ذلك.

فالشافعي يقول: إنه يجوز له، وأحمد **يقول**: لا يجوز له، أعطيتُك هدية فلا يجوز لي أن أعود فيها، ما دليل الشافعي؟ **يقول**: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ»، هل يحرم علىٰ الكلب أن يعود في قيئه؟ لا يحرم علىٰ الكلب، فقال له أحمد: ولكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في أول الحديث: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ»، فهذا مثل السوء، فالذي يعود في هبته كالكلب، **فقيل**: إن الشافعي أقرَّ لأحمد بهذا الفهم، وهناك مناظرات عديدة بين الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني من الحنفية، وكذلك الكثير من المناظرات.

أما المناظرات في باب الاعتقاد فهي إما أن تكون أمام السلطان، فهذه جائزة، كما كان يحدث مع أحمد، وعبد العزيز الكناني، وغيره من أهل السنة، السلطان يريد أن يصل إلىٰ الحق في هذه المسألة في الاعتقاد، هو الذي يدير هذا الأمر، ويضع القواعد لهذه المناظرة، فهذا وقع من السلف.

وأما المناظرة مع أهل البدع، مع إنسان صاحب هوىٰ، ليس عليه سلطان يردعه، ويقول له إنه قد أقام الحجة عليك، فهؤلاء لا يُناظرون، ولا يُكلمون، ولذلك كان السلف يفرون من هؤلاء، إذا جاءه رجل من أهل البدع ممن كان في قلبه زيغ يقول له: أريد أن أقرأ عليك آية، **يقول**: ولا نصف آية، لا أريد أن أسمع منك شيئًا، لماذا؟ لأنه وإن أقام عليه الحجة، ففي قلبه من الهوىٰ ما يمنعه من قبول هذا الحق.

ولذلك إذا رأيت السني يمتنع عن مناظرة أهل البدع، وعن كلامهم، فلا تحسبنَّ أن هذا عجز من السني، لا، وإنما هذا لأنه يعلم أن هذا المبتدع قد قام في قلبه من الشبهة والهوىٰ ما يمنعه من قبول الحق، ثم الأمر الثاني: أنه له في ذلك سلف، وهم سلف هذه الأمة الذين كانوا يحذرون من مجالسة هؤلاء.

ولذلك عقد الباب الأخير، وهذا الباب، وهو التحذير من مجالسة أهل الأهواء، ما المقصود بأهل الأهواء؟ أهل البدع، **يعني**: مَنْ كان في قلبه من الشبهات ما يمنعه من قبول الحق، إما أن تكون هذه الشبهة تعصبًا لشخص من الأشخاص، أو لمنهج من المناهج، أو لهوىٰ في نفسه، إلىٰ غير ذلك من الأمور التي ذكرها العلماء، أو عنادًا، وبالتالي يرد الحق، فهذا لا يُناظر، ولا يُجادل.

ولذلك قال:

المتن

[التحذير من مجالسة أهل الأهواء:

وحذَّر أهل السنة من مجالسة أهل الأهواء والبدع تحذيرا شديدًا؛ لأن مجالستهم فيها مخالفة أمر الله، وعلامة محبتهم، ومجالستهم علىٰ خطر من الانقياد إلىٰ ضلالهم ومتابعتهم علىٰ باطلهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والبدعة التي يعدُّ بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ابن عباس: دخل في هذه الآية كل مُحْدِثٍ في الدين، وكل مُبْتَدِعٍ إلىٰ يوم القيامة. نقله عنه البغوي في تفسيره.

وقال ابن جرير الطبري: وفي هذه الآية الدلالة الواضحة علىٰ النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم.

قال ابن عباس: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم مُمْرِضَةٌ للقلب].

الشرح

وضابط أهل الأهواء كما قال ابن تيمية، [قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والبدعة التي يعدُّ بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة]، فهذه بدع لا يُكلَّم أهلها، ولا يُوعظون، ولا يُنصحون إلا العامي منهم، فإن العامي قد يريد الوصول للحق، ولكن لُبس عليه، وبالتالي إن استطعت أن ترده لهذا الحق، وأن تدفع هذه الشبهة فافعل، وأما الرؤوس والدعاة من هؤلاء، فهؤلاء لا يُناظرون، ولا يُكلمون، ولا يُجلس معهم.

[قال الله تعالىٰ -في التحذير من مجالستهم-: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ابن عباس: دخل في هذه الآية كل مُحْدِثٍ في الدين، وكل مُبْتَدِعٍ إلىٰ يوم القيامة]، مع أن هذه الآية نزلت في المشركين، **يعني**: هذه الآية مكية في سورة الأنعام، ومع ذلك ابن عباس **يقول**: دخل في هذه الآية كل مُحْدِثٍ في الدين، لماذا؟ لأن الآية فيها لفظ يدل علىٰ العموم، وهي **قوله**: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾، فأهل البدع يدخلون في هذه الآية من جهة اللفظ، أو يدخلون في هذه الآية من جهة المعنىٰ؛ لأنهم يفعلون فعل المشركين، فالمشركون كانوا يخوضون في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكذلك أهل البدع يخوضون في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالباطل.

ولذلك قال سفيان في عاقبة مجالسة أهل البدع، سفيان ابن عيينة ماذا يقول فيما يترتب علىٰ مجالسة أهل البدع؟ **قال**: إما أن يكون فتنة لغيره، **يعني**: الناس يقولون: لو كان هذا علىٰ الباطل ما جلس معه هذا السني، فيكون هذا السني فتنة لغيره، وإما أن يُدخلوا في قلبه الشبهات، **يعني**: الأمر الأول لن يدخل في قلبه الشبهة؛ لأن الحق متمكن من قلبه، ولكنه يكون فتنة لغيره، والأمر الثاني: ألا يتمكن الحق من قلبه، وبالتالي يُدخلوا عليه الشبهات.

وفي ذلك يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الدجال: «**مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**»، **يعني**: واحد **يقول**: هل الدجال ظهر، فأنا سأذهب لأقيم عليه الحجة، وسأقول له: أنت الدجال، وأنت الذي أخبرنا عنك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ أَوْ مُسْلِمٌ فَيَتْبَعُهُ بِمَا يَرَىٰ مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»، يأتيه يريد أن يقيم عليه الحجة، ثم بعد أن يرىٰ هذه الآيات الظاهرة العظيمة من إمطار السماء، وإنبات الأرض يصير من أتباعه عياذًا بالله.

وكذلك أهل البدع، كثير من الناس **يقول**: أنا أنصحه، أنا أجلس معه أريد هدايته، ثم لا يلبس أن يكون من أتباعه، ويكون حربًا علىٰ أهل السنة بعد عياذًا بالله، فإما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يُدخلوا في قلبه شبهات، وإما أن يقول المرء -هكذا يقول سفيان-: والله ما أبالي بما تكلموا، وإني واثق بنفسي، فقال سفيان: فمَنْ أمن ذلك ثقةً بنفسه سلبه الله إياه، عياذًا بالله.

وكان أبو الجوزاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول -واسمع لهذا الأثر-**: لأن يجاورني في داري هذه قردة وخنازير أحب إليَّ من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء، **يعني**: لو كان في بيت جاري هذا الذي يسكن بجواره، لو كان هذا البيت مليئًا بالقردة والخنازير، فهذا أحب إليَّ من أن يسكنه رجل من أهل البدع، لماذا؟

لأني أعرف آخر القردة والخنازير، سآتي بعطر مثلًا، وأضعه في البيت فتضيع الرائحة، أو أغلق هذه الطاقة والنافذة التي بيني وبين جاري، أو أجعل لي طريقًا من الشارع الخلفي أو غير ذلك، أما صاحب البدعة فلا بد أن يُلبِّس عليَّ، كلما قابلني في طريق **يقول**: يا فلان، أما سمعتَ كذا؟ أما سمعتَ الآية؟ أما سمعتَ الحديث؟ أما رأيتَ ما حصل؟ أما رأيتَ كذا؟ ولذلك كان من فقههم يقولون: إن مجاورة القردة والخنازير أحب إلينا من مجاورة أهل الأهواء.

وقال الأصمعي، وكان سنيًّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ما رأيت بيتًا أشبه بالسنة من هذا البيت:**

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

إن أردتَ أن تعلم حال هذا الرجل من السنة والبدعة، من الاستقامة والفسق، فاسأل عن قرينه، مَنْ يماشي؟ مَنْ يجالس؟ مع مَنْ يتعامل؟ لماذا؟ **قال**: فكل قرين بالمقارن يقتدي، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ماذا قال؟ **قال**: «**الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ**»، **يعني**: علىٰ طريقته، «**فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»، وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يضرب لنا المثل، مثل الجليس الصالح، ومثل الجليس السوء، فالجليس الصالح كحامل المسك، والجليس السوء كنافخ الكير، لا بد أن يصيبك منه شيء ما.

وكان مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: ما أدري أي النعمتين أعظم عليَّ، مجاهد ابن جبر يقول هذا الكلام، وهو تلميذ ابن عباس، ما أدري أي النعمتين أعظم عليَّ مما أنعم الله بهما عليَّ، أن هداني إلىٰ الإسلام، أم أن جنبني الأهواء؟ **يعني**: أن لم أكن من أهل البدع، وإنما كنتُ سنيًّا، علىٰ نهج أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولا شك أن هداية الإسلام أعظم وأجل أن صار المرء مسلمًا، وإنما قال ذلك؛ لخطورة البدعة، ولبيان أن النجاة من البدعة من النعم العظيمة التي أنعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها.

وقال سحنون، وبه نختم: وكان ابن غانم يقول في كراهية مجالسة أهل الأهواء، ماذا كان يقول في مجالسة أهل الأهواء؟ **يقول**: أرأيت أن أحدكم قعد إلىٰ سارق، وفي كمه بضاعة، أنت تجلس وتعلم أن الذي بجوارك سارق، وتضع بضاعتك في كمك، زمان كانوا يضعون البضاعة في كمهم، ماذا تصنع؟ بين الحين والآخر ماذا تصنع؟ تنظر في كمك، تحترس، تضع كمك تحت إبطك، تخشىٰ علىٰ ما في كمك، فهو **يقول**: أرأيت أن أحدكم قعد إلىٰ سارق، وفي كمه بضاعة، أما كان يحترز بها منها؛ خوفًا أن يناله فيها.

الآن علمتَ المثل، **قال**: فدينكم أولىٰ بأن تحرزوه، وتحفظوه، **قيل**: وإن جاء معنا في ثغر أخرجناه منه؟ **قال**: نعم، فدينكم أولىٰ أن تحرزوه، وتحفظوه، **يعني**: من أهل البدع والأهواء، قيل له: وإن جاء معنا، **يعني**: هذا المبتدع، في ثغر أخرجناه منه، ولا نبقيه معنا، حتىٰ ولو كان في أمر من أمور القتال، وغير ذلك؟ **قال**: نعم.

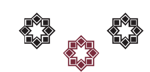
قال أحد علمائنا: ما أعظم هذا التشبيه! فسبحان الله! كثير من الناس يدع قلبه مكشوفًا يُصبُّ فيه من أذنيه، يسمع من هذا، ويقرأ لهذا، ويشاهد هذا، كل هذه ما هي إلا موصلات للقلب؛ لأن البصر، والسمع، كل هذه من الوسائل التي تنقل ما تراه وتسمعه إلىٰ القلب، **فقال**: كثير من الناس يدع قلبه مكشوفًا يُصبُّ فيه من أذنيه، ممن يجاور، أو يحاور، أو يساير، أو يقرأ له، فيغير دينك وقلبك، ولا تهتم، بينما تضنُّ بدينارك ودرهمك، فدينك أولىٰ، إذا كنت تخشىٰ علىٰ الدينار والدرهم، علىٰ الجنيه من أن يُسرَق، فالأولىٰ أن تخشىٰ علىٰ دينك، وعلىٰ ابتاعك لهدي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

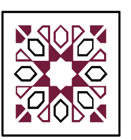
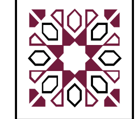
ولذلك كان السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يحذرون أشد التحذير من مجالسة أهل الأهواء والبدع، وإن كانوا يستطيعون مناظرتهم، وردَّ حجتهم، ولكنهم إنما فعلوا ذلك ابتغاء السلامة، وفعلوا ذلك تعليمًا للأمة من بعدهم، وفعلوا ذلك أولًا اقتداءً بكتاب الله، وسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد ذلك**: **[تم بحمد الله وتوفيقه كتاب (المعتقد الصحيح الواجب علىٰ كل مسلم اعتقاده).**

❁ أسأل الله تعالىٰ أن يجعله لوجهه الكريم خالصًا، ولسنة نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **موافقًا، وأن ينفع به عموم المسلمين].**

❁ **أسأل الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لصاحب هذا المُصَنَّف، وأن يرزقه الفردوس الأعلىٰ، وأن ينفعنا بما سمعنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا الثبات علىٰ سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ نلقاه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آل بيته الأطهار، وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.



قائمة الموضوعات

الموضوعات	الصفحة

